بُسْتَانُ الْحُقُوقِ
فِي الْإِسْلَامِ
الجزء الثاني
د. أمير محمد المدري
الطبعة الأولى
2020م
دار الكتب اليمنية
مكتبة خالد بن الوليد

بستان الحقوق

في

الإسلام

الجـزء الثاني

أمين بن محمد المدري

الحقوق محفوظة لكل مسلم

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ-٢٠٢٠م

مكتبة خالد بن الوليد
للطباعة والنشر والتوزيع
المركز الرئيسي صنعاء – شارع العدل
تلفاكس : (٢٢٤٦٩٤)
ت : (٢٢٧٨٥٥) ص . ب : (٢٣٧٠)
القرطاسية : (٢٧٠٩٦١)

دار الكتب اليمنية
للطباعة والنشر والتوزيع
صنعاء الدائري الغربي – جولة القادسية
تلفون: (٢١٥٢٤٣)
فاكس: (٢١٥٣٢٣)

فرع عدن كريتر – الميدان – تحت فندق العامر فرزة الشيخ عثمان ت :
(٠٢/٢٦٥٧٠٦)
مركز خالد بن الوليد – الدائرى الغربى–تقاطع شارع الرباط ت : (٢١٥٦٩٩)

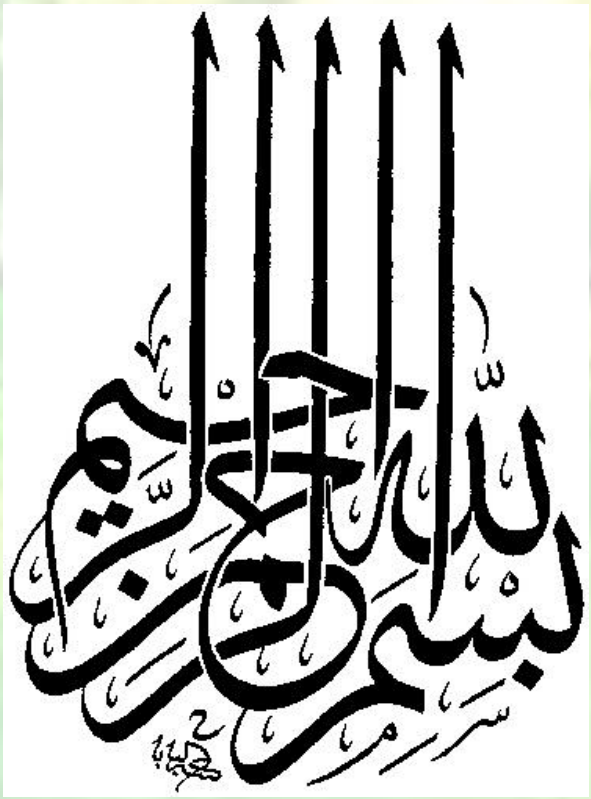
بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

المحتويات ٦
المقدمة ٨
حقوق الانسان (١) ١٠
حقوق الإنسان(٢) ٢١
حقوق الطفل (١) ٣٤
حقوق الطفل (٢) ٤٣
حقوق البنات ٥٤
حقوق الزوجة على زوجها (١) ٦٦
حقوق الزوجة على زوجها (٢) ٧٧
حقوق الزوج على زوجته ٨٧
حقوق اليتيم (١) ٩٩
حقوق اليتيم (٢) ١١٢
حقوق المرأة (١) ١٢٢
حقوق المرأة (٢) ١٢٩
حقوق الحيوان ١٣٨
حقوق الجيران ١٥٠
حقوق الطريق (١) ١٦٣
حقوق الطريق (٢) ١٧٣

حقوق العلماء(١) ١٧٩
حقوق العلماء (٢) ١٨٧
حقوق الميّت (١) ١٩٦
حقوق الميّت (٢) ٢٠٤
حقوق المساواة ٢١٥
حقوق غير المسلمين ٢٢٤
حقوق الوطن ٢٣٨
حقوق المظلوم ٢٤٨
ختاماً ٢٦٦

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده تبارك وتعالى على كل ما منح أو سلب، ونعوذ بنور وجهه الكريم من العناء والنصب، ونسأله الخلود في دار السلام حيث لا لغو ولا صخب .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وإليه المنقلب، هو المالك، وهو الملك يحكم ما يريد فلا تعقيب ولا عجب، وأشهد أن خاتم المرسلين هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، نطق بأفصح الكلام، وجاء بأعدل الأحكام، وما قرأ ولا كتب، فيا رب يا أكرم مسؤول ، ويا خير مرتجىً ومأمول .

صلّ على سيد الأعاجم والعرب، على الصحب ومن تبع، وكل من إليه انتسب، ما لاح في الأفق نجمٌ أو غرب ..

وبعد:

هذا هو الجزء الثاني من كتاب «**بستان الحقوق في الإسلام**» ، ويأتي هذا الكتاب الذي تظهر أهميته في احتلال مسألة حقوق الإنسان ـ يوماً بعد آخر ـ أهميةً متزايدة في العالَم المعاصر. وقد ظهرت منظمات عالميّة أخذت على عاتقها الدفاع عن حقوق الإنسان وفق منظورها الخاص، ووفق أهداف ومصالح الجهات الممولة لها. وللأسف الشديد أنّ الكتب والإصدارات الإسلامية المؤلفة في هذا الحقل، من القلّة بحيث لا تتناسب مع تزايد الاهتمام العالمي بحقوق

البشر. ومن هنا كان هذا الكتاب مساهمة متواضعة في هذا المجال.

هذا الكتاب:

مبدأه خُطب جمعة كنت ألقيتها، وأكرمني الله بجمعها في كتاب كي تعم فائدتها بإذن الله تعالى.

هذا الكتاب:

إلى أُناسٍ يحسبون أنّ لهم حقوقاً، وليست عليهم واجبات فهم يعيشون في قوقعة من أنانيتهم ومآربهم غير آبهين بالطرف الآخر وما ينبغي له وعليه.

هذا الكتاب:

بعد النجاح المبارك لكتاب(**بستان الخطيب**) فقد نفع الله به الفئام من الدعاة والخطباء، وغيرهم، وبلغ الآفاق بفضل الله تعالى وكرمه، فقد وجدت أن موضوع الحقوق قد يغفل عن طرحه للناس بعض الخطباء والوعاظ، ولذلك فقد يسّر الله بستاناً آخر أسميته «**بستان الحقوق في الإسلام**».

في الجزء الثاني من الحقوق ما يأتي:

١- حقوق الإنسان.

٢- حقوق الطفل.

٣- حقوق الزوجة على زوجها.

٤- حقوق الزوج على زوجته.

٥- حقوق اليتيم.

٦- حقوق المرأة.

٧- حقوق الحيوان.

٨- حقوق الجيران.

٩- حقوق الطريق.

١٠- حقوق العلماء.

١١- حقوق الميت.

١٢- حقوق المساواة.

١٣- حقوق غير المسلمين.

١٤- حقوق الوطن.

١٥- حقوق المظلوم.

أسأل الله أن ينفع بها الإسلام والمسلمين، وأن يجعلها ذخراً لنا يوم نلقاه انه ولي ذلك والقادر عليه. و على الله قصد السبيل، إنه نعم المستعان و الوكيل وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي رفع قدر المؤمنين وأعزهم، وأوهى منزلة الكافرين وأذلهم، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

وأشهد أنّ سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، شرح له صدره وأعلى ذكره، ورفع مقامه في الدنيا والآخرة.

صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحابته، ومن سار على سنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

و بعد:

سلسلة الحقوق سلسلةٌ مباركة الهدف منها أن يعرف المسلم ما له وما عليه.

أن يعرف المسلم حقوقه وواجباته.

أن يعرف المسلم كيف يتعامل مع غيره وكيف يعبد ربه حق العبادة.

وحديثنا اليوم عن حقوق الإنسان في الإسلام.

لماذا الحديث عن حقوق الإنسان في الإسلام؟

نقف مع حقوق الإنسان في الإسلام ونحن نرى دماء تسيل، وأعراض تُنتهك في بلاد الإسلام.

نقف مع حقوق الإنسان في الإسلام ونحن نرى رقاب الملايين يتحكم فيها أشخاص لا يرقبون في مؤمنٍ إلاً ولا ذمة.

نتكلم عن حقوق الإنسان في الإسلام ونحن نسمع منظمات وجمعيات ومؤتمرات تتكلم عن الحقوق، وتتبنى حقوق المرأة، حقوق الطفل، حقوق الإنسان، حقوق الحيوان لكن بلسانٍ غربي وإعلان الغرب هو مصدر هذه

الحقوق.

نتحدث عن حقوق الإنسان في الإسلام يوم أن ظن بعض الناس أن البشرية لم تعرف الحديث عن حقوقها إلا بعد ما سعت هيئة الأمم المتحدة إلى دراسة هذه الحقوق والإعلان عنها ودعوة الدول إلى الالتزام بها. وقد تناسى أولئك أن الرسل، من آدم ونوح إلى نبينا محمد عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه بُعثوا لإعلان الحقوق والواجبات، وأول هذه الحقوق حق الله على العباد .

ماهية حقوق الإنسان في الإسلام

إن حقوق الإنسان في الإسلام منحةٌ إلهية منحها الله لخلقه، فهي ليست منحة من مخلوق لمخلوق مثله، يمن بها عليه ويسلبها منه متى شاء، بل هي حقوق قررها الله للإنسان.

إن حقوق الإنسان في الإسلام تنبع أصلا من العقيدة، ويُتعبَّد الله بفعلها فهي من عقيدة التوحيد، القائمة على شهادة أن لا إله إلا الله وهي منطلق كل الحقوق والحريات، لأن الله تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد خلق الناس أحراراً، ويريدهم أن يكونوا أحرارا، ويأمرهم بالمحافظة على حقوقهم وحرياتهم ويدافعون عنها.

إن عبودية العبيد للعبيد ذل ومهانة، وعبودية العبيد لرب العبيد عزة ورفعة وسمو.

حقوق الإنسان في الإسلام مبنية على أن السيادة والحاكمية لله عز وجل القائل: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ٥٧﴾ [الأنعام:٥٧]،

والقائل: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام:٦٢].

لقد عانت البشرية - وما زالت تعاني - من ضياع الحقوق، والدول التي وقّعت أول مرة على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة(١٩٤٨م) كانت هي الدول الاستعمارية التي استعبدت الإنسان وقهرت الشعوب، ومن مهازل التاريخ الحديث أنه في نفس العام الذي تم به الإعلان عن حقوق الإنسان قامت العصابات الصهيونية بطرد شعب من أرضه ووطنه لتؤسس دولة اعترف بها دعاة الحقوق الذين لا يعترفون في الواقع إلا بحقوقهم هم، أين حقوق الإنسان يوم احتلت فرنسا المغرب العربي؟ أين حقوق الإنسان يوم احتلت بريطانيا جنوب اليمن و الشعوب التي كانت تستعمرها، أين حقوق الإنسان يوم احتلت أمريكا العراق، ورمّلت نساءها ويتّمت أطفالها، وحاصرت شعب بأكمله ومنعته من حقوقه الأساسية؟

أيها الأحبة:

من خصائص ومميزات الحقوق في الإسلام أنها حقوق شاملة لكل أنواع الحقوق، سواءً الحقوق السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية.

كما أن هذه الحقوق عامة لكل الأفراد الخاضعين للنظام الإسلامي دون تمييز بينهم في تلك الحقوق بسبب اللون أو الجنس أو اللغة. [حقوق الإنسان في الإسلام. د. سليمان الحقيل (ص ٥٣)].

إن حقوق الإنسان عند الغربيين ما هي إلا شعارات جوفاء لذلك كان على علماء المسلمين أن يبينوا للناس حقوق الإنسان وواجباته كما بيَّنها الإسلام وطبَّقها الرسول-ﷺ- وخلفاؤه ليعلم الناس أنهم لن يصلوا إلى حقوقهم كاملة

إلا بتطبيق شرع الله وإقامة دينه.

لقد أوصى الإسلام في فتوحاته لنشر الدعوة الإسلامية بألا يقتلوا طفلاً ولا امرأةً ولا شيخاً عجوزاً، ولا يقطعوا شجرة، وأن يكونوا رؤوفين بالعباد.

حقوق الإنسان لم توضع قط موضع التنفيذ في تاريخ الإنسانية إلا حين حَكَمَ الإسلام من لَدُن أول حكومة إسلامية في عصر رسول الله -ﷺ-، واستمرّت منفَّذةً مطبَّقةً مع استمرار هيمنة الحكم الإسلامي.

حَكَمنا فكان العدلُ منّا سَجِيَّةً ولما حكمتم سال بالدم أَبْطُحُ

وها هو نبينا عليه الصلاة والسلام يقف في حَجّة الوداع ليُذكّر الناس بحقوقهم وواجباتهم ويعلن أول إعلان لحقوق الإنسان فيقول: « **أيها الناس إن دماءكم وأعراضكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم**. . . . . » [صحيح البخاري ح (٦٧، ٧٠٧٨)، صحيح مسلم ح (١٦٧٩)]. إنها خُطبةٌ عصماء أعلن فيها الرسول -ﷺ- حق الإنسان في الحياة، وفي الملكية، وفصّل حقوق النساء، وواجباتهن، وبين حقوق وواجبات المحكومين والحكام، وأعلن أن من حق كل إنسان أن يعيش في أمن واستقرار، وأعلن أن الله تعالى خالق العباد رحمهم بأن أدى إليهم حقوقهم فهم في خيرٍ ما أدوا هذه الحقوق.

مبادئ خالدة لحقوق الإنسان، لا يبلغها منهجٌ وضعي، ولا قانونٌ بشري.

لقد خلق الله تعالى الإنسان وكرَّمه، وأوجده في أحسن صورة وأجمل هيئة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ [البلد: ٤]، وميّزه عن سائر المخلوقات الأخرى، فوهبه هذا العقل الذي به يعبد الله تعالى حق العبادة، ويميّز به بين الأشياء،

ويعرف الحق والباطل، والحسن والقبيح، والخطأ والصحيح، والنافع والضار، ويسلك الطريق الأمثل والمنهج الأقوم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

ما استطاع فرعون التحكم في رقاب بني إسرائيل إلا يوم سلَبهم حريتهم، سلَبهم كرامتهم وصارت الأمة خدَماً وعبيداً لشخصٍ واحد هو فرعون يسبحون بحمده ليل نهار، والجيوش تحمي شخصًا واحدًا، والميزانية يتحكم فيها شخص فرعون، وصدق الله القائل: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الزُّخرُف:٥٤]

من سلب الناس حرياتهم فهو ظالم.

من سلب الناس كرامتهم فهو ظالم

من كان سبباً في إشعال الحروب وسفك الدماء فهو ظالم.

بمناسبة يوم حقوق الإنسان، لم تحتفل الأمم المتحدة بهذا في العام الماضي كعادتها، بل مرّت هذه المناسبة مروراً عابراً لماذا؟ لأن الأمم المتحدة قد شعرت بأن ما يُعلن لم يُطبق، وأن ما دوِّن بقي حبراً على ورق، وأخذ العالم يشكل جمعيات للرفق بالحيوان بعد أن فشل في الرفق بالإنسان، وشعرت أن الأمم المتحدة قد هيمنت عليها أمريكا، فلم تعد هناك أمم متحدة.

حق الحياة

لقد حفظ الإسلام للمرء حق العيش والحياة، ووهبه الله تعالى الحياة

ليؤدي دوره فيها، وهو الذي يسلبها منه، فليس لأحد أن يعتدي على الإنسان ويسلب منه حياته بغير حق قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء:٩٣]

وقال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، وقال -ﷺ-: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم» [سنن الترمذي (١٣٩٥)، وسنن النسائي (٣٩٨٧)]. ، وقال أيضًا -ﷺ-: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا رجل يموت مشركًا أو يقتل مؤمنًا متعمدًا»[أخرجه أحمد (٤/ ٩٩)، والنسائي في تحريم الدم (٣٩٨٤)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٣٦٥) عن معاوية رضي الله عنه، وهو مخرج في السلسلة الصحيحة (٥١١)]، فدل ذلك على عظُم جريمة القتل وبشاعتها، وأنها من أكبر الكبائر التي تقشعر الجلود عند سماع نبأ ارتكابها، يقول -ﷺ-: «لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار»[سنن الترمذي (١٣٩٨).].

ولذلك كانت عقوبة القاتل في الإسلام بجنس فعله، فيعاقب بمثل ما ارتكب من القتل جزاءً وفاقًا، فكما أنه حَرَمَ المقتولَ من الحياة ورمّل زوجته ويتم أطفاله، فإنه يستحقّ أن يُحرَمَ من الحياة وتُرمّل زوجته ويُيّتم أطفاله جزاء ما اقترفت يداه، ويُطبَّق عليه حكم الله تعالى القائل: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾[المائدة: ٤٥]

ومن هنا كان القصاص جزاءً وفاقا، ومتى نُفّذ حكمُ القصاص في القاتل

ارتدع المجرمون، وكفوا عن ترويع الآمنين، فإن قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة:١٧٩]، ويترتّب على تنفيذ القصاص، وإقامة الحدود الأخرى، أن يخيم الأمن على المجتمع، ويعيش الناس في استقرار وطمأنينة. قال -ﷺ-: «لَحَدٌّ يُقام في الأرضِ خيرٌ مِن أن تمطَروا أربعينَ خريفًا »[أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٢، ٤٠٢)، والنسائي في قطع السارق (٤٩٠٤)، وابن ماجه في الحدود (٢٥٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه، وصححه ابن الجارود (٨٠١)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣١).].

الحق الثاني من حقوق الإنسان في الإسلام
حق العيش بكرامة وعدم اهانة

يا خير أُمة أُخرجت للناس، لقد قرّر ديننا الإسلامي العظيم قبل خمسة عشر قرناً بأن الإنسان مُكرّم لا مُهان، لقوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء:٧٠]، ونظر الإسلام إلى الإنسان بأنه حُر، وليس عبدا، وتمثل ذلك بقول الفاروق عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: (متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً)، هذه العبارة الذهبية التي نطق بها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في وجه عمرو بن العاص والي مصر وقتئذ لماذا؟ لأن أحد أبناء عمرو بن العاص قد اعتدى على مصري قبطي دون وجه حق، فأنزل عمر عقابه على المعتدي، فهذه عدالة الإسلام وهذه رعايته للإنسان.

واعتبر ديننا الحنيف أن الناس جميعاً متساوون في الحقوق الإنسانية، وأن الأفضلية فيما بين الناس (المسلمين) تعتمد على التقوى، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، ولقول رسولنا الأكرم -ﷺ-: «ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى» [أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١٠٠)، والبيهقي في الشعب (٤/ ٢٨٩) من طريق أبي قلابة القيسي، عن الجريري، عن أبي نضرة، عن جابر قال الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٦٦): "رجاله رجال الصحيح"، وصححه الألباني في السلسلة (٢٧٠٠)] وها هو المصطفى عليه الصلاة والسلام يُعلنها مدوية للعالم أجمع شعاراً للعدل والمساواة يوم جاءوا يشفعون للمرأة المخزومية التي سرقت فقال بأبي وأمي -ﷺ-، «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٥)، ومسلم في الحدود (١٦٨٨) عن عائشة رضي الله عنها.]، فأين هذه القيم الرفيعة فيما بين المسلمين اليوم.

أزمة الأمة اليوم

الأمة اليوم أزمتها أزمة أخلاق وحقوق وحريات ليست أزمتها أزمة عدد فعددنا تجاوز المليارى مسلم.

الأمة اليوم أزمتها ليست أزمة مال فهي تملك ثلُث ثروات العالم من البترول والغاز والمعادن إنما أزمتها أزمة استعباد للبشر وضياع للأمانة.

الأمة اليوم أزمتها ليست أزمة أسلحة فهي تمتلك أسلحة أكثر من عدد المقاتلين بل أكثر، صفقات الأسلحة يشتريها عرب لا لشيء إلا للاستعراض بها في المناسبات والأعياد الوطنية أولا ولقمع الشعوب ثانياً إلا من رحم الله.

أسدٌ علي وفي الحروب نعامةٌ فتخاء تفر من صفير الصافر

الأمة اليوم أزمتها أزمة أخلاق يوم أصبحنا نذكر الوعد الصادق للغربي ونقول: «وعد نصراني» يوم أخلفنا نحن الوعود، وديننا دين الوفاء بالوعد.

الأمة اليوم أزمتها أزمة أخلاق يوم أصبحنا نذكر الصناعة وجودتها وإتقانها عند الغرب واليابانيين وضعف الصناعة والغش عند العرب والمسلمون إلا من رحم الله.

الأمة اليوم أزمتها أزمة علم وضعف تعليم يوم تقدّم الغرب علمياً وصناعياً وأصبحت الشهادات عندنا تُباع وتشترى. .

الأمة اليوم أزمتها أزمة عدل ومساواة يوم أن نذكر العدل والمساواة في محاكم الغرب، والظلم والرشوة في محاكمنا.

الأمة اليوم أزمتها أزمة أمانة وعدل يوم نرى وزراء ومسؤولين غربيين غير مسلمين أفسدوا وارتشوا وتمت محاكمتهم بل والبعض أُعدم بينما عندنا ينالوا ترقيات وترتفع مناصبهم.

حُرمة الإنسان

ومن مبادئ حقوق الإنسان في الإسلام أنه لا يجوز أن يؤذى إنسانٌ في حضرته، ولا أن يهان في غيبته، سواءً كان الإيذاء للجسم أو للنفس بالقول أو الفعل، ومن ثم حرّم الإسلام ضرب الآخرين بغير حق، ونهى عن التنابز والهمز واللمز والسخرية والشتم، روى البخاري أن رجلاً حُدّ مراراً في شرب الخمر، فأُتي به يوماً، فأُمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي -ﷺ-: «**لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله**»[أخرجه البخاري (٨ / ١٤)].

ولم يكتفِ الإسلام بحماية الإنسان وتكريمه حال حياته، بل كفل له الاحترام والتكريم بعد مماته، ومن هنا أمر بغسله وتكفينه، والصلاة عليه ودفنه،

ونهى عن كسر عظمه أو الاعتداء على جثته وإتلافها، روى البخاري أن رسول الله -ﷺ- قال: «**لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا**»[صحيح البخاري في كتاب: الجنائز، باب: ما ينهى من سب الأموات (١٣٩٣)].

أسأل الله أن يوفقنا لطاعته، وأن يجنبنا معصيته، إنه خير مسؤول، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

حقوق الإنسان (٢)

الحمد لله الذي رفع السموات بغير عمدٍ ترونها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي جعل السعادة في طاعته، والشقاء والذلة في معصيته.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، الذي جاء بالحبل المتين، والصراط المستقيم، وعلى آله وصحابته، ومن سار على سنته، واقتفى أثره إلى يوم الدين.

و بعد:

لا زال الحديث عن حقوق الإنسان في الإسلام، وهذا هو اللقاء الثاني.

حقوق الإنسان كما جاء بها الإسلام حقوقٌ أصيلة أبدية لا تقبل حذفاً ولا تعديلاً ولا نسخاً ولا تعطيلاً، إنها حقوق مُلزمة شرعها الخالق سبحانه وتعالى، فليس من حق بشر كائناً من كان أن يُعطّلها أو يتعدى عليها، ولا تسقط حصانتها الذاتية لا بإرادة الفرد تنازلاً عنها ولا بإرادة المجتمع ممثلاً فيما يقيمه من مؤسسات أياً كانت طبيعتها وكيفما كانت السلطات التي تخولها.

وعرفنا أن للإنسان في الإسلام حقوق ومنها **حق الحياة** فلا يحق لأي إنسان مهما كان أن يسلب إنسان آخر روحه وحياته، ولا يحل لأي إنسان أن يعتدي على آخر في نفسه وماله وعرضه، فالمسلم في الإسلام هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده، و«**لا يحل دم امرئٍ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس والثيب الزاني والمفارق دينه تارك الجماعة**»[أخرجه البخاري في صحيحه في الديّات (٦/ ٢٥٢١) (٦٨٧٨)].

والحق الثاني حق الكرامة: فالله عزوجل كرّم الإنسان ورفع من شأنه سواءً كان أسود أو أبيض، عربي أو أعجمي، ملك أو مملوك كلهم عند الله سواء، ها هو رسول الهدى -ﷺ- يُعلن للعالم أجمع أنه لا عصبية في الإسلام ولا عنصرية ولا طائفية إنما هي أخوة وتناصح، يقول -ﷺ- لأبي ذر حين قال لرجل : «**يا ابن السوداء**» فقال النبي المصطفى-ﷺ-: «**أعيّرته بأمه انك امرئٌ فيك جاهلية**» [أخرجه البخاري في الأدب (٦٠٥٠)، ومسلم في الأيمان (١٦٦١) من حديث أبي ذر رضي الله عنه بنحوه.].

كرامة الإنسان محفوظة في الإسلام ومن هنا كان قذف المحصنات من أكبر الكبائر قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾ [النور:٢٣]، وقال -ﷺ-: «**من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال وليس بخارج**»[مسند أحمد (٢/ ٨٢)، سنن أبي داود: كتاب الأقضية (٣٥٩٧)، مستدرك الحاكم (٢٢٢٢)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٨٢، ٨/ ٣٣٢)، والخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ٣٩٢)، وهو في السلسلة الصحيحة (٤٣٧)]، وردغة الخبال هي عصارة أهل النار عياذًا بالله.

أين كرامة المسلم الفلسطيني يوم يُشرد ويُهان ويُقتل.

أين كرامة المسلم في أفغانستان وكشمير وبورما والصين وغيرها.

أن الأمة اليوم بحاجة إلى أن تصلح علاقتها مع ربها كي يصلح الله أحوالها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[الرعد: ١١].

حرية العقيدة والدين

والحق الثالث من حقوق الإنسان في الإسلام الحق في حرية العقيدة والدين، قال عز وجل: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾[البقرة: ٢٥٦]، ولو كان الإسلام يعتمد العنف والقهر والإكراه لترسيخ عقيدته في النفوس فلن يكون هناك أقوى ولا أغلب ولا أقهر من الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾ [يونس: ٩٩].

وعلى هذا المبدأ سار المسلمون في معاملاتهم وحروبهم مع أهل الأديان الأخرى، فكانوا يبيحون لأهل البلد الذي يفتحونه أن يبقوا على دينهم مع أداء الجزية والطاعة للحكومة القائمة، وكانوا في مقابل ذلك يحمونهم ضد كل اعتداء، ويتركون عقائدهم وشعائرهم ومعابدهم، وفي هذا يقول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في معاهدته مع أهل بيت المقدس عقب فتحه له:

«هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم ولكنائسهم وصلبانهم. . . لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقض منها ولا من خيرها لا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم»[الفاروق عمر بن الخطاب تأليف محمد رضا ص ٢٠٦ طبع دار الكتب العلمية لبنان الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ]..

وهذا عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- يوم فتح الإسلام والمسلمون مدينة سمرقند، وعرف أهل سمرقند أن الفتح لمدينتهم فتحٌ باطل؛ سبحانك ربي! لماذا؟ لأن المسلمين دخلوا المدينة عنوة دون أن يبلغوا قومها الإسلام، فإن أبوا فالجزية، فإن أبوا فالقتال، هكذا علّمهم سيد الرجال -صلى الله عليه وسلم-، ولكنهم ما فعلوا

ذلك.

فأرسل أهل سمرقند رسالة إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز طيّب الله ثراه، وأخبروه بأن فتحهم الإسلامي لمدينتهم فتح باطل؛ وبينوا له ذلك، فما كان من هذا العملاق الذي تربى في مدرسة النبوة، إلا أن يصدر الأوامر إلى قائد جيشه الفاتح في مدينة سمرقند بالانسحاب فوراً، فانسحب الجيش بكامله خارج سمرقند فخرجت الألوف المؤلفة من أهل سمرقند بين يدي هذا الجيش المنسحب المنتصر ليعلنوا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله!

وهذا صلاح الدين -رحمه الله- يوم فتح القدس، قدّم يومها درساً عملياً للصليبين الحاقدين من أعظم دروس التسامح، يوم أن أرسل طبيبه الخاص بدواء من عنده، لعلاج عدوه اللدود ريتشرد قلب الأسد.

وهذا محمد الفاتح يُعلم الدنيا كلها درساً آخر من دروس التسامح الإسلامي مع غير المسلمين، يوم فتح ودخل القسطنطينية.

كل هذا تاريخ مسطور؛ ولذا يقول المفكر الشهير "غستك لبون" قولاً ينصر الحق قبل أن ينصف الإسلام والمسلمين، ليعلنها صريحة ويقول: «**ما عرف التاريخ ديناً فاتحاً متسامحاً كالإسلام، وما عرف التاريخ أمة فاتحة منتصرة متسامحة كأمة الإسلام! ! !**».

إن منهج الإسلام في المعاملة الإنسانية لا يفرق بين الناس في الدين والعقيدة، لذلك أوجب إقامة العدل بين جميع الناس، ومنع الظلم عامة، وحمى الدماء والأبدان والأموال والأعراض للمسلمين ولغير المسلمين، وأمر

بالإنصاف ولو مع العداوة واختلاف الدين، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة: ٨].

وقال رسول الله -ﷺ- : «من ظلم مُعاهِدًا، أو انتقصه حقًا، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة»[سنن أبي داود، وأخرجه أيضا البيهقي في الكبرى، وحسنه الألباني في غاية المرام (٤٧١)].

وروى البخاري أن رسول الله -ﷺ- قال: «من قتل معاهَدًا لم يَرح رائحة الجنة، وإنّ ريحها ليوجَد من مسيرة أربعين عامًا» [أخرجه البخاري في الجزية (٣١٦٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما].

هذا هو الإسلام ودين الإسلام وسماحة الإسلام ورحمة الإسلام.

حق حرية الكلمة والتعبير

ومن حقوق الإنسان في الإسلام حق حرية الكلمة والتعبير، فلقد منح ديننا الإسلامي العظيم حرية الكلمة وشجّع على قول الحق والصدق قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [النساء: ١٣٥]، فالمسلم مُلزم بقول الحق ونصرة الحق والدفاع عن الحق فالساكت عن الحق - أي عن قول الحق شيطان أخرس.

كما حث الرسول -ﷺ- المسلمين على ممارسة حقهم في التعبير وفي إبداء الرأي وعدم التردد فقال -ﷺ-: «لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن

أساءوا فلا تظلموا»[أخرجه الترمذي في البر والصلة (٢٠٠٧) من حديث حذيفة رضي الله عنها، وقال: "حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه"، وأورده الألباني في ضعيف الترغيب (٢/ ٧٧).].

فقد أقر الإسلام هذا الحق في أوسع نطاق، لمنح كل فرد الحق في النظر والتفكير وإبداء رأيه بطرق سليمة وواضحة.

ولقول رسولنا الأكرم -ﷺ-: «إذا رأيت أُمتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم، فقد تُودع منها» [أخرجه أحمد (٢/ ١٦٣، ١٩٠) من حديث عبد الله بن عمرو.] وقال -ﷺ-: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[سنن النسائي (٤٢٠٩).]، فالرسول عليه الصلاة والسلام يحذر من السكوت على الظالم، وهذا هو الملاحظ في عصرنا الحاضر فقد انطبقت نبوءة الرسول عليه الصلاة والسلام على أمتنا الإسلامية التي تهاب وتخاف من الظالم، فلا تقول له: أنت ظالم، وفي حديثٍ نبوي آخر: «إن من أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» [سنن النسائي (٤٢٠٩)]، وقال الخليفة أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-: «أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيتُ الله فلا طاعة لي عليكم»[[١٣٢٤٩]) ((سيرة ابن هشام)) (٤/ ٦٦١)] ، فأين حكام العالم الإسلامي اليوم من هذه المقولة السامية التي قيلت قبل أربعة عشر قرناً ؟.

أيها الأحبة:

صعد عمر بن الخطاب مرة على المنبر فقال: «إن وجدتم فيّ اعوجاجاً فقوموني»، فيقف أعرابي قائلاً: والله لو وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناه بحدِّ سيوفنا، فلم يغضب عمر من قول الأعرابي ولم يعتقله، ولم يوجه له تهمة التآمر

والخيانة، بل قال: «الحمد لله الذي جعل في أمة محمد من يقوِّم اعوجاج عمر».

و يصعد عمر مرة أخرى على المنبر فيقول: «اسمعوا وأطيعوا»، فيعترضه رجل قائلاً: لا سمع ولا طاعة، فلم يتأثر عمر من هذه الاعتراض، ولم يغضب، بل استفسر قائلاً: «لماذا لا تريد السمع ولا الطاعة؟ » فقال الرجل: قال ولم؟ قال أعطيت الناس، كل واحد ثوباً وأنت أخذت ثوبين، فقال لابنه: قم يا عبد الله وأخبره خبر الثوبين. فقال عبد الله: إن أبي رجل طوال ولا يكفيه ثوب واحد، فأعطيته ثوبي إلى ثوبه ليلبسه[هذه القصة ذُكرت في كُتب الأخبار دون اسناد، ذكرها ابن قتيبة في عيون الأخبار، وابن الجوزي في صفة الصفوة وفي مناقب عمر، واسندوها إلى العتبى من حكايته وبينه وبين الصحابة مفاوز بعيدة].

وحين تبيّنت الحقيقة الواضحة لهذا الرجل قال: الآن نسمع ونطيع، وقال عمر قولته المشهورة: «لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نسمعها».

أيها الأخوة:

هذا هو دينكم العظيم، دين العدل، دين الحرية، دين الحضارة، دين الإنسانية، هذا دينكم الذي يحفظ للمواطن كرامته وماله وعِرضه، وأعطاه حقوقه ومنحه حرية الكلمة، وشجعه على قول الحق والصدق، جاء في الحدث الشريف: «من أعطى الذلة من نفسه طائعاً غير مكره، فليس مني» [أخرجه الطبراني في الأوسط، وعزاه الهيثمي للطبراني، وضعفه أيضاً الألباني في السلسلة الضعيفة (٣١٠)] صدق رسول الله -ﷺ-.

نعم، إنها حقوق الإنسان، إن من حقك أن تعيش محترماً؛ في كلمتك، وفي رأيك، وفي بيتك، وفي قلمك، وفي مالك، لا تعيش خوفاً ولا بطشاً، ولا إرهاباً ولا تخويفاً، وهذا ما كفله الإسلام لجميع المسلمين على حد سواء، لا فرق بين

أبيض وأسود، ولا غني وفقير، ولا كبير وصغير؛ الكل في ميزان الإسلام سواء.

جبلة بن الأيهم ملك من ملوك الغساسنة أسلم زمن عمر، جاء لأداء فريضة الحج وكان يطوف حول البيت الحرام، فداس أعرابي خطأً على إزاره فسقط فلطمه جبلة فهشم أنفه، فشكى الأعرابي أمره إلى الخليفة عمر، فطلب جبلة، وخيّر الأعرابي بين القصاص والدية فأبى الأعرابي إلا القصاص، فقال له عمر: يا جبلة مكن الأعرابي منك ليقتص، فقال جبلة: أتمكنه مني وما هو إلا من سوقة الناس وعامتهم فقال عمر: «**دعك من هذا فقد سوى الإسلام بينكما**»، فقال جبلة: إذن أمهلني إلى غد، فلما كان الليل هرب ولحق بملك الروم وتنصّر.[القصة مشهورة في كتب التاريخ لكن بدون اسناد، وقال ابن عساكر : ان جبلة لم يسلم قط وهكذا صرح الواحدي وسعيد بن عبد العزيز، وذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية الجزء الثامن].

إن الأمة الواعية فهي التي تقوّم الانحراف، وتقول للمخطئ أخطأت، وللظالم ظلمت، وللمصيب أصبت، وللعادل عدلت. يقول عليه الصلاة والسلام: «**إذا تهيبت أمتي أن تقول للظالم فقد تُودع منها**» [أخرجه أحمد (٢/ ١٦٣، ١٩٠) من حديث عبد الله بن عمرو].

أي سقطت من عين الله، فلا يرضاها أمة شاهدة، ولا يرضاها أمة رائدة، ولا أمة وسطاً.

حق المسكن وحُرمته

لقد حفظ الإسلام للإنسان حق السكن بل وكفل له الأمن في مسكنه لأنه مأواه ومكمن سره ومكان راحته وطمأنينة نفسه.

فالسكن من الأمور الأساسية لضمان حياة كريمة، تبعده عن عوارض الكون كحر الصيف وبرد الشتاء.

ضَمِن الإسلام هذا الحق لكل سكان الدولة الإسلامية من المسلمين وأهل الذمة.

وحفظاً لهذا الحق قررت الشريعة الإسلامية حُرمة المسكن لكل فرد، فإذا ما توفر للفرد مسكن فلا يجوز لأحد أن يعتدي على حرمة ذلك المسكن بل ولا يجوز لأحد أن يدخل مسكناً إلا بإذن صاحبه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ ﴾ [النور: ٢٧-٢٨]، وقال -ﷺ-: « إذا استأذن أحدكم ثلاث مرات فلم يؤذن له وإلا فليرجع »[ابن حبان في صحيحه ج ١٣/ ص ١٢٣ حديث رقم: ٥٨٠٦،((صحيح الأدب المفرد)) (٨٢٧ و ٨٣٢)((الصحيحة)) (٣٤٧٤)]، كذلك قال -ﷺ-: «لو اطلع في بيتك أحدٌ ولم تأذن له حذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك جناح»[متفق عليه].

حق التعليم والتعلم

ومن حقوق الإنسان في الإسلام حق التعليم والتعلم، فقد كانت أولى آيات القرآن الكريم دعوة للقراءة والمعرفة قال تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ﴾ [العلق: ١ -٣]

كما قدّر القرآن مكانة العلم والعلماء، قال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩ ﴾ [الزمر: ٩]، وإننا لنرى في الإسلام منزلة الجهاد والمجاهدين وكم حث الإسلام على الجهاد إلا أنه جعل طلب العلم

والتعليم مبرراً كافياً للتخلف عن الجهاد إذا لم يتعيّن، أي الجهاد، قال تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢]، فهو حق كفله الإسلام لأفراد الدولة وحثهم على طلبه في شتى فروعه المختلفة وعلومه المتنوعة ما لم يكن ضاراً بالمجتمع أو لم يترتب على اكتسابه مصلحة.

وقد بلغ اهتمام الإسلام بالعلم وحرصه على تعميمه، أن جعل إحدى الوسائل المؤدية إلى الإفراج عن الأسرى بقيام كل واحد منهم تعليم عدد من أبناء المسلمين وهذا ما وقع في غزوة بدر.

حق العمل

كفل الإسلام الحق في العمل لكل فرد وفي تولي الوظائف العامة في الدولة الإسلامية لجميع الأفراد الذين يعيشون في كنَف هذه الدولة دونما تفرقة أو تمييز بينهم لأي اعتبار كان سوى اعتبار الكفاءة والاقتدار والنزاهة، ومؤدى ذلك أن لكل فرد الحق في العمل الذي يتفق مع قدراته وميوله.

نتكلم عن حق الإنسان في العمل ونحن نرى من يملكون شهادات ومؤهلات لكنهم لم يجدوا وظائف، وفي الجانب الآخر نجد من لا يملك حتى الثانوية ويوظف لأن لديه محسوبية ووساطة ورشوة.

حق التنقل وحرية السفر

التنقل حق الإنسان في داخل بلده، وكذلك السفر خارجه بحرية تامة دون عوائق تمنعه من هذا الحق إلا إذا تعارض مع حق غيره أو حقوق الجماعة.

فلا تقوم حياة إلا بالحركة وهي وسيلة للعمل، والعمل وسيلة للكسب، والكسب وسيلة للحياة، وقوام الحركة التنقل بالغدو والرواح.

فقد أقر الإسلام حرية التنقل مطلقة في المباحات والسفر للتجارة والتكسب وغير ذلك، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾ [الجمعة:١٠]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾ [الملك: ١٥].

وقد أوقع الإسلام أشد العقوبة بمن مس أمن وحرية الأفراد في التنقل بين أرجاء الدولة أو من دولة إلى أخرى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المائدة: ٣٣]، ومع ذلك استثنى القرآن من العقاب من يثبت رجوعه عن الجريمة ومؤتيه منها قبل إلقاء القبض عليه فقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾ [المائدة: ٣٤]

الحق في احترام إنسانية الإنسان

وذلك فيما يتصل بالآداب الإنسانية في الحياة وبعد الممات فقد روى البخاري عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: مرّت جنازة فقام النبي -صلى الله عليه وسلم-: وقمنا فقلنا يا رسول الله إنها جنازة يهودي فقال: «**أوليست نفساً إذا رأيتم الجنازة فقوموا**»[أخرجه البخاري في الجنائز (١٣١٣)، ومسلم في الجنائز (٩٦١) من حديث سهل بن

حنيف وقيس بن سعد رضي الله عنهما].

الحق في احترام العهود والمواثيق وعدم النكث بها

أوجب الإسلام على المسلمين أن يحترموا كل عهد وميثاق أبرموه مع أي طرف كان، وأن لا يعتدوا على قومٍ بينهم ميثاق ما لم ينقضوا شيئاً منه أو يعينوا على المسلمين غيرهم.

وقد ذكر الله ذلك في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [التوبة: ٤].

ولقد ضرب خلفاء المسلمين وقادتهم أمثلة فريدة في الوفاء بالعهد تمتلىء بها كتب السير والتاريخ.

حقٌ يراد به باطل

هذه بعض حقوق الإنسان في الإسلام ألا فليسمعها دُعاة الحرية المفتوحة. ألا فليسمعها المعجبون بالغرب، وما أكثر ما نرى دعاة حقوق الإنسان، وحماة حقوق الإنسان كم رأينا ممن يتبجحون بحقوق الإنسان في ميثاق الأمم المتحدة فباسم حقوق الإنسان تصدر النداءات والتوصيات للاعتراف بحق الشذوذ الجنسي، وبحق الزواج المثلي، وبشرعية الأسرة الناشئة عنه، وبالحق في إجهاض الأجنة ولو كانت في شهرها التاسع وبدون أي ضرورة، وبالحق في تغيير الجنس من ذكر لأنثى ومن أنثى لذكر.

وباسم حقوق الإنسان يدافعون عما يسمونه حرية العقيدة، أي عقيدة، ولو تجسّدت في حركة عبادة الشيطان أو في السحر والشعوذة والوصول إلى الانتحار الجماعي.

وباسم حقوق الإنسان يضغطون من أجل تعليم الطفل الثقافة الجنسية

والحق في الممارسة الجنسية.

وباسم حقوق الإنسان يحاولون إلغاء ما بين الرجل والمرأة من اختلافات وتمايزات فطرية ليفرضوا عليهما المساواة التطابقية القسرية.

وباسم هذه المساواة، تحولت المرأة إلى مجال الامتهان والابتذال، تساق إليه بوتيرة وكيفية مذهلة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الإنسان. . فالمرأة أصبحت سلعة. . والمرأة مسخرة لترويج البضائع والإعلان عنها، والمرأة للمتعة الحرام، وللمنافسة بين القنوات التلفزيونية وجلب المشاهدين لها، والمرأة لعرض الأزياء، أو لعرض الأشلاء باسم الأزياء. . . !

حقوق الإنسان في الإسلام أعمق وأشمل من حقوق الإنسان في الوثائق الوضعية، فحقوق الإنسان في الإسلام مصدرها كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ-، أما مصدر حقوق الإنسان في القوانين والمواثيق الدولية فهو الفكر البشري، والبشر يخطئون أكثر مما يصيبون، ويتأثرون بطبيعتهم البشرية بما فيها من ضعف وقصور وعجز عن إدراك الأمور والإحاطة بالأشياء، وقد أحاط الله بكل شيء علماً.

ألا فلنعُد إلى الإسلام ديناً وشريعةً وتحكيماً وعِزةً به.

أسأل الله أن يبرم للإسلام وأهله إبرام رُشد يُعَز فيه وليه، ويذل فيه عدوه، ويهدى به من أراد الحق، وصلّ الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

حقوق الطفل (١)

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، حمداً يوازي نعمته علينا بالإسلام. . . إذ أنزل إلينا خير كتبه، وأرسل إلينا أفضل رسله وشرَع لنا أفضل شرائع دينه، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس. . . والصلاة والسلام على خير البرية، وآله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، **وبعد**.

سنبدأ مع حقوق الطفل في الإسلام.

لماذا الحديث عن حقوق الطفل في الإسلام؟

لأننا نسمع الذين يتبجحون بأن الغرب عندهم للأطفال حقوقاً ليست عند المسلمين، وأن وضع الطفل الغربي أفضل وضعاً وأحسن حالا من أطفال المسلمين.

نتكلم عن حقوق الطفل في الإسلام لأن:

١) ٣٠٠) مليون طفل حول العالم معرضون للعنف والإساءة في أسوأ أشكالها. .

٢) ٢٠) ٪ ممن يُقتلون في فلسطين المحتلة على أيدي الصهاينة هم من الأطفال.

٣) ١٠٠) مليون طفل يعيشون في الشوارع على مستوى العالم.

٤) ٩٠) مليون طفل لم يلتحقوا بالمدارس.

٥) في البلدان النامية هناك حوالي(٢٥٠)مليون طفل يعملون، منهم

(١٤٠) مليون من البنين و(١١٠) مليون من البنات.

٦) ٦) ملايين طفل أصيبوا في الصراعات المسلحة.

٧) (٢.٠٠٠.٠٠٠)طفل في العالم (ذكوراً وإناثاً) يتم استخدامهم سنوياً في سوق الدعارة الدولية بوسائل وطرق مختلفة.

أما في بلادنا الحبيبة فحدث ولا حرج .

نتكلم عن حقوق الطفل لأن الطفل عجينة تشكلها كما تشاء.

لأن الطفل ورقة بيضاء تنقش فيها ما تريد.

إذا أردنا أن ننظر إلى حضارة أي دولة في العالم وأي أُمة فلننظر إلى شبابها ماذا يفعلون فيما يفكرون ما هي أهدافهم ما هي أمنياتهم؟ .

وإذا أردنا أن ننظر إلى مستقبل أي أمة فلننظر إلى أطفالها كيف يعيشون كيف يُعاملون ما هي حقوقهم؟ .

الطفل في الشريعة الإسلامية: هو كل من لم يبلغ سن التكليف وعرّفته اتفاقية الطفل بأنّه: (كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة).

لقد اهتم الإسلام بحقوق الطفل في جميع مراحل حياته.

أولاً مرحلة ما قبل الحمل

فمن الأمور العظيمة في هذا الدين أنه اهتم بالأطفال قبل الحمل قبل أن يوجدوا. ولعل أبرز حق وأعظمه ضمنه الله للطفل في هذه المرحلة هو اختيار والديه بعضهما لبعض أن تختار المرأة الرجل وأن يختار الرجل المرأة ولا أحد يُكره على الزواج.

هذا الدين العظيم جعل الرجل لا يُكره ولا أحد يمكنه أن يلزمه بالزواج،

سواءً كان أباه أو أمه أو الحاكم، كذلك الأمر بالنسبة إلى البنت لا تُلزم ولا يُمكن أن يلزمها أحد؛ لذلك قال الرسول -ﷺ-: «والبِكْرُ تُسْتَأْذَنُ فِي نَفْسِهَا، وإِذْنُهَا صُمَاتُهَا»[رواه الجماعة والبخاري]. فتُستأذن لأنها بحيائها ورقتها قد لا تُصرّح، لكن حالها وصمتها وأسارير وجهها تبين لولي أمرها أنها راضية وراغبة في الزواج.

ومن حق الطفل على أبيه أن يختار أمه. روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أَبي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- عن النّبيّ -ﷺ- قال: «تُنْكَحُ النِّسَاءُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَلِجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ». وروي عن عائشة رضي الله عنها أن الرسول -ﷺ- قال: «تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُم»[رواه ابن ماجة والحاكم في المستدرك والبيهقي في السنن والسيوطي في الجامع الصغير وصححه].

ومما يزيد هذا الكلام نفاسة وقيمة بيان ربنا في القرآن الكريم أن الذرية لها تأثر كبير بآبائها، فيقول الحق سبحانه: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. فعندما تُسأل: من أين هذه الثمرة؟ تقول: من هذه الشجرة. فلا تظنن الإنسان مقطوع الصلة بوالديه وأجداده وتاريخه.

وهل يُرجى لأطفال كمال إذا رضعوا ثدي الناقصات.

كما أن من حقه على أمه وذويها اختيار الأب الفاضل. أخرج الترمذي وابن ماجة والحاكم وصححه عن أبي هُرَيرَةَ -رضي الله عنه- قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «إذا خطبَ إليكُمْ من ترضونَ دينهُ وخلقهُ فزوِّجوهُ، إلاَّ تفعلوا تكنْ فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ عريضٌ». فلا تُزوج لمشرك أو ملحد لا يعطي وزنا للدين، قال تعالى: ﴿وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُومِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّومِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَو أَعْجَبَكُم﴾[البقرة: ٢٢١]. كما لا تزوج لفاسق غارق في المعاصي والمنكرات،

صح عن الإمام الشعبي قوله: «من زوّج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها».

وأما أثناء الحمل فقد تحدث الحق سبحانه عن جملة من الحقوق المرتبطة بالطفل حال كون أمه حاملا به:

على رأس ذلك أن تكون حاملا في بيت زوجها، وأن ينفق عليها، وأن يعتني بها مهما كانت الظروف حتى تضع حملها، قال تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:٤]. فالطفل في بطن أمه شديد التأثر بحالها، فإذا كانت قلقة ومضطربة ومتعبة فإن نصيباً من ذلك يناله، والعكس بالعكس.

مع تطور وسائل الملاحظة والمشاهدة، ووصولها إلى بطن الجسم الإنساني - وكل ذلك بإذن الله - كالتصوير والتسجيل الضوئي والصوتي، عُلم أن للجنين نفسية لا ينفصل فيها عن أمه تمامًا، فتراه في حالات انكماش واكتئاب مرة، وحالات انشراح وانبساط أخرى، بل يبدي الانزعاج لبعض مخالفات أمه؛ كالتدخين مثلًا، عافانا الله والمسلمين عمومًا.

سيدة حاملة في «دمشق» كانت تكثر من قراءة القرآن وسماعه قائمة وعاملة ومضطجعة، والنتيجة أنه عندما وُلِد الجنين تمكن -بفضل الله- أن يختم القرآن؛ حفظًا وتلاوة في الخامسة من عمره، فتبارك الله أحسن الخالقين! موجز القول: أن الجنين الذي يحيا في رباط مع أمه، سعيد من العواطف المُفْعَمة بالرضا والسكينة، يستجيب -بإذن ربه- بعد ولادته، معترفًا بإحسان أمه إليه في سلوك سَويٍّ ونفسية هادئة غالبًا، لسان حاله: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن:٦٠]

ومن أعظم ما ضمنه الله تعالى للطفل وهو في بطن أمه حق الحياة، فمنذ أن تبدأ نبتته في الأحشاء فهو إنسان لا يجوز للدنيا كلها أن تسقطه. فمما بايع عليه الرسول -ﷺ- النساء عدم الاعتداء على حياة أجنتهن، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٢].

ويتعزز هذا الحق ولو كان الجنين من الزنا، روى الإمام مالك في الموطأ عن عبد اللهّ بن أبي مُلَيْكة أن امرأةً أتت النبي -ﷺ- فأخبرته أنها زنت وهي حامِلٌ، فقال لها رسول اللهّ -ﷺ-: «اذهبي حتى تَضَعِي». لماذا لم يطبق عليها الحد فوراً؟ لأنها ليست وحدها، إن هناك إنسانا آخر في أحشائها. فلما وضعَتْ أتته، فقال لها: «اذهبي حتى تُرضعيه»، فلما أرضَعَتْ أتته فقال لها: «اذهبي حتى تَسْتَودِعيْه»، فاستودَعَتْه، بمعنى جعلته عند من يحفظه ويرعاه، ثم جاءته فأمر بها فأُقيم عليها الحدّ.

ويستغرب الإنسان من سؤال الكثير من إخوتنا المسلمين عن الإجهاض، فيقول السائل: إن رزقي لا يكفي فهل يجوز لي الإجهاض؟ ! سبحان الله! هل اطلعت على رزقك؟ ! وإذا كان رزقك كذلك، فهل اطلعت على رزق الجنين وما أعده الله له؟ ! ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام:١٥١]. فالفقر حاصل واقع، رغم ذلك لا يجوز الإجهاض، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ

قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ [الإسراء:٣١]

فالإملاق متوقع رغم ذلك لا يجوز الإجهاض. فلا في حالة الفقر الواقع ولا في حالة الفقر المتوقع يجوز إجهاز الجنين والاعتداء على حياته. فما الحل إذًا؟ إنه الصبر والتوكل على الله تعالى والتفكير في توسيع أبواب الرزق، عوض الوقوع في أحابيل الشيطان.

حقوق بعد الولادة

وللطفل في الإسلام حقوق بعد ولادته، منها:

أ- **حق الحياة**: فمن أبرز حقوق الأطفال التي تحدث عنها القرآن الكريم بعد ولادتهم حق الحياة، يقول الحق سبحانه: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾﴾ [التكوير:٨] كما حفظ الإسلام هذا الحق للأطفال ولو كانوا أبناء الكافرين المحاربين، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة:١٩٠]، فلا يقاتَل ولا يُقْتَل الأطفال لأنهم لا يُقاتِلون. في صحيح مسلم عن بريدة -رضي الله عنه- قال: كان رسول اللهّ -صلى الله عليه وسلم- إذا أمّرَ أميرًا على جيشٍ أو سريةٍ أوصاه في خاصّتِه بتقوى اللهّ تعالى ومَنْ معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «اغزوا باسْمِ اللهّ في سَبِيلِ اللهَّ، قاتِلُوا مَنْ كَفَرَ باللهّ، اغْزُوا وَلا تَغُلُّوا ولا تَغْدِرُوا وَلا تُمَثِّلوا وَلا تَقْتُلُوا وَلِيدًا». إن الإسلام دين هداية لا دين إبادة، والأطفال رغم كونهم أبناءَ كفارٍ إلا أنهم مشروعُ هداية.

ب- **حق الاعتبار والكرامة**: فيفرح به عند ولادته سواءً كان ذكرا أو أنثى، ويذكر الله تعالى ويشكره.

ولنحذر أيها الأخوة الأكارم من عادات الجاهلية التي فيها إذا بُشّر أحدهم

بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، وكم نرى من أمثال هؤلاء من تقول هل مبارك عليك المولود فيقول لك: "ما هي إلا بنت" مستصغراً عطاء الله له، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ج- **حق الاسم الحسن**: فيُسمّى اسماً حسناً، وذلك لأن الاسم جزء من شخصية الإنسان، وقد كان النبي -ﷺ- يحب الأسماء الجميلة، ويكره القبيحة ويبدلها. ففي صحيح مسلم والترمذي وغيرهما عن ابن عمر- رضي الله عنهما -أن النبيّ غيَّرَ اسم عاصية، وقال: «**أنت جميلة**». وفي رواية لمسلم أيضًا أن ابنةً لعمرَ كان يُقال لها: عاصية، فسمَّاها رسول اللهّ جميلة. وفي صحيح مسلم كذلك عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَطَاءٍ قَالَ: سَمَّيْتُ ابْنَتِي بَرَّةَ، فَقَالَتْ لِي زَيْنَبُ بِنْتُ أَبِي سَلَمَةَ: إِنَّ رَسُولَ اللهّ -ﷺ- نَهَى عَنْ هَذَا الِاسْمِ، وَسُمِّيتُ بَرَّةَ فَقَالَ رَسُولُ اللهّ -ﷺ-: «**لاَ تُزَكّوا أَنْفُسَكُمُ، اللهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ**»، فَقَالُوا: بِمَ نُسَمّيهَا؟ قَالَ: «**سَمّوهَا زَيْنَبَ**».

فيسمى المولود محمدا أو أحمد أو حميدة أو ما اشتق من ذلك، أو يسمى عبد مع إضافة اسم من أسماء الله تعالى، مثل عبد الله وعبد الرحمان وعبد الرحيم وعبد الرزاق، ففي صحيح مسلم عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول اللهّ -ﷺ-: «**إِنَّ أَحَبَّ أَسْمائِكُمْ إِلى اللهّ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدُ اللهّ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ**».

أو يسمى اسماً يرمز إلى خير، من مثل عمر ومصعب وصلاح الدين وخالد وسعد وفاطمة وزينب وعائشة وأسماء، مما يحمل معنى سليما ويرمز إلى شخصية عظيمة. كما ينبغي تجنب الأسماء القبيحة من مثل حرب وحادّة وعبد النبي.

ومن السنة أن نبدّل أمثال هذه الأسماء القبيحة، ففي سنن أبي داود بإسناد جيد وابن حبان في صحيحه عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: قال رسول اللهّ -ﷺ-: «**إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيامَةِ بأسْمائكُمْ وأسماءِ آبائِكُمْ، فأحْسِنُوا أسْماءَكُمْ**».

د- **حقه في الرضاع**: فالأفضل أن ترضعه والدته بما فيه الكفاية، قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾[البقرة: ٢٣٣]. فالرضاع الطبيعي هو أجود أنواع الرضاع للطفل وللأم، فلا حليب يناسب الطفل كحليب أمه، كما أن زهد الأمهات في ذلك خلاف الطبيعة مما يسبب أمراضا يعلمها المتخصصون، علاوة على ذلك لا يخفى أن رضاع الأم يكون ممزوجا بعطفها وحنانها ودفء أحضانها، وفي ذلك غذاء عاطفي رفيع، الحاجة إليه ليست أقل من الحاجة إلى الطعام والشراب.

هـ- **حقهم في الملاعبة والملاطفة والرحمة**: فقد كان محمد -ﷺ- بالرغم من مسؤولياته وأثقاله يداعب ويلاعب أبناءه وأبناء المسلمين. روى البخاري ومسلم والترمذي وغيرهما رحمهم الله عن أَنَس بن مَالِكٍ -رضي الله عنه- قال: كَانَ رَسُولُ -ﷺ- الله يُخَالِطُنَا حَتَّى كَانَ يقُولُ لأَخٍ لِي صَغيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيرُ؟ »، وقد بوّب البخاري لهذا الحديث بقوله: "باب الانبساط إلى الناس". ورُوي عن جابر -رضي الله عنه- قال: دخلت على النبي -ﷺ- وهو حامل الحسن والحسين على ظهره وهو يمشي بهما فقلت: نعم الجمل جملكما، فقال رسول الله -ﷺ-: «ونعم الراكبان هما». وفي الصحيحين عن أبي قتادة -رضي الله عنه- قال: « صلى بنا رسول الله عليه الصلاة والسلام فحمل أُمامة بنت زينب فكان إذا سجد وضعها وإذا قام رفعها » وعند النسائي عن أبي بسرة الغفاري: « أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- صلى بالناس فسجد، فأتى الحسن وأعجبه منظر الرسول -عليه الصلاة والسلام- ساجداً فامتطى ظهره الشريف -ظهر العظمة والزعامة، والطهر والعفاف- فمكث -ﷺ- طويلاً، لئلا يؤذي الحسن، ثم اعتذر للناس وقال: «إن ابني هذا ارتحلني -صعد على ظهري- فخشيت أن أقوم فأوذيه فانتظرت حتى نزل ».

وحدَث أن قبّل رسول الله -ﷺ- الحسن أو الحسين بن علي وعنده الأقرع بن حابس فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا قط، فنظر إليه رسول الله وقال: «**من لا يرحم لا يُرحم**» [البخاري ومسلم.].

وفي رواية أخرى: «**أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك**» [البخاري ومسلم.].

أسأل الله بمنه وكرمه أن يعيننا وإياكم على أداء الحقوق، وأن يقوي إيماننا وأن يرفع درجاتنا إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

حقوق الطفل (٢)

الحمد لله الواحد الأحداً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الفرد الصمداً وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أفضل من وحّد الله وعبداً اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً دائمين بلا عدد.

و بعد:

لا زلنا مع حقوق الطفل في الإسلام .

مكانة الأطفال

مع الأطفال تلك الزهرات الندية والبراعم الطرية التي خلقها الله من رحم الحياة الزوجية التي تكون سكناً ورحمة بين الأبوين وليتمم لهما هذه السعادة فيخلفهما من بعدهما، ويبر بهما إذا كبرا.

الأطفال هم زينة الدنيا وبراءتها التي يهفو لها كل حي، وهم النواة الحقيقية للمجتمع، فإذا أردت أن تنظر إلى حضارة أي دولة في العالم وأي أُمة فأنظر إلى شبابها ماذا يفعلون فيما يفكرون ما هي أهدافهم ما هي أمنياتهم؟ .

وإذا أردنا أن ننظر إلى مستقبل أي أمة فلننظر إلى أطفالها كيف يعيشون كيف يُعاملون ما هي حقوقهم؟ .

إن الخطوة الأولى في بناء المجتمع المسلم هي تربية الطفل المسلم، ولأهمية الطفولة نرى أن الطفولة الإنسانية هي أطول من أي طفولة في الكائنات الحية.

وقفنا مع حقوق للطفل قبل الحمل وأثناء الحمل وبعد الولادة، ومن حقوق

الطفل على أبويه حق التعليم؛ فقد حث الإسلام على طلب العلم وجعله فرض عل كل مسلم، وهذا ما فهمه علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم:٦]

فقال: « علموهم وأدبوهم ».

و قد روى الترمذي أن -ﷺ- قال: «**لأن يؤدب الرجل ولده خيرٌ من أن يتصدق بصاع**».

هناك آباء يُخرجون أبناءهم من المدارس بحجة العمل والتجارة.

هناك آباء يُخرجون أبناءهم من مدارس تحفيظ القران والعلم الشرعي بحجة العمل والتجارة والكسب وهذا مما لا ينبغي فعله.

ومن حقوق الطفل

حق المراقبة: نعم، إن مراقبة الطفل وحسن متابعته من حقه على أبويه؛ لأن في ذلك صلاحه ونجاته، فإنه لا يعقل أن يترك للطفل الحبل على الغارب بدعوى الحرية والتفتح.

كم رأينا من آباء تركوا لأطفالهم الحبل على الغارب، يفعلوا ما يشاءون ويصاحبوا من يشاءون، ويأخذون ما يشاءون فندموا أشد الندم بعد أن كبروا ووصلوا إلى مرحلة يصعب فيها التربية.

أيها الأخوة: علينا أن نُراقب أبناءنا بحكمة في مدخلهم ومخرجهم، في جدهم وهزلهم، في واجباتهم المدرسية والتعبدية، ولا بد من معرفة أصدقائهم ومرافقيهم، فالنبي -ﷺ- يخبر أن هذا مما سنُسأل عنه يوم القيامة، ففي الحديث

المتفق عليه عَنْ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أنّ رَسُولَ الله -ﷺ- قال: «كُلّكُم رَاعٍ، وكُلّكُم مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيّتِهِ».

ولا نعني بالمراقبة إخافتهم وتهديدهم بل تعليمهم، ومراقبتهم بلا مبالغة.

أخي الحبيب: متى آخر مرة زرت ابنك إلى المدرسة لتسأل عن حاله وأحواله، أين مستواه التعليمي؟ ؟ ! ! !

كم غاب هذا الشهر؟ اتق الله أيه الأب واعلم بأن أولادك أمانة في عنقك.

حق النفقة عليهم

الشريعة أوجبت على الأب: أن يبدأ بمن يعول، ينفق عليهم حتى يبلغ الذكر، وتتزوج الأنثى؛ ولذلك قال -ﷺ-: «أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله»[حديث صحيح رواه مسلم]. قال أبو قلابة: وبدأ بالعيال، وأي رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عياله الصغار؟ ! يعفهم، أو ينفعهم الله به ويغنيهم، قال -ﷺ-: «وكفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت» [حسن، سنن أبي داود: كتاب الزكاة - باب في صلة الرحم، حديث (١٦٩٢)، وأخرجه أيضاً أحمد (٢/ ١٦٠)، والطبراني في الكبير (١٣٤١٤)، وصححه ابن حبان (٤٢٤٠)، والحاكم (١/ ٤١٥)، وأصله عند مسلم: كتاب الزكاة - باب فضل النفقة على العيال. . . حديث (٩٩٦)بلفظ: ((كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته)). وانظر إرواء الغليل للألباني (٨٩٤)].

ونفقة الصغار لا تسقط بالإعسار عند العلماء، ويفرض على الأب القادر أن ينفق على أولاده، وأن يعمل ليكتسب مالاً، ويُحبس إذا امتنع، ويُرغم على العمل قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ﴾[الطلاق: ٧]، فإن كان عاجزاً فنفقته على بيت المال، لا يوجد شيء في الشريعة (أولاد من غير نفقة) أو (أطفال من غير مصروف) لابد أن يُوجد لهم مصروف ونفقة.

العدل بينهم

الإسلام يهتم بمشاعر الطفل، فالطفل مخلوق له أحاسيس ومشاعر فالعدل بين الأولاد واجب، في الهدايا والألعاب، والعيديات والأعطيات، إلا ما اقتضت المصلحة التفاوت فيه، وما وجد سببه: وفي الصحيح من حديث النعمان بن بشير أيضًا -رضي الله عنهما- أن أباه أتى به النبي -ﷺ- (بشير بن سعد أتى بأبنه النعمان إلى النبي -ﷺ- فقال: إني نحلت ابني هذا غلامًا كان لي ـ نحلته أي أعطيته ومنحته ـ غلامًا أي عبدًا ليكون ملكًا له. فقال عليه الصلاة والسلام: «أكُلّ ولدك نَحَلْت مثل هذا؟ » (أعطيت كل واحد من أولادك غلامًا كما أعطيت النعمان). قال: لا. فقال: «أرجعه». وفي رواية لمسلم «فعلت هذا بولدك كلهم؟ » قال: لا. قال -ﷺ-: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم» قال النعمان بن بشير: فرجع أبي في تلك الصدقة.

ولذا طبّق السلف هذا الأمر، فيقول إبراهيم التّيمي رحمه الله: «إنّي لو قبّلت أحدَ الصغار من أولادي لرأيتُ لازمًا عليّ أن أقبّل الصغيرَ مثله خوفًا من أن يقعَ في نفس هذا عليّ أذى». فما قامت السماوات والأرض إلا بالعدل، ولا يمكن أن تستقيم أحوال الناس إلا بالعدل؛ فمما يجب على الوالدين تجاه أولادهم أن يعدلوا بينهم، وأن يتجنّبوا تفضيل بعضهم على بعض، سواءً في الأمور المادية كالعطايا والهدايا والهبات، أو الأمور المعنوية كالعطف والحنان والفرح والحزن.

حق الطفل في التربية

فتربية الولد مسئولية واجبة: قال -ﷺ-: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»، وقال -ﷺ-: «مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»[أخرجه أحمد (٢/ ١٨٧)، وأبو داود في الصلاة (٤٩٥)، والدارقطني (١/ ٢٣٠)،

والحاكم (١/ ٣١١)، والبيهقي (٢/ ٢٢٨، ٢٢٩) من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه، وصححه الألباني في الإرواء (٢٤٧)]. قال ابن القيم رحمه الله: «**فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء، من جراء ترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً، فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كباراً**».

عاتب بعض الآباء ولده في العقوق، فقال الولد: يا أبت! إنك عققتني صغيراً، فعققتك كبيراً، وأضعتني وليداً فأضعتك شيخاً، والجزاء من جنس العمل.

ها هو النبي عليه الصلاة والسلام يغتنم كل فرصة تربوية لأجل الولد، أردف مرة ابن عباس -رضي الله عنهما- وراءه، قال: «**يا بني إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وأن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»[مسند أحمد (١/ ٢٩٣)، سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة (٢٥١٦) وقال: "حديث حسن صحيح"، وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/ ٤٦٠-٤٦١): "روي هذا الحديث عن ابن عباس من طرق كثيرة. . . وأصح الطرق الطريق التي خرجها الترمذي"، وهو في صحيح سنن الترمذي (٢٠٤٣)].

نعم أنه غَرْس الإيمان والعقيدة الصحيحة في نفوس الأولاد: فمما يجب ـ بل هو أوجب شيء على الوالدين ـ أن يحرصوا كل الحرص على غرس العقيدة الصحيحة، وأن يتعاهدوها بالسقي والرعاية، كأن يعلّم الوالد أولاده منذ الصغر أن ينطقوا بالشهادتين، وأن يستظهروها، وينمي في قلوبهم محبة الله عز وجل، وأنّ ما بنا من نعمة فمنه وحده، ويعلمهم أيضاً أن الله في السماء، وأنه

سميعٌ بصير، ليس كمثله شيء، وأن ينمي في قلبه محبة نبيه محمد-ﷺ- ، إلى غير ذلك من أمور العقيدة.

ولما رأى -ﷺ- يد عمر بن أبي سلمة تطيش في الصحفة -إناء الطعام- قال: «**يا غلام! سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**». وكان يمشي ومعه الحسن بن علي، فوجد تمرةً، فأخذها الحسن، فقال: «**كخ كخ، أما علمت أنّا لا تحلّ لنا الصدقة؟**».

فيجب على الوالدين الاعتناء بالأولاد وتربيتهم، فلا يقتصر على توفير المطالب الدنية من غذاءٍ وكساء ودواء كما يفعل كثير من الآباء، بل حق الأولاد في التعليم والتربية على الأخلاق الفاضلة أعظم وأوكد من حاجتهم إلى غير ذلك.

فإذا صرخ الصبي من الجوع طلبًا للطعام، فصراخ قلبه وعقله طلبًا للأدب والعلم أشد وأعظم، ولكن أني يسمعه أو يُحسّ به الغافل الأصمّ.

وإذا أمر النبي -ﷺ- بإزالة شعر المولود، وأخبر عنه أنه أذى فقال: «أميطوا عنه الأذى». فأذى الأخلاق الرذيلة والأفكار الرديئة أولى بالإماطة والإزالة.

علّموا أولادكم أصول الإيمان وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر.

وعلّموهم أركان الإسلام وهي: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصيام، والحج إلى بيت الله الحرام.

علموهم الحياء والعفة والصدق وسائر الأخلاق الفاضلة، وجنبوهم

الرذائل والفواحش وجميع المنكرات.

آداب الاستئذان

علموا أولادكم السلام عند دخولهم وخروجهم فهذا رسول الله -ﷺ- يوصي أنس -رضي الله عنه- ويقول له: «إذا دخلت منزلك فسلِّم على أهلك تكن بركة منك عليهم»[أخرجه الترمذي في الاستئذان (٢٦٩٨) و صححه الألباني في تخريج الكلم الطيب (٦٣)].

علموا أولادكم الاستئذان عند الدخول والخروج وطرق الأبواب حتى ولو على أهلهم قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨ ﴾ [النور: ٥٨].

فأمَر من لم يبلغِ الحلم بالاستئذان في تلك الأوقاتِ التي يمكن أن يكونَ بين الرجل وامرأته شيء، كلُّ هذا لتربية أخلاقِهم، لإعدادهم الإعدادَ الصحيح، ثم قال: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ [النور: ٥٩]، وهذا رسولُ الله -ﷺ- يقول: «فرِّقوا بينهم في المضاجع»، دعوةٌ للفضائل، وتربيةُ النشء إلى أن يعظِّموا حرماتِ الله، فيبتعِدوا عنها.

حق الطفل في الحفاظ عليه وعدم لعنه وسبه والدعاء عليه

فلا يجوز الدعاء على الولد، ولا لعنه، ولا سبه، قال عليه الصلاة والسلام: «لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم، وإذا استجنح الليل فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذٍ، فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم»[صحيح مسلم ح (٣٠١٤)] . من غياب الشمس إلى اشتداد الليل يُحجز الأطفال في

البيت؛ لأن للجن انتشاراً وخطفة، الشريعة تحافظ على الأولاد وتحفظهم من الشياطين ومن الجن. ومن هنا علّمنا النبي -ﷺ- رقية الأطفال ففي الحديث الصحيح يقول -ﷺ-: «مال صبيكم هذا يبكي؟ فهلا استرقيتم له من العين» الرقية بالقرآن والأدعية المشروعة، وكان النبي -ﷺ- يعوذ الحسن و الحسين. وكان عليه الصلاة والسلام يُشعر الصبيان بأهميتهم، فإذا مر بالصبيان سلّم عليهم كما في الحديث الصحيح، فهذا أحد الصالحين يخبرني بنفسه أنه كان متعوداً على الرقية الشرعية لجميع أهله عند الحاجة حتى حفظها الصغير والكبير، وفي يوم من الأيام قدّر الله له أن يمرض فجاءت إليه ابنته التي عمرها لا يتجاوز الثامنة وقالت: هل أنت مريض يا بابا؟ . قلت: نعم. فقالت أين وجعك حتى أرقيك؟ فقلت: سبحان الله في رقبتي، فأخذت يدها الصغيرة ووضعتها على رقبتي وبدأت تقرأ سور الفاتحة والإخلاص والفلق والناس ثم دعت: اللهم اشف أبي أنت الشافي لا شفاء إلا شفاءك »وأنا أسمعها وقلت في نفسي: إن الله لن يخيب هذا القلب الأبيض، قال: ما قمت في الصباح الباكر إلا وقد شفاني الله تعالى.

من وسائل التربية

من وسائل تربية الأطفال وضع البرامج الهادفة من وسائل الإعلام، ومن هنا نرسل رسالة إلى أولئك الآباء الذين يتركون القنوات الفضائية والجوالات على مصراعيها لأطفالهم بكل ما فيها من محرمات وإجرام ألا فليعلموا أن هذا العمل خيانة للأمانة. .

وإعلامنا ما قصّر في عرض المسلسلات والأفلام، بل أحيانا نسمع المذيع

يقول وهو يقدم برنامج تلفزيوني: «مع الطفل المعجزة مع الطفلة الموهبة المبدعة» وننتظر فإذا طفل أو طفلة تغني وترقص.

الله أكبر هل هذا هو الإبداع عندكم.

يسأل أحد الآباء ابنه من تعرف من الصحابة الكرام؟ فكّر الولد وفكّر، وقال: لا أعرف. قال إذاً من تعرف من الأبطال والشجعان والفاتحين؟ قال اعرف أبطال المسلسل الفلاني وفريق الكرة الفلاني .

وهذا مذيع ينزل إلى الشارع ليسأل الشباب، وبعضهم خريج جامعة في دولة من الدول عن خالد بن الوليد ما تعرفون عنه؟

الكثير قالوا لا نعرفه حتى وجد المذيع بُغيته عند أحدهم قال: أنا اعرفه إنه لاعب لكن في أي فريق لا أدري. لا حول ولا قو ة إلا بالله.

وهذا ولد صغير يُسأل من مثَلك الأعلى فقال: اللاعب النرويجي الفلاني.

أيها الآباء:

إن تربية الأولاد أمانة ومسئولية، لا بد من القيام بها، فانظروا كم ضيَّع الأمانة اليوم من المسلمين! ! كم من أولياء أمور ضيعوا الأمانات! ! ضيَّعوا الأولاد! ضيَّعوا فلذات أكبادهم! أهملوا! تركوهم في الشوارع يتعلمون الألفاظ القبيحة، والعادات السيئة كالتدخين وغيره، ويتدرجون شيئاً فشيئاً إلى أن يتعاطوا المخدرات، ويقعوا في الفاحشة واللواط، وهكذا تكون النتائج متوقعة، ولا شك أنها نتيجة لهذا التضييع.

الحذر من شر الهاتف

الهاتف من المخترعات المفيدة، ومن حاجات العصر الحديث. فهو يوفر

الأوقات، ويقصر المسافات، ويصلك بجميع الجهات، ويمكن أن يستخدم في الأعمال الصالحات، كالإيقاظ لصلاة الفجر، أو سؤال شرعي، واستحصال فتوى ومواعدة أهل الخير، وصلة الرحم، ونُصح المسلمين.

ولكنه في الوقت نفسه وسيلة لأمور من الشر عديدة، وكم كان الهاتف سبباً لتدمير بيوت بأسرها، وإدخال الشقاء والتعاسة على سكانها أو جرِّهم وجرِّهنَّ إلى مهاوي الرذيلة والفساد! وتكمن الخطورة في سهولة استخدامه، وأنه منفذ مباشر من خارج البيت إلى داخله.

القدوة القدوة

احذر ـ أيها الأب الكريم ـ أن تكون قدوةً لأبنائك في الشر، وقدوة لهم في الانحراف، وقدوةً لهم في البعد عن الهدى، كن قدوةً صالحاً لهم يقتفون أثرك، ويتأسون بك، ويعملون مثل عملك.

لا تأمر أولادك بالصلاة وأنت متكاسل عنها، لا تأمرهم بها وأنت مُفرِّط فيها ومتهاون بها، لا تأمرهم ببرِّك والإحسان إليك وإلى أمهم وهم يشاهدونك تعق أباك وأمك، كيف تأمرهم بالبعد عن مجالسة أهل الرذيلة وأنت تسهر ليلك مع كل من لا خير في السهر معهم؟ ! كيف تنكر عليهم شيئاً من سفاسف الأخلاق والأعمال والواقع أنك ترتكبها؟ !

كُن صادقاً في تربيتهم، كُن صادقاً في توجيههم، كُن صادقاً في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

ومن كان راحماً فليقس أحياناً

حين لا تفلح القدوة ولا تفلح الموعظة فلا بد إذن من علاج حاسم يضع

الأمور في وضعها ألا وهو العقوبة، والتربية بالعقوبة يكملها ويقابلها التربية بالمثوبة.

والعقوبة ليست أول خاطر يخطر على قلب الأب. كثيرٌ من الآباء عندما يسمع عن تربية الأبناء يفهم أن التربية تعني الضرب والحبس وكل وسائل العقاب.

أيها الأخوة الأكارم: العقوبة ليست بدنية بالضرورة قد تكون بحرمانه من الثواب أو حرمانه من اللعب ولذا قال -ﷺ-: «**علّقوا السوطَ حيث يراه أهل البيت؛ فإنه أدب لهم**»[أخرجه الطبراني وهو في السلسلة الصحيحة].

وفي الجانب الآخر يقول -ﷺ-: «**لا يُجلد فوق عشر إلا في حد من حدود الله**» [صحيح الجامع ٧٥٣٦].

أسأل الله أن يصلحنا ويصلح ذرياتنا ويجعلهم قُرة عين إنه ولي ذلك والقادر وعليه.

حقوق البنات

الحمد لله أعطى كل شيء خَلْقه ثم هدى، وألزم عباده بما أنزل من الهدى، أحمده على ما أرشد وهدى، وأشكره على ما أسدى وأعطى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ إليه تُرفع النجوى، وهو منتهى كل شكوى، وإليه المآب والرُّجعى، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، العبد المجتبى، والنبي المصطفى، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبع هديهم واقتفى.

و بعد:

حديث اليوم عن حقوق البنات في الإسلام، فإن للبنتِ في الإسلامِ مَكانةٌ سامِيَة، ميلادُها فرحَةٌ كبرى وبِشَارَة عُظمى، فهي رَيحانة الحاضر وأمُّ المستقبل، تربي الأجيالَ، صانعةُ الأبطال، رمزُ الحياءِ، عُنوان العفّة، وقد كتب أحدُ الأدباء يهنِّئ صديقًا له بمولودَة: «**أهلاً بعطيّة النساء وأم الدنيا وجالبَة الأصهارِ والأولادِ الأطهار والمبشِّرةِ بإخوةٍ يتسابقون ونجَبَاءَ يتلاحقون**».

منزلة البنات في الإسلام

الإسلام أعلى وأعلَنَ مكانةَ البنت، وأنزلها منزلةَ الحبِّ والاحترام، فقد روى الترمذيّ عن عائشة أمِّ المؤمنين- رضي الله عنها -قالت: «**ما رأيتُ أحدًا أشبَهَ سمتًا ودلاًّ وهديًا برسول الله في قيامِها وقعودِها من فاطمةَ بنتِ رسول الله، قالت: وكانت إذا دخَلَت على النبيِّ قامَ إليها فقبَّلَها وأجلَسَها في مجلِسِه**».

ولله در من قال:

أُحِبُّ البناتِ وحُبُّ البناتِ فرضٌ على كل نفسٍ كريمه
فإن شُعيبًا مِنْ أجل ابنتيه أخدمه اللهُ موسى كليمَه

من تكريمِ البنت هذه القصّةُ التي تحمِل مغزى تربويًّا بليغًا، ففي الصحيحَين عن أبي قتادة الأنصاريِّ -رضي الله عنه- قال: «كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يصلِّي وهو حامِلٌ أُمامَةَ بنتَ زينب بنتِ رسول الله، فإذا سجَدَ وضَعَها، وإذا قام حملها».

يقول الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٥٠].

وتأملوا وتدبروا ابتدأ الله تعالى بذكر الإناث، وورد عن بعض السلف: «إن من يُمْن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر، وذلك أنه عز وجل قال: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ﴾[الشورى: ٥٠]. ، ولعل في ذلك تشنيعًا على المشركين، وبيانًا لقبيح أفعالهم وخبث أعمالهم، لما كانوا يرتكبونه من حُمقٍ في جاهليتهم بوأدهم للبنات، وكرههم لهن، واشمئزازهم عند ولادتهن، قال سبحانه وتعالى في ذلك: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل: ٥٩]

نوع غريب من الرجال

رغم هذا التحذير فهناك الكثير من الرجال، لا يزال يستقبل قدوم البنات بالتجهم والعبوس، والمشكلة الكبرى هي إذا كانت البنت المولودة، هي الثالثة أو الرابعة، فتكون ولادتها مصيبة من المصائب خاصة على الأم المسكينة التي

تعيش في خوف وقلق من ردة فعل الأب. وقد سمعنا عن أزواج طلّقوا زوجاتهم بسبب هذا الموضوع. وكأن الزوجة هي المسؤولة الوحيدة. ونحب أن ننبه هنا إلى أن الطب الحديث قد أثبت أنه ليس للزوجة ذنب إذا أنجبت أنثى، لهذا ليس من حق الزوج أن يغضب أو يثور إذا حدث ذلك، لماذا؟ لأن الطب يقول: إن البويضة التي تحملها المرأة لها نوع واحد في كل نساء الأرض. بعكس الحيوان المنوي الذي يفرزه الرجل، فهو عند الرجل يحتوي على نوعين التذكير والتأنيث.

إذن الرجل هو المسؤول عن هذا الأمر، فَلِمَ التشنيع والظلم، لِمَ؟

ويروى في ذلك أنه كان لأبي حمزة الأعرابي زوجتان، فولدت إحداهما بنتاً، فعز عليه ذلك واجتنبها، وصار يسكن في بيت الأخرى، فأحست الأولى به يوماً عند الثانية فجعلت تلاعب ابنتها الصغيرة وتقول:

ما لأبي حمزة لا يأتينا ... يظل في البيت الذي يلينا

غضبان أن لا نلد البنينا ... تالله ما ذلك في أيدينا

بل نحن كالأرض لزارعينا ... ننبت ما قد بذروه فينا

فلما سمعها ندم على ما فعل ورجع إليها.

يا سبحان الله كيف تشمئز النفوس حين ترزق بمن هُن سترٌ من النار، ومن بِحُسْن تربيتهن يحظى بمرافقة سيد الأبرار في أعظم وخير دار؟ !

والغريب أنّ مسلسل الظلم يستمر عند بعض الناس، فبعدما تنشأ البنت تسمع أول ما تسمع كلمات الدعاء عليها بالموت، حتى ولو بالمزاح والمداعبة،

فإذا طلبت شيئاً وألحت في طلبه أُفهمت أنها أرخص من أن تُعطى ما تطلب، وإذا اختصمت مع أخيها الولد، ضُرِبَت وأُهِينَت على مسمع ومرآى من الولد حتى يشمت فيها ويرضى. وقد يعاملها إخوتها الذكور بالقسوة والشدة، والويل لها كل الويل إذا تأخرت في تلبية أي طلب لهم. فعندها ربما يضربونها ويشتمونها ويحتقرونها. أين هؤلاء عن ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن الرسول -ﷺ- قال: «**من كان له أنثى فلم يئدها، ولم يهنها، ولم يؤثر ولده-الذكور- عليها، أدخله الله تعالى الجنة**» [أبو داود في الأدب ٥١٤٦ باب فضل من عال يتيماً، والحاكم صححه ووافقه الذهبي].

وبعض الآباء قد يزوّج بنته فاسقاً عاصياً أو يتاجر بها، أين هؤلاء عن معاملة الرسول لبناته فقد كان يستقبل ابنته فاطمة إذا دخلت عليه ويُقبِّلها ويُجلسها مكانه ويقول: «**مرحباً يا ابنتي**» [البخاري].

إن المؤمن حقيقٌ أن يرضى بما قسم اللهُ له، وقضاء الله خيرٌ من قضاء المرء لنفسه، وما يدري المرء أين يكون الخير والصلاح، فلرب جاريةٍ خيرٌ لأهلها من غلام.

ورد عن عائشة- رضي الله عنها- أن امرأة جاءت إليها ومعها بنتان لها، قالت: فسألتني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها شيئًا، ثم قامت فخرجت وابنتاها، فَدَخَلَ عَلَيَّ النبيّ -ﷺ-فحدثتهُ حديثها، فقال: «**من أُبتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار**» [أخرجه البخاري في الزكاة (١٣٢٩)، ومسلم في البر والصلة (٤٧٦٣)]، وفي لفظ: «**إن الله قد أوجب لها بها الجنة، وأعتقها بها من النار**».

البنات نعمةٌ مباركة

البناتُ نعمةٌ وهِبَة من الله، وفَضلُهن لا يخفى، هنّ الأمهات، هنّ الأخوات، هن الزَّوجات، جعل الله البنت مفتاحَ الجنّةِ لوالديها، تسهِّل لهما الطريقَ إليها، تبعِدهم عن النار، بل تضمن لهم أن يُحشَروا مع النبيِّ لمن أحسن إليهن، فهنئًا لك أبَا البناتِ بهذا الشرف من رسول الله، كيف لا وأنتَ بإحسانِ تربيَتِهنّ تعِدّ شَعبًا وتبني مجدًا، فعن عقبةَ بنِ عامر قال: قال رسول الله -ﷺ-: «مَن كان لَه ثلاثُ بناتٍ فصَبَرَ عليهنّ وأطعَمَهنّ وسقاهنّ وكساهنّ من جِدتِه كُنّ له حجابًا من النار يومَ القيامة» [السنن الكبرى: كتاب النكاح باب الرغبة في النكاح ٧/ ٧٨.]، وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «من كُنّ له ثلاثُ بنات يؤوِيهن ويرحمهنّ ويكفلهنّ وجبت له الجنّة البتة»، قال: قيل: يا رسول الله، فإن كانتا اثنتين؟ قال: «وإن كانتا اثنتين»، قال: فرأى بعضُ القومِ أن لو قال له: واحدة لقال: واحدة. [البخاري في الأدب وأحمد- الترغيب والترهيب] وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «من عالَ جارِيَتين ـ يعني بنتَين ـ حتى تبلغا جاء يومَ القيامة أنا وهو وضم أصابعه». [أخرجه الترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في النفقة على البنات والأخوات (١٨٣٧)، ومسلم بنحوه في البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات (٤٧٦٥).].

وعن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «من كان له أختان أو ابنتان فأحسن إليهن ما صحبتاه كنت أنا وهو في الجنة، وفرق بين إصبعيه»[السلسلة الصحيحة " ٣ / ٢٤].

فما أعظم هذا الأجر، وما أجلّ هذه المنزلة؟

وكفى بذلك فضلاً وفخرًا وأجرًا.

إنه عملٌ مبارك يفوز صاحبه بثلاثة أمور:

أولها: يُحْجب عن النار، فلا يدخلها.

ثانيها: يُحشر يوم الفزع الأكبر مع المصطفى -ﷺ-.

ثالثاً: تجب له الجنة، بل ويكون فيها مع النبي -ﷺ-.

فما أعظم هذا الأجر، وما أجلّ هذا الثواب، الذي لا يُحرمه إلا محروم.

وهذا الجزاء العظيم مُقيَّد بشروط، ومهمّات شاقة، تحتاج إلى جهاد وصبر يحققها العبد، فيفوز بهذا الجزاء والأجر.

وتأمل قوله ﷺ: «من أُبتلي من هذه البنات بشيء»، فسماهن بلية، قال القرطبي في تفسيره سماهن بلاءً لما ينشأ عنهن من العار أحياناً.

فما هي هذه الشروط والقيود التي قُيّد بها هذا الأجر العظيم؟ !

الشروط اجتمعت في قوله: «فأحسن إليهن».

فالإحسان إلى البنات إحساناً يوافق الشرع، هو الشرط الجامع والقيد الأكبر.

فقال -ﷺ-: «يؤويهن ويكفيهن ويرحمهن».

قال الحافظ: وهذه الألفاظ يجمعها لفظ الإحسان.

فما معنى الإيواء؟ ! وما المراد بكفايتهن؟ ! وكيف نرحمهن؟ !

أما الإيواء، فيكون على ثلاثة أمور:

أولها: إيواؤها إلى أم صالحة، تكون قدوة لها فأول الإيواء، إيواء البنات إلى أم صالحة تقية عفيفة تصونهن وتحفظهن.

أما سمعت نصيحة المصطفى -ﷺ-: «فاظفر بذات الدين تربت يداك».

ثانيها: إيواؤها في خدرها، في بيتها تعليمها أن تقر في بيتها ولا تخرج منه إلا

لضرورة أو حاجة أو قُرْبة أو صلاة جماعة وطلب علم: «يشهدن الخير ودعوة المسلمين».

وانظر رحمك الله كيف أضاف الله عز وجل البيوت إلى النساء في ثلاثة مواضع من كتابه مع أنها تابعة لأوليائهن، فقال تعالى: و ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب:٣٤]

وقال تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ [الطلاق:١] وقال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب:٣٣]، فاحرص على تربية بناتك على القرار في البيوت، إلا ما دعت له الضرورة، وعليك بالحزم فإنه أنفع لدينهن وأعز لك في الدنيا والآخرة.

ثالثها: الإيواء إلى بيت عامر بالذكر والطاعة والعمل الصالح، فبعض النساء لا يخرجن من البيت؟ ! ولكن بيوتهن عامرة بشياطين الإنس والجن، بيوت لا يحتجب فيها النساء من الرجال الأجانب، لا غطاء ولا حجاب.

وبعض النساء لا يخرجن من البيوت، ولكن بيوتهن عامرة بأجهزة الفساد، وقنوات الغناء والزنا فتتعلم الحرام وتشاهده وتسمعه، وتُفتن في دينها وتضل وتفسد، أكثر مما لو كانت في الأسواق والأرصفة.

فهل هذا إيواء؟ !

إن الإيواء الحقيقي يكون في خدر ساتر يحافظ على عرضك ويصونه.

لبيتٌ تخفق الأرواح فيه ... أحب إليّ من قصر منيف

ولبس عباءةٍ وتقر عيني ... أحب إليّ من لبس الشفوف

قال -ﷺ-: «من كان له ثلاث بنات يؤويهن ويكفيهن ويرحمهن فقد وجبت له الجنة البتة».

كان هذا هو الإيواء؟ فما المراد بقوله: «يكفيهن؟ ! ».

المراد، قد فسره في رواية مسلم بقوله: «من عال جاريتين حتى تبلغا»، قال النووي -رحمه الله-: «عالهما قام عليهما بالمؤونة والتربية».

ويفسره أيضاً قوله -ﷺ-: «وكساهن من جِدته».

نعم كفاية المرأة حاجاتها الضرورية من طعام ولباس ومؤنة من الواجبات ومن أعظم القربات التي يشتغل بها الرجال. يكفيهن هذه الأمور، فلا يحتجن إلى الخروج من الدار للعمل والكسب؟ ! يكفيهن هذه الضرورات فلا يفكرن في المعصية والانحراف؟ ! يكفيهن، ولم يقل يطغيهن، كما يفعل بعض الآباء - هداهم الله - فيبالغ في توفير طلبات ابنته، كلما اشتهت اشترى لها، وكلما صاحت تطلب أمراً، سارع بخيله ورجله مستجيباً لها مطيعاً أمرها، حتى إن بعض الآباء يشترى لبناته في المرحلة الأساسية جوالاً لماذا؟ !

إن هذا الإغداق مُهلك للفتاة مُوجب لقصر حياتها الزوجية، فما أن تنتقل هذه الفتاة إلى دار زوجها، وتفقد هذا الدلال إلا وتنشز على بعلها وتفتقد ما نشأت عليه.

ورحم الله أحد مشايخنا، كان يقتصر على نوعين من الفاكهة يقول: أخشى أن يتعودن على الأصناف المتعددة فتزوج إحداهن بفقير فتزهقه، تقول أبي كان يفعل كذا وكذا، ويشتري كذا وكذا.

ويزداد الأمر سوءاً إذا كانت الأم مشغولة عن تربية البنات بزياراتها وخروجها الدائم من المنزل، والأسوأ من ذلك إذا كانت الأم من هذا النوع المستهتر بالدين والأخلاق كاللاتي يربين بناتهن على الطريقة الغربية، أو حسب ما يشاهدونه في الأفلام والمسلسلات، فيجنين على أنفسهن وبناتهن.

وفي الطرف الآخر، نجد من الرجال من يقصر على النساء في تلبية ضروراتهن، بل ويصيح فيها: لماذا لا تخرجين وتعملين مثل فلانة؟ ! فيضجر بتلبية حاجاتها وكفايتها.

الإحسان إلى البنات بالرحمة

القيد والشرط الثالث: الذي يندرج تحت معنى الإحسان إلى البنات، قوله وبرحمهن فما هي حقيقة الرحمة؟ ! وما المراد بها! !

المعنى الذي يتبادر إلى الذهن أول وهلة، هو المعنى الظاهر والعام للرحمة يرحمهن: أي يعطف عليهن ويشفق عليهن ولا يضربهن إلى غير ذلك من معاني الرحمة. ولا شك أنّ هذا حق. ولكن الرحمة الحقيقية بالبنات تتمثل في أمرين:

الأول: رحمتهن، بالسعي والعمل الجاد على تجنيبهن النار وبئس القرار. وذلك بتربيتهن على شعائر الإسلام وإقام الصلاة والحجاب والستر والعفاف. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم:٦]

فالرجل الذي يعطف على بناته ويدللهن ويحسن إليهن مادياً ومعنوياً ثم هو لا يأمرهن بصلاة أو صيام ولا ستر أو حجاب، فهذا ظالم لهن؛ لأنه لم ينصح لهن ولم يأخذ بأيديهن ويبعدنهن عن النّار.

النوع الثاني من الرحمة: رحمة غرائزهن ومشاعرهن، فمن الآباء من لا يرحم مشاعر بناته ولا يراعي غرائزهن فيدخل في بيته ما يثير الشهوات ويحرك المشاعر، ويدفع إلى الفجور والبغاء، من مجلات هابطة وقنوات ساقطة، فترى الفتاة مناظر تحرك الجبال، فتقع في صراع داخلي بين شهوتها وغريزتها وبين دينها وخوفها من ربها، والبعض منهن ممن لا دين لها تصارع غريزتها وخوفها من العار والعادات، ثم لا يلبث داعي الشهوة والغريزة أن ينتصر ويتغلب ويأخذ بناصية المسكينة إلى شفا النار وغضب الجبَّار.

ومن مظاهر عدم رحمة مشاعر البنات، تأخير زواجهن حتى يبلغن سناً، يزهد فيه الشيوخ فضلاً عن الشباب وتذهب سنون هذه المسكينة حسرات عليها، وذلك بسبب تعنت والدها أو حتى كبْره، الذي يمنعه من عرضها على الأخيار والصالحين. وربما كانت تعمل ويأخذ أبوها أجرها فيحبسها، ويرد الأكْفاء عنها لأجل ذلك، وربما كان صفيق الوجه، قليل الحياء، يعلل فعلته الشنيعة في بناته بما مضى من نفقتهن، ويمن عليهن بحق أوجبه الله تعالى لهن، فيحرم بناته أعظم لذة في الدنيا وهي الزواج وطلب الولد، وقد تمتع هو من قبل بهذه النعمة، فأي أنانية تلك، وأي قلوب قُدّت من حَجَر قلوب هؤلاء الآباء.

فلنتق الله ولنُحسن إلى بناتنا.

أهمية تربية البنات

تربيةُ البنات لها أهمّيّة كبيرة، فهي قُربى إلى الله، وقد قائل القائل: «إذا علّمت رجلاً فقد علّمت فرداً، وإن علّمت امرأة فقد علّمت جيلاً أو أمة».

الأمُّ مَدْرَسَـــةٌ إذَا أَعْـــدَدتَها ... أَعْدَدتَ شَعْبًا طيِّبَ الأعراقِ

الأمُّ روضٌ إن تعهـــده الحيـــا ... بـــالرَّي أورق أيّـــما إيـــراقِ

والمرأةُ المسلمة لها أثرٌ في حياة كلِّ مسلم، هِي المدرسةُ الأولى في بِناء المجتمع الصّالح، هي ركيزةُ المستقبل، فهي الزوجةُ الصالحة والأمّ الحانِيَة وحاضِنة الأبناء، وإذا نشأتِ البنتِ صالحةً في بيتها متديِّنة في سلوكها فإننا بذلك نضمَنُ بإذن الله بناءَ أسرة مسلمةٍ تخرِّج جيلاً صالحًا قويًّا في إيمانِه جادًّا في حياتِهِ مِنَ الفتيات، يَكنَّ مصدرًا للفضيلة والتقوى، يَبنِينَ المجتمعَ ولا يهدِمنَه، يؤسِّسنَ الأسرةَ ولا يهربن منها، ينشرن الخير والحبَّ، قال تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء:٣٤]

التربية الصحيحة

التربيةُ الصحيحة للفتاةِ تقتضي:

أولاً: تَعاوُنَ الأب والأمّ القويّ والتنسيق الفكريَّ بينهما لتؤتِيَ التربية أُكُلَها.

ثانياً: الأساس الأوّل في بناء الفتاةِ التركيزُ على حبِّ الله وحبِّ رسولِه، وتعليمُها الفرائض الدينيّة، تنشِئَتها منذ الصغر على الدين والفضيلة، وتدعيم ذلك بقراءة قصصُ أمّهات المؤمنين زوجات النبي -ﷺ- وقصصُ الصحابيّات اللاتي صنعنَ المجد بجودَةِ تربيّتهن.

ثالثاً: تحقِّق التربية جودَتَها حين تكون الأمّ قدوةً حسنة لابنتها، متمثِّلةً قِيَمَ الإسلام، مع سلوكٍ حسَن وسيرة حميدة في حركاتها وملابِسِها وتصرُّفاتها، حينئذٍ تحاكي البنت أمَّها، وتكون صورةً صادقة عنها في السلوك.

رابعاً: تربيةُ البنت على خُلُق الحياء حارسٌ أمين لها من الوقوع في المهالك، فإن مشَت فعلى استحياء، زِيّها ورداؤها استِحياء، سِمَتُه الحياء، وقولُها وفعلها وحرَكاتها يهذِّبه الحياء، كما قال-ﷺ- : «**والحياءُ خيرٌ كلُّه، ولا يأتي إلا بخيرٍ**»[رواه البخاري ومسلم عن عمران بن حصين].

خامساً: الكلمةُ الطيّبة والرفقُ واللين في الأسلوب وسيلة مهمّة في التربية، وإذا

قارنها قلبٌ مفعَم بالمحبّة والودّ من الوالدين عمِل عمله وآتى أكُلَه في تسديدِ السُّلوك، وله آثار نافعة، ويهدي إلى الاقتناع والقَبول، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤]

خامساً: حُسْنُ اختيار الصديقةِ مسألة لا مساومةَ فيها، وعليه فإنَّ الصداقة لها تأثير بالغ في السلوكِ والأفكارِ والثقافةِ الشخصيّة، فصَديقاتُ السوء كالشّرَرِ الملتهِب، إذا وقع على شيء أحرقه، وفي الحديث: «**المرء على دين خليلِه، فلينظر أحدُكم من يخالل**»[أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٣)، والترمذي في: الزهد، باب: ما جاء في أخذ المال بحقه (٢٣٧٨)، وأبو داود في الأدب، باب: من يؤمر أن يجالس (٤٨٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وحسنه الألباني في الصحيحة برقم (٩٢٧)].

سادساً: تفكُّكُ الأسرةِ، ضَعفُ الروابِط بين أفرادِها، كلٌّ يَهيم في وادٍ، الأب هناك، والأمّ هنالك، يولِّد جفوةً وجفوةً تتراكَم أضرارُها فوقَ بعضها على الفتاة، وقد ينكشِفُ الغطاءُ بعد فواتِ الأوان عن سلوك غيرِ حميدٍ.

أسأل الله أن يوفقنا لطاعته، وأن يجنبنا معصيته، ، إنه خير مسؤول، وصلى الله وسلم على الرسول وعلى آله وصحبه أجمعين.

حقوق الزوجة على زوجها (١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

و بعد:

حديثنا عن الحقوق الزوجية.

لماذا الحديث عن الحقوق الزوجية؟

نتكلم عن الحقوق الزوجية لأنه على قدر صلاح الأسرة يكون صلاح الفرد.

نتكلم عن الحقوق الزوجية لأن ما يحدث من مشاكل وكوارث ومصائب في الأسر إنما هو نتيجة عدم علم كل من الزوج والزوجة بالحقوق والواجبات.

نتكلم عن الحقوق الزوجية ونحن نرى الكثير من المسلمين من الرجال أو النساء لا يدركون هذه الحقوق، ولا يعرفون هذه الواجبات والمسؤوليات، وكل الذي يفهمونه من الحياة الزوجية أنه لقاء جنسي- يقضي- الإنسان وطره من زوجته، وتقضي المرأة وطرها من زوجها فقط.

نتكلم عن الحقوق الزوجية لأننا نجد كثيراً من البيوت تعيش مشاكل وهموم مستعصية؛ لأنها لا تقوم على المودة والرحمة، بل تقوم على السباب والإهانة والاحتقار والشتم والتسلط والسخرية والكراهية.

إن الإسلام قد وضع حقوقاً على الزوجين، وهذه الحقوق منها ما هو

مشترك بين الزوجين، ومنها ما هو حق للزوج على زوجته، ومنها ما هو حق للزوجة على زوجها.

وإن الزوجين إذا التزما منهج الإسلام الكامل في الحقوق الزوجية عاشا في ظلال الزوجية الوارف سعداء آمنين. لا تعكرهما أحزان المشاكل؛ ولا تقلقهما حادثات الليالي.

الحياة الزوجية في نظر الإسلام شركة فيها طرفين: الزوج والزوجة، على الزوج حقوق وواجبات، وعلى الزوجة حقوق وواجبات، وقد جعل الله عز وجل الحياة الزوجية آية من الآيات الدالة عليه فقال جل من قائل: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١]

هذه الشركة قائمة على عنصرين **الأول**: المودة، **والثاني**: الرحمة، وإذا لم يتوفر هذين العنصرين في الحياة الزوجية تحولت إلى حياة بهيمية، لا علاقة ولا مودة ولا رحمة ولا تقدير ولا احترام، وإنما مشاكل على مشاكل، وكل هذا نتيجة عدم علم كل من المرأة والرجل بالواجب والمسؤولية الملقاة على عاتقهما تجاه بعضهما البعض.

حقوق الزوجة على زوجها

إن للزوجة حقوقٌ عظيمة على الزوج لأنها أقرب الناس إليه ، فهي قرينته والمطلعة على أسراره، وشريكته في فراشه، وأم أبنائه، ورفيقته في درب الحياة، فلابد أن يعرف لها حقوقها ويؤديها على أتم وجه.

وإن من الناس – للأسف– من يرى أن زوجته أمَةٌ عنده أو خادمة عنده،

فهي طوع أمره ورهن إشارته، ومن الرجال من يخالف زوجته ولو كانت على حق، فمعنى القوامة عنده أنه إذا قالت: شرق. قال: غرب. وإن قالت: شمال. قال: جنوب وإن قالت: نعم. قال: لا. وإن قالت: لا، قال: نعم، فيعاكسها ويخالفها في كل شيء، فإن قلت له لماذا تفعل ذلك؟ قال: لأظهر سلطتي وقدرتي، إني أنا الرجل، إني صاحب القرار، صاحب الكلمة، إنني الأول والأخير في الأسرة، سبحان الله ومن قال لك يا هذا أن هذا هو الإسلام؟ وهكذا كان محمد -ﷺ-.

استشارة الزوجة

إن أجّل نعمة أنعمها الله على المسلمين هي نعمة الحرية، حُريّة الرأي وحرية الكلمة، فلا يجوز لأحد أن يمنعها مهما كان ، ومتى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا.

أيها الزوج:

أنت صاحب القرار، لكن لابد لك من أخذ رأي الرعية، فها هو رسول الله حبيب الله في عمرة الحديبية، دخل مغضباً على زوجه أم سلمة وقال: «**هلك قومك**»، قالت: لماذا يا رسول الله؟ قال: «**آمر فلا أطاع**»، قالت: «يا رسول الله أدع بحلاق واحلق شعرك»، فما أعظم عقلها وحكمتها.

أيها الرجل:

أنت مسؤول عن زوجتك وستُسأل عنها يوم القيامة، فهي أمانة في عنقك، يقول الرسول -ﷺ-: «**فاتقوا الله في النساء، فإنهن عوان عندكم**»[أخرجه مسلم في: الحج، باب: حجة النبي (١٢١٨)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما]. أي أسيرات عندكم، مسكينة زوجتك أيها الرجل، سلمها لك أبوها لتكون في حمايتك ورعايتك

وإكرامك، ولا يدري أبوها ماذا تصنع بها؟ ولا تدري أمها ماذا تصنع بها؟ ولا يدري أخوها ولا أقاربها، تعذبها في البيت فلا تخبر أهلها حتى تعيش معك وحتى لا يضيع الأولاد، وتهينها وتسبها لا يدري أهلها عنها، لكن الله يعلم ويرى ويطلع على حالك وحالها.

إنها أسيرة يقول الرسول -ﷺ-: «**إنهن عوان عندكم أخذتموهن بكلمة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله**» [صحيح، أخرجه مسلم: كتاب الحج - باب حجة النبي، حديث (١٢١٨).]، وكان يقول -ﷺ-: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»[صحيح، سنن الترمذي ح (٣٨٩٥) وقال: حسن غريب صحيح، وأخرجه ابن ماجه ح (١٩٧٧).].

أفضلكم عند الله منزلة من كان أفضلكم وأحسنكم عند أهله، فأهله يحبونه ويحترمونه لمعاملته الحسنة والله يحبه من أجل ذلك، إن الذي ليس فيه خير لأهله ليس فيه خير لنفسه أو للناس خارج الأسرة.

من حق الزوجة على زوجها:

أولاً: توفية مهرها كاملاً امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤]. فلا يجوز للزوج ولا لغيره من أب أو أخ أن يأخذ من مهرها شيئاً إلا برضاها. ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾ [النساء:٤]

الحق الثاني: الإنفاق عليها:

وهذه النفقة تتناول نفقة الطعام والكسوة، والعلاج والسكن لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٣٣]. وللعلم فما من شيء ينفقه الرجل على زوجته أو أولاده، إلا كان له به عند الله أجر وثواب. فقد قال -ﷺ-

: «دينار أنفقته في سبيل الله. ودينار أنفقته في رقبة. ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك»[رواه مسلم عن أبي هريرة].

الحق الثالث: وقايتها من النار: امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم:٦]

قال علي – رضي الله عنه – في الآية السابقة : «أدبوهم وعلموهم»، وكذلك يخبر أهله بوقت الصلاة: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾ [طه:١٣٢] ، وإذا كان الزوج لا يستطيع تعليم امرأته فليسر لها أسباب التعليم، بدخولها في مراكز تحفيظ القران وغيرها من المراكز الشرعية.

لكن المصيبة إذا كان الزوج نفسه واقع في الحرام؛ فهي الطامة الكبرى، لأن الرجل قدوة أهل بيته، والقدوة من أخطر وسائل التربية. عن فضيل بن عياض قال: «رأى مالك بن دينار رجلاً يسيء صلاته، فقال: ما أرحمني بعياله، فقيل له: يا أبا يحيى يسيء هذا صلاته وترحم عياله؟

قال: إنه كبيرهم ومنه يتعلمون».

مصيبةٌ عُظمى

ومن المصيبة و النقص العظيم أن يُنزل الرجل نفسه في غير منزلتها اللائقة بها، فإن الله تعالى جعل الرجال قوامين على النساء، ومن شأنه أن يكون مطاعاً لا مطيعاً، متبوعاً لا تابعا.

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه فإن شاء أعلاها وإن شاء سفّلا

وقد استشرى داء تسلّط المرأة وطغيانها في أوساطنا بسبب التقليد تارة، وبسبب ضعف شخصية الزوج أو التدليل الزائد تارة أخرى.

وهو من أخطر الأمور وأكثرها إيذاءً، فالكلمة الأولى والأخيرة بيد المرأة، والزوج مجرد منفذ لهذه الأوامر ، ومن هنا ننبه أن بعض الرجال ولا يستحقوا أن نسميهم رجال بعضهم لا يتكلم كلمة ولا يأكل أكلة ولا يفعل فعل إلا بأمر وزير الداخلية (زوجته)بل كم من نساء كُن سبب في دمار الرجال.

الحق الرابع: أن يغار عليها في دينها وعرضها، إن الغيرة أخص صفات الرجل الشهم الكريم.

وليست الغيرة تعني سوء الظن بالمرأة والتفتيش عنها وراء كل جريمة دون ريبة.

فعن جابر بن عتيك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-ﷺ-: «**إن من الغيرة غيره يبغضها الله وهي غيرة الرجل على أهله من غير ريبة**»[رواه أحمد وأبو داود، وحسنه الألباني في الارواء].

فمن الرجال من لا يغار حين يمشي معه زوجته أو أخته أو ابنته وهي متبرجة ومتعطرة ومتزينة، وتعرض نفسها لأعين الناس.

ولا يغار حينما تصافح الرجال الغير محارم لها. ولا يغار إذا تكلمت مع الرجال وضاحكتهم ومازحتهم. ولا يغار حين يراها تخرج من منزلها بالكعب العالي والملابس المثيرة، وتخرج أمام الناس متراقصة كأنها طاووس تختال. ولا

يغار بل هو الذي يطلب من زوجته أن لا تتحجب أمام أقاربه زاعماً أن تحجبها سيفرق بينهم. الحجاب يفرق بين الأهل؟ ! . ، ولا يغار ولا يتنبه لما يحضره إليها إلى المنزل من مجلة خليعة، أو موقع انترنت، أو انشغالها بمواقع التواصل الاجتماعي وغيرها من مثل هذه الأمور التي ينبغي على الرجل فيها أن يكون رجلاً. رجلاً حقيقياً فعلاً. كما قال أحد السلف: «**ما من امرئ لا يغار إلا منكوس القلب**». وما أجمل قول الرسول -ﷺ- في الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعا: : «**إن الله يغار والمؤمن يغار**». ويقول -ﷺ-: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة، العاق لوالديه، والديوث، ورجلة النساء**» [رواه الإمام أحمد بسند صحيح]. ومعنى الديوث أي الرجل الذي لا يغار على عرضه والعياذ بالله.

تخاصم رجل وزوجته في نفقة، فاحتكما للقاضي، فقال الوكيل للمرأة: قومي، قال الزوج: ولم. قال الوكيل حتى ينظر إليها الشهود وهي مسفرة عن وجهها. فقال الزوج للقاضي: أنا أُشهد القاضي أن لها علي المهر الذي تدعيه، ولا تسفر عن وجهها فأجابت المرأة ـ والمرأة تحترم الرجل الذي يغار عليها ـ قالت: وأنا أُشهد القاضي: أني قد وهبت له هذا المهر، وأبرأته منه في الدنيا والآخرة. هكذا كان مفهوم الغيرة.

الحق الخامس: وهو من أعظم حقوقها: المعاشرة بالمعروف.

المعاشرة بالمعروف ولذلك أمر الله تعالى بحُسن العشرة فقال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، ومن معاني العشرة بالمعروف:

- أن تذكر اسم الله حين دخولك لبيتك وتذكر دعاء الدخول إلى المنزل، فإن الشيطان حريص على الدخول معك وعلى أن يشاركك في الطعام والشراب

والسكنى وحتى في نكاح زوجتك، ثم توطن نفسك أنك داخل على أم أولادك، أنك داخل على هذه المسكينة التي تتعب في خدمتك وتبقى في المنزل طوال يومها، وهي تنتظر منك كلمة طيبة وبسمة صادقة، وعليك مجاملتها بالكلمة الطيبة فتثني عليها وعلى مظهرها وتشكرها على إعداد الطعام وتمدح طعامها حتى لو كان فيه عيب، امدح ثم انصحها فيما بينك وبينها بأسلوب طيب.

- **ومن حُسن العشرة** أن تسلم على أهلك وتبتسم في وجه زوجتك «**فتبسمك في وجه أخيك صدقة**»، وهذا من حق إخوانك المسلمين الذين تراهم في الشارع فكيف بزوجتك وأقرب الناس إليك.

- **ومن حُسْن العشرة** السؤال عن زوجتك وعن حالها، ومحادثتها وعدم العبوس في وجهها.

- **ومن حُسْن العشرة** أيضاً تحمّل زوجتك والنظر إلى محاسنها وعدم النظر إلى المساوئ فقط، فإن الكمال في الناس وخاصة النساء غير موجود، «**فإنهن خلقن من ضلع أعوج، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فاستمتعوا بهن على عوجهن**» كما قال رسول الله -ﷺ- وقال في حديث آخر: «**فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستمتعوا بهن على عوجهن**»[البخاري (٣٣٣١)، ومسلم (١٤٦٨)]. ولا تُقم على كل كلمة قضية ومحكمة، فإن من الناس من يُطلّق زوجته من أجل قشة، ويتجاهل جهدها وإحسانها كله.

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يريد أن يشكو طول لسان زوجته عليه، وأنها بذيئة عليه، فلما دخل فإذا زوجة عمر تتكلم من وراء

الحجاب بلسان شديد، رغم هيبة عمر ورغم أن الناس تخاف منه حتى الشياطين، قال عمر: «**أما يرضيك أنها طبّاخة طعامي ومغسلة ثيابي ومربية ولدي وكانسة بيتي وأقضي منها وطري** »كأنه يقوله له: **أما أتحملها في بعض الجزئيات البسيطة**، فيا أيها الرجل قدّر هذه النعمة أن سخّر لك هذه المرأة لرعايتك وخدمتك رغم أنها أجنبية عنك.

ويقول الرسول -ﷺ-: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره من خلقاً رضي آخر**»[أخرجه مسلم في: الرضاع، باب: الوصية بالنساء (١٤٦٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه.] أي لا يكره.

ومن حُسْن العشرة حُسن الخلق معها، فقد روى الطبراني عن أسامة بن شريك مرفوعاً: «**أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً**» [(الطبراني عن أسامة بن شريك، انظر حديث رقم : ١٧٩ في صحيح الجامع)].

ومن حُسن الخلق أن تحترم رأيها وأن لا تهينها سواءً بحضرة أحد أم لا.

ومنها استشارتها في أمور البيت وخطبة البنات، وقد أخذ النبي -ﷺ- بإشارة أم سلمة -رضي الله عنها- يوم الحديبية كما أسلفنا سابقا.

ومنها: أن يكرمها بما يرضيها، ومن ذلك أن يكرمها في أهلها عن طريق الثناء عليهم بحقٍ أمامها ومبادلتهم الزيارات ودعوتهم في المناسبات.

المزاح مع الزوجة

ومن المعاشرة بالمعروف أن يمازحها ويلاطفها، ويدع لها فُرَصاً لما يحلو لها من مرح ومزاح، وأن يكون وجهه طلقاً بشوشاً، وإن رآها متزينة له لابسة لباساً جديداً عليه أن يمدحها ويبين لها إعجابه فيها، فإن النساء يُعجبهن المدح.

ولهن مثل الذي عليهن

ومن جوانب المعاملة الطيبة أن تتهيأ لزوجتك كما تتزين هي لك، فليس من العدل أن تطلب منها أن تتهيأ لك بالزينة ثم تأتيها أنت برائحة العرق ورائحة الدخان والملابس المتسخة، فإنها بشرٌ مثلك تتأذى مما تتأذى أنت منه، وقد كان رسول الله -ﷺ- يبتدئ بالسواك إذا دخل بيته حتى لا يُشم منه إلا طيّب، فعن عائشة رضي الله عنها أنه «**كان -ﷺ- إذا دخل بيته بدأ بالسواك**» [رواه مسلم وأبو داود].

وهذا أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، وهو صاحب الشخصية القوية، والذي كان الشيطان يهرب منه إذا رآه، كان يقول: ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي (يعني في الأنس والبشر والسهولة) فإذا كان في الناس وجِد رجلاً.

ولنا في رسول الله أُسوة حسنة فقد ورد أن عائشة -رضي الله عنها- كانت مع رسول الله -ﷺ- في سفر وهي جارية، قالت: لم أحمل اللحم ولم أبدن (أي لم أسمن) فقال لأصحابه: «**تقدموا فتقدموا**، ثم قال: **تعالي أسابقك فسابقته**، فسبقته على رجلي. فلما كان بعد، خرجت معه في سفر، فقال لأصحابه: **تقدموا**، ثم قال: **تعالي أسابقك**، ونسيت الذي كان وقد حملت اللحم وبدنت (أي وسمنت)، فقلت، كيف أسابقك يا رسول الله وأنا على هذه الحال، قال: لتفعلن، فسابقته، فسبقني. فجعل يضحك ويقول: «**هذه بتلك**» أي بتلك السبقة[أبو داود والنسائي].

عذرها عند التقصير

ومن جوانب المعاشرة الطيبة أن تعذرها إذا قصَّرت في شيء بسبب كثرة مشاغلها أو لخطأٍ بشري، وقد كان أكمل الناس في هذا، وهو قدوتنا، فمن ذلك

تقول عائشة -رضي الله عنها- فيما رواه البخاري: «**ما عاب رسول الله طعاماً قط، إن اشتهى شيئاً أكله، وإلا تركه**»، أما عندنا فكم من حالة طلاق كان سببها أن الزوجة تأخرت في إعداد الطعام أو أن الطعام لم يعجب الزوج.

فعن أنس -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**لم يقل لي قط أفٍ ولا قال لشيء فعلته لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله لا فعلت كذا**» [رواه البخاري ومسلم].

ومنها أن يشاركها في خدمة بيتها إن وجد فراغاً.

فعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: «**كان النبي يكون في مهنة أهله -يعني خدمة أهله- فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة**» [رواه البخاري].

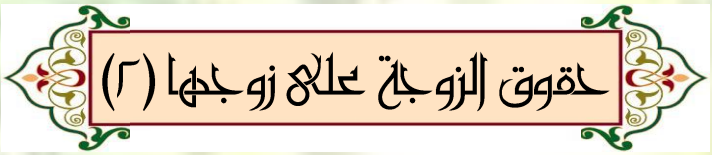

الحمد لله عظم شأنه ودام سلطانه، أحمده سبحانه وأشكره عم امتنانه وجزل إحسانه، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله به علا منار الإسلام وارتفع بنيانه، وبارك عليه وعلى أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

و بعد :

لا زلنا مع سلسلة الحقوق واليوم مع اللقاء الثاني مع حقوق الزوجة على زوجها نسأل الله أن يحيينا حياة طيبة.

تحري الحلال

من حقوق الزوجة على زوجها أن يتحرى الحلال في إنفاقه عليها وعلى أولادها، ومن يعولهم، وإلا محقت البركة، وكان عليه إثم من أطعمهم حراما. ونريد أن ننبه هنا: أن الرجل الكريم هو الذي يكرم أهله وأولاده ولا يتركهم ينظرون إلى ما عند الناس من مال ومتاع. أما البخيل فهو الذي يبخل عليهم وهو قادر على الإنفاق، والغريب أن هناك من يبخل على زوجته وأولاده بالنفقة، بينما هو يجود بماله على نفسه وعلى رفاق السوء وفي الليالي الحمراء وفي السفر وفي كل ما يغضب الله، كما يقع كثيراً من لا خلاق لهم ولا مروءة. ومما يدمي القلب أن هناك ثُلة من الرجال في ظل حاجة الناس وفقرهم ينامون طوال النهار ونساءهم يعملن ويجمعن المال ومنهن من تتسول لتعول زوجها. أين الغيرة والقوامة عند هؤلاء؟ .

تُسأل بنت وقعت في الزنا وأُصيبت بالإيدز لماذا دخلت هذا المستنقع؟ فتقول: «والله إن أبي يطردني من البيت ضربا ويقول: لا ترجعي إلا ومعك المال»، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهذا آخر صاحب بقالة يقول لي والدموع في عينيه :جاءتني امرأة كبيرة في السن فيها صرع ترتعش يديها تريد خمسة باكت سيجارة، قال: فقلت مستغربا وما تفعلين بالدخان فقالت والدموع في عينيها: «والله إن أولادي وزوجي سيطردونني من البيت يريدون قيمة الدخان والقات فأخرج لأسأل الناس كي أجمع لهم ما يريدون »ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ويكفي أمثال هؤلاء قول الرسول -ﷺ-: «**كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول**»[حسن، سنن أبي داود: كتاب الزكاة - باب في صلة الرحم، حديث (١٦٩٢)، وأخرجه أيضاً أحمد (٢/ ١٦٠)، والطبراني في الكبير (١٣٤١٤)، وصححه ابن حبان (٤٢٤٠)، والحاكم (١/ ٤١٥)، وأصله عند مسلم: كتاب الزكاة - باب فضل النفقة على العيال. . . حديث (٩٩٦)بلفظ: ((كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته)). وانظر إرواء الغليل للألباني (٨٩٤).].

لا تضرب زوجتك

ومن الحقوق: أن لا يضرب الزوج زوجته إلا في حالة النشوز كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ [النساء:٣٤]

ومما أذكر في هذه الآية أن رجلا لديه مشكلة عائلية تتعلق بزوجته، فذهب إلى أحد المشايخ فنصحه بما قال الله تعالى:

﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّ﴾.

فذهب الرجل، فلما جاء من الغد وسأله الشيخ عن حاله؟ .

قال الرجل: يا شيخ فعلت ما قلت لي، فزادت المشكلة أكثر مما كانت عليه في السابق.

فتعجب الشيخ! ، وقال: ماذا فعلت معها؟ .

فقال الرجل: قرأت الآية، فرأيت أول ما أبدأ به العض (وليس الوعظ)، فعضضتها، وعضضتها، وعضضتها، حتى صاحت (أو هربت).

فزادت المشكلة أكثر من السابق. وما فهم أن الله يريدنا أن نبدأ بالوعظ والكلمة الطيبة وليس بالضرب والعض، وهذه رسالة أن القرآن يحتاج تلقي لتعلمه.

والنشوز هو الارتفاع. والمرأة الناشز هي المرتفعة على زوجها، التاركة لأمره، المعرضة عنه.

فإذا ظهر هذا في المرأة. فليبدأ في وعظها. فإن لم تنفع الموعظة فليهجرها في فراشها، فإن لم يفد ضربها ضرباً لا يسيل دماً ولا يكسر عظماً، وأن لا يكون في الوجه. وأن يتجنب الشتم والسب واللعن كما يحدث الآن. فما أن تحصل أي مشكلة حتى تسمع السب والشتم واللعن بين الزوج وزوجته، ثم يتطور الأمر فيقوم الزوج بضرب زوجته على أمر تافه. ثم يأتي ويتحدث بهذا الأمر أمام الناس بكل فخر وخيلاء، وكأنه قد انتصر على بطل من أبطال المصارعة العالمية، لهذا فليتق الله هؤلاء الأزواج ولتكن حياتهم كما قال الله: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[البقرة: ٢٢٩].

هذا وفي الحديث أن رسول الله -ﷺ-: «ما ضرب خادماً ولا امرأة قط». [رواه أبو داود] بل إنه عاب على من يضرب امرأته فقال: «يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد، فلعله يضاجعها آخر يومه» [البخاري، ٤٩٤٢)].

كتمان الأسرار الزوجية

ومن الحقوق على الزوج أن يكتم ما يحدث بينه وبين زوجته في الفراش، لأن بعض الرجال يحبون أن يتفاخروا في الكلام عن هذا الموضوع في المجالس والمنتديات. لأنهم يظنون مع جهلهم ونقص عقولهم أن هذه الصفة هي مفخرة لهم. وللعلم فهذه الأفعال ليست من المروءة في شيء، وليست من شيم الرجال، بل هي من خُلُق الفُسّاق الذين لا يملكون من الحياء شيئًا لذا جاء من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- الثابت في صحيح مسلم أن النبي -ﷺ- قال: «إن من أشر الناس عند الله منزلةً يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها ».

وقال ﷺ عن أفعال هؤلاء: «هل منكم رجل إذا أتى أهله فأغلق عليه بابه، وألقى عليه ستره واستتر بستر الله، ثم يجلس بعد ذلك ويقول: فعلت كذا وفعلت كذا» ثم قال: «هل تدرون ما مثل ذلك، إنما مثل ذلك مثل شيطانة لقيت شيطاناً في السكة، فقضى حاجته منها والناس ينظرون إليه»[(صحيح) انظر حديث رقم: ٧٠٣٧ في صحيح الجامع]. فالحذر الحذر من الخوض في هذه الأمور، والكلام موجه للرجال وللنساء جميعاً، ونسأل الله الستر في الدنيا والآخرة.

عدم الهجر في غير البيت

ومن الحقوق عدم الهجر في غير البيت هذا هو الأصل في المسألة ويدل عليه

قوله -ﷺ-: «ولا تهجر إلا في البيت »[أخرجه أحمد (٤/ ٤٤٧)، وأبو داود في النكاح، باب: حق المرأة على زوجها، وابن ماجه في النكاح (١٨٥٠)، والنسائي في الكبرى (٩١٧١) من حديث معاوية القشيري رضي الله عنه، وصححه ابن حبان (٤١٧٥)، والحاكم (٢/ ١٨٧-١٨٨)، والدارقطني كما في التلخيص الحبير (٤/ ٧)، وصححه الألباني في الإرواء (٢٠٣٣)].

ففي حديث معاوية ابن حيدة -رضي الله عنه- الثابت في صحيحي أبي داوود وابن ماجة قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه قال: « أن تطعمها إذ طعمت وتكسوها إذا اكتسيت أو اكتسبت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت ». وأجاز بعض العلماء الهجر في غير البيت لمصلحة راجحة، كما صح عن النبي -ﷺ- أنه هجر أزواجه شهراً في غير بيوتهن.

ففي حديث أم سلمة -رضي الله عنها- الثابت في الصحيحين أن النبي -ﷺ- حلف لا يدخلُ على بعض أهله شهراً، فلما مضى تسعةٌ وعشرون يوماً غدا عليهن أو راح، فقيل له: يا نبي الله حلفت أن لا تدخل عليهن شهراً، قال: «إن الشهر يكونُ تسعةً وعشرين ».

ومما ننبه عليه إن من حق الزوجة على زوجها ألا يغيب عنها أكثر من ستة أشهر، لما روى عبد الرزاق في مصنفه أن عمر -رضي الله عنه- سأل حفصة: كم تصبر المرأة عن زوجها؟ فقالت: ستة أشهر.

فليس للزوج أن يغيب عن زوجته أكثر من ذلك إلا بإذنها، وهذا من كمال الشريعة، وحرصها على حماية المرأة والرجل، ووقايتهما من الانحراف، قال النبي -ﷺ-: « السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه فإذا قضى نهمته فليعجل إلى أهله». [رواه البخاري وغيره].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: وفي الحديث كراهة التغرب عن الأهل لغير

حاجة، واستحباب استعجال الرجوع ولا سيما من يخشى عليهم الضيعة بالغيبة، ولما في الإقامة في الأهل من الراحة المعينة على صلاح الدين والدنيا، ولما في الإقامة من تحصيل الجماعات والقوة على العبادة.

العدل بين الزوجات

ومن الحقوق العدل في القسمة بين أكثر من زوجة، فإذا كان للرجل زوجتان أو أكثر وجب عليه أن يعدل بينها في المبيت وفي النفقة وفي السكن، فإن ظلم إحداهن فلم يبت عندها ليلة أو أكثر وجب عليه أن يقضيها حقها، فذلك دين عليه، إلا أن تتنازل عنه كما فعلت أم المؤمنين سودة -رضي الله عنها- عندما تنازلت عن ليلتها لأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- تبتغي بذلك رضا رسول الله.

وكذلك أن أعطى واحدة دون الأخرى من ماله فإنه يعتبر ظالماً سواء كان العطاء نقوداً أو ملابساً أو حُليًا أو غيرها، ففي مثل هذه الأمور العدل واجب عليه فيه. جاء في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- الثابت في صحيح السنن الأربعة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة و شقُه مائل**» معنى شقُه مائل: أي أحدى جنبيه و طرفه مائل أي مفلوج، كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتُهنَّ خرج سهمها خرج بها معه، وكان يقسمُ لكل امرأةٍ منهن يومها وليلتها، وكان عليه الصلاة والسلام يراعي العدل وهو في مرض موته حتى أذن له زوجاته فكان في بيت عائشة -رضي الله عنها-، وكان لمعاذ بن جبل -رضي الله عنه- امرأتان فإذا كان يوم هذه لم يشرب من بيت الأخرى الماء.

تعليم الزوجة أمور دينها

ومن الحقوق المهمة: تعليم الزوجة أمور دينها، فعليه أن يعلمها ما لم تتعلمه من الطهارة، والوضوء، والصلاة وأحكام الحيض والنفاس والاستحاضة وغيرها. قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه:١٣٢] [طه:١٣٢]. فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- الثابت في صحيحي أبي داوود والنسائي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى و أيقظ امرأته فصلت فإن أبتْ نضح في وجهها الماء، و رحم الله امرأةً قامت من الليل فصلت و أيقظت زوجَها فصلى فإن أبى نضحت في وجهه الماء» .

وفي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- الثابت في صحيحي أبي داوود وابن ماجه أن النبي ﷺ قال: «إذا أيقظ الرجلُ أهله من الليل فصليا ركعتين جميعاً كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات».

وذلك لأن هناك من النساء من يصل عمرها إلى (٣٠ أو ٤٠ أو ٥٠)سنة وهي لا تعرف قراءة الفاتحة، ولا تعرف الوضوء الصحيح أو الصلاة الصحيحة، أو واجبها نحو أهليها وأقاربها، ولا كيف تلبس الملابس الشرعية، أو كيف تجتنب الخلوة بالرجال، أو كيف تخاطبهم إن دعا إلى ذلك داع. وهذا واقع وحاصل بين النساء، والمرأة كما نعلم شديدة التأثر بزوجها وسلوكه فإن رأت منه حرصاً على التعلم والدين والستر والعفة، استجابت، وإن رأت منه تشجيعاً أو سكوتاً على الاستهانة بأوامر الدين واستهزاءً به استجابت أيضاً. وكم وكم سمعنا عن زوجات خرجن من بيوتهن إلى بيوت أزواجهن عفيفات عابدات، فما لبثن غير قليل حتى انحرفن عن ذلك كله بتأثير الزوج وانحرافه وتفريطه في حقوق الله.

ومن الحقوق والآداب على الزوج تجاه زوجته أن يتعاهدها بالهدايا التي تجلب المحبة:

فالهدية لها أثرٌ بالغ في تحقيق السعادة ودوام المحبة والألفة، إن الهدية تذهب السخيمة، وتزيل البغضاء، ومهما كانت الهدية بسيطة ويسيرة فإن لها من الآثار النفسية ما يصعب حصره وتعدد مزاياها. فتهادوا تحابوا.

ففي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- الثابت في صحيح الجامع أن النبي- ﷺ- قال: «تهادوا تحابوا».

ومن الحقوق ألا يمنعها من زيارة أهلها وأقاربها وجيرانها، وكذلك إذا استأذنته بالخروج إلى صلاة الجماعة وكان خروجها شرعيًا بحيث لا تمس طيبًا ولا تخرج بزينة تفتن بها الرجال فمن السنة أن يأذن لها. وخاصة إذا صاحب الصلاة في المسجد علم شرعي وفقه في الدين وتعلم قرآن كريم.

إذاً على الزوج أن لا يمنع زوجته من زيارة أهلها لأن هذا ينافي العشرة بالمعروف إلا إذا خشيَ مفسدةً، كما لو علم أن أمها تُفسدها عليه فهنا يجوز منعها من ذلك إذا كان يترتب على ذهابها إليهم مفسدة في دينها أو في حق زوجها لأن في منعها من الذهاب في هذه الحالة درءا للمفسدة، وبإمكان المرأة أن تصل أهلها بغير الذهاب إليهم في هذه الحالة بل عن طريق المراسلة أو المكالمة الهاتفية إذا لم يترتب عليها محذوراً لقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، والله أعلم.

أم الزوجة

ومن هنا ننبه على أنه يجب على أم الزوجة أن تنصح ابنتها بما فيه مصلحتها، وينبغي أن لا تتدخل في كل صغيرة وكبيرة في بيت ابنتها. . وما يقال عن أم الزوجة يقال أيضاً عن أم الزوج. . مع الفرق في المنزلة إذ أن أم الزوج لها من الحقوق على ابنها في بيته ما ليس لأم الزوجة في بيت ابنتها.

وإنما ذكرنا ذلك لأن هناك بعض الأمهات لا تترك شاردة ولا واردة في

بيت ابنها أو ابنتها إلا وتتدخل فيها، بل ربما توغر صدر ابنتها على زوجها، أو توغر صدر ابنها على زوجته، فتتسبب في تشتيت أسرة وتفريق جمعها، وقد تبرأ الرسول -ﷺ- ممن سعى للإفساد بين الرجل وزوجته فقال عليه أفضل الصلاة والسلام: «ليس منا من خبّب امرأة على زوجها»[أخرجه النسائي في (العشرة) (٣٣٢)، واللفظ له، وأبو داود (٢١٧٥)، وأحمد (٢ / ٣٩٧)، والبخاري في (التاريخ) (١ / ١ / ٣٩٦)].

ومن الحقوق المحافظة على مالها وعدم التعرض له إلا بإذنها:

فقد يكون لها مال من إرث أو عطية أو راتب شهري تأخذه من عمفلها، فاحذر التعرض له لا تصريحاً ولا تلميحاً ولا وعداً ولا وعيداً إلا برضاها، قال الله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾ [النساء:٤]، وقد كان رسول الله -ﷺ- أميناً على مال زوجته خديجة فلم يأخذ إلا حقه ولم يساومها ولم يظهر الغضب والحنق حتى ترضيه بمالها! قال تعالى محذراً عن أخذ المهر الذي هو مظنة الطمع وهو من مال الزوج أصلاً: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء: ٢٠].

ومما يجب على الزوج المسلم المؤمن أن لا يسمح لها أن تشتري مجلات خليعة أو تقرأ القصص الفاسقة، وأن لا يسمح لزوجته بالاختلاط بالنساء ذوات السمعة السيئة إذ هو الراعي المسؤول عنها والمكلف بحفظها وصيانتها لقوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤].

ولقوله ﷺ: «الرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته». [متفق عليه].

هذه حقوق الزوجة على الزوج. فليعرف الزوج حقوق زوجته جيداً، وليحذر ظلمها وإيذاءها، فالله يعذب من يؤذي حشرةً أو حيواناً. وجميعنا يعرف

قصة المرأة التي حبست الهرة حتى ماتت فدخلت بها النار. فما بالكم بالذي يُعذّب إنساناً مثله، فما بالكم بالذي يُعذّب أقرب الناس إليه وهي زوجته وأم أولاده.

بل إن كثيراً من الرجال يكون خلوقًا بشوشاً رقيقاً مع الناس خارج البيت، فإذا دخل البيت انقلب إلى وحشٍ كاسر، ليس لديه إلا الصراخ والأوامر والشجار لأتفه الأسباب، وهذا النوع من شر الناس، لأن أولى الناس بحسن معاملتك وأولى الناس برحابة صدرك ولطف معشرك أهلُك وعلى رأسهم زوجتك، يقول -ﷺ-: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» [صحيح، سنن الترمذي ح (٣٨٩٥) وقال: حسن غريب صحيح، وأخرجه ابن ماجه ح (١٩٧٧)].

اللهم رُدنا إلى دينك وسنة نبيك رداً جميلاً برحمتك يارب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

حقوق الزوج على زوجته

إن الحمد لله نحمده سبحانه ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي المؤمنين المتقين، وسعت رحمته كل شيء، بيده الخلق والأمر وهو على كل شيءٍ قدير، وأشهد أن سيدنا محمداً -ﷺ- عبد الله ورسوله، بعثه الله رحمةً للعالمين بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

و بعد:

بما أن للزوجة حقاً على زوجها، فللزوج حقوق على زوجته أوجبها الشارع ورتبها، وحث الزوجة على الالتزام بها، حتى تدوم الألفة والمودة بينهما.

الحقوق الواجبة على الزوجة لزوجها

الحق الأول: طاعته بالمعروف: قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ٣٤]، ولا تكون المرأة صالحة إلا إذا كانت مطيعة لزوجها. روى أبو هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «لو كنتُ آمرًا أحدًا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي

نفس محمد بيده، لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حقَّ زوجها كلَّه، حتى لو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه» [أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٧)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٧٤) وابن ماجه في النكاح (١٨٥٣) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه، وصححه ابن حبان (٤١٧١)].

إن طاعة المرأة لزوجها في غير معصية الله تحفظ كيان الأسرة من التصدع والانهيار.

وتبعث إلى محبة الزوج القلبية لزوجته، وتعمق رابطة التآلف والمودة بين أعضاء الأسرة.

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: **«إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة، شئت»**[رواه ابن حبان ورواه الإمام أحمد من حديث عبد الرحمن بن عوف].

ولتعلم المرأة المسلمة أن الإصرار على مخالفة الزوج يوغر صدره، ويجرح كرامته، ويسيء إلى قوامته.

المرأة المسلمة الصالحة إذا أغضبت زوجها يوماً من الأيام فإنها سرعان ما تبادر إلى إرضائه وتطييب خاطره، والاعتذار إليه مما صدر منها. ولا تنتظره حتى يبدأها بالاعتذار. إن النبي -ﷺ- قال: **« نساؤكم من أهل الجنة الودود الولود العؤود على زوجها (أي بالنفع والخير) التي إذا غضب زوجها جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها وتقول لا أذوق غمضاً (أي نوماً) حتى ترضى»** [أخرجه الطبراني في الكبير (١٩/ ١٤٠، رقم ٣٠٧)، وفي الأوسط (٦/ ١١، رقم ٥٦٤٨) وقال الهيثمي في المجمع، ٤/ ٣١٢: فيه السري بن إسماعيل وهو متروك.].

الزوجة الصالحة مفتاح السعادة، ونعمة الله الكبرى على زوجها، ومتعته

التي لا تدانيها متعة، فهي تنفض عنه غبار الهموم، وتغمره بالسعادة والحنان، وتجعل من نفسها ركناً هادئاً لأجل راحته وسعادته.

ولتعلم الزوجة أن قناعتها ورضاها سبب من أسباب رضوان الله عليها، وإذا ماتت الزوجة وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة.

الحق الثاني: المحافظة على عرضه وماله:

قال تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]، وحفظها للغيب أن تحفظه في ماله وعرضه. أن تصون نفسها عن غيره، فتحافظ على فراش زوجها، ولا تتساهل في خلوة أي أجنبي بها، ولا سيما أقارب الزوج وأقاربها الذين ليسوا بمحارم، فقد حذر رسول الله -ﷺ- من الخلوة بالمرأة بصفة عامة، وحذر من الأقارب غير المحارم بصفة خاصة، فقال: **«إياكم والدخول على النساء»، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت»**[متفق عليه].

و عن ثوبان -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: **«ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة، إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها طاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله»**[رواه أبو داود، والحاكم الترمذي وقال الحاكم: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".].

الحق الثالث: مراعاة كرامته وشعوره:

فلا يرى منها في البيت إلا ما يحب، ولا يسمع منها إلا ما يرضى.

والزوج في الحقيقة إذا لم يجد في بيته الزوجة الأنيقة النظيفة اللطيفة ذات البسمة الصادقة، والحديث الصادق، والأخلاق العالية، واليد الحانية والرحيمة

فأين يجد ذلك؟

وأشقى الناس من رأى الشقاء في بيته وهو بين أهله وأولاده، وأسعد الناس من رأى السعادة في بيته وهو بين أهله وأولاده.

الحق الرابع: قيامها بحق الزوج وتدبير المنزل وتربية الأولاد.

قال أنس -رضي الله عنه-: «كان أصحاب رسول الله إذا زفوا امرأة إلى زوجها يأمرونها بخدمة الزوج ورعاية حقه، وتربية أولاده».

الحق الخامس: قيامها ببر أهل زوجها:

وهذه من أعظم الحقوق على الزوجة، وهي أقرب الطرق لكسب قلب الزوج، فالزوج يحب من امرأته أن تقوم بحق والديه، وحق إخوانه وأخواته، ومعاملتهم المعاملة الحسنة.

الحق السادس: ألا تخرج من بيته إلا بإذنه حتى ولو كان الذهاب إلى أهلها.

قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ففي الآية دلالة على أن النساء مأمورات بلزوم البيت، منهياتٌ عن الخروج.

وفي الحديث قال -صلى الله عليه وسلم-: «إذا استأذنت المرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها» [متفق عليه]، فيُفهم من الحديث أنها إذا أرادت الخروج لا بد أن تستأذن، كما يُفهمُ منه أن للزوج منع زوجته من الخروج إلا ما استثني شرعًا، فالإسلام حينما جعل بيت المرأةِ قرارًا لها، وحذرها من الخروج منه، فإنه أباح لها الخروج عند الحاجة أو الضرورة، ومن ذلك الخروج لحضور صلاة الجماعة في المسجد كما في الحديث السابق، وكذا الخروج إلى مصلى العيد أو الجهاد أو ما إليه ضرورة.

إن الإسلام حكيمٌ عادل، بخلاف ما يدعو إليه دعاة الضلال الذين يغرون المرأة بالخروج إلى أماكن اللهو والفجور ومواطن الشك والارتياب، والمواقع الأخرى التي لا حاجة لوجود المرأة فيها، إذ يُكتفى فيها بالرجال.

ومع أن الإسلام أمر المرأة بعدم الخروج، إلا أن حُسْن المعاشرة يُحتّم على الزوج أن يكون حكيمًا، وأن يُدرك أن المرأة ليست حبيسة المنزل، فيأذن لها في الخروج فيما تحتاج في نفسها، أو ما تحتاجه من زيارة أبويها أو أقاربها؛ لأن في ذلك صلة للرحم التي أمر الشرع بصلتها، وهذا مشروط بأن لا يكون في خروجها ضرر يعود على زوجها أو على نفسها، فإن وجد شيء من ذلك تعين على الزوج منعها.

لقد اجترأ كثيرٌ من النساء في هذا الزمن للخروج من بيوتهن بلا ضرورة، بل لارتياد المتاجر، لا لشراء ما هن في حاجة إليه، بل لمعرفة ما استحدث من نماذج وموضات جديدة للملابس التي تُظهر المفاتن، وتكشف عما أُمرت المرأة بستره، وكأنها بخروجها تعرض مفاتنها لتوجه أنظار الرجال إليها، أو تثير إعجابهم بمحاسنها، وأصبح خروجها بهذه الطريقة عادة مألوفة في كثير من المجتمعات، وقد توعد النبيّ -ﷺ- المرأة التي تخرج على تلك الصفة، فقال: «**أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرَّت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية، وكل عين زانية**»[أخرجه الترمذي (٢٧٨٦) وأبو داود (٤١٧٣) والنسائي (٨/ ١٥٣) وأحمد (٤/ ٤١٤) وغيرهم.].

ومن حق الزوج على زوجته ألا تطالبه مما وراء الحاجة وما هو فوق طاقته فترهقه من أمره عسراً بل عليها أن تتحلى بالقناعة والرضا بما قسم الله لها من الخير. وان

تكون صابرة على فقر زوجها إن كان فقيرا ولا تعينه على الحرام، كانت المرأة من نساء السلف تقول لزوجها وهو خارج إلى عمله اتقي الله فينا ولا تطعمنا حرام فانا نصبر على جوع الدنيا ولا نصبر على نار جهنم.

وعلى المرأة أن تحث الزوج على صلة والدية وأصدقائه وأرحامه.

وأن تربي أبنائها على محبة الله ورسوله -ﷺ- وأن تربيهم كذلك على احترام والدهم وطاعته وأن لا تساعدهم على أمر يكرهه الزوج وعلى الاستمرار في الأخطاء.

ومما نوصي به المرأة المسلمة أن لا تصف غيرها لزوجها، لان ذلك خطرٌ عظيم على كيان الأسرة.

ومن حقوق الزوج على زوجته أن لا تسأل زوجها الطلاق، فإن ذلك محرم عليها ولنتذكر حديث رسول الله -ﷺ- : «**أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما سبب فحرام عليها رائحة الجنة**»[مسند أحمد (٥/ ٢٧٧، ٢٨٣) عن ثوبان رضي الله عنه، وأخرجه أيضا أبو داود في الطلاق (٢٢٢٦)، والترمذي في الطلاق (١١٨٧)، وابن ماجه في الطلاق (٢٠٥٥)، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن"، وابن حبان (٤١٨٤)].

وعليها أن تُقدم مطالب زوجها وأوامره على غيره حتى على والديّها، وان أن تسعى إلى تلمس ما يحبه زوجها من ملبس ومأكل وسلوك، وأن تحاول ممارسة ذلك لأن فيه زيادة لحب الزوج لزوجته وتعلقه بها.

ومما نوصي به المرأة المسلمة أن تودِّعه إذا خرج خارج المنزل بالعبارات المحببة إلى نفسه، وتوصله إلى باب الدار وهذا يُبين مدى اهتمامها بزوجها، ومدى تعلقه به.

و إذا عاد من خارج المنزل تستقبله بالترحاب والبشاشة والطاعة وأن تحاول تخفيف المتاعب.

وعلى المرأة أن تحتفظ بسره ولا تفشيه لأحد وهذا من باب الأمانة، وأن لا تنشغل بشيء في حالة وجود زوجها معها، كأن تقرأ مجلة أو تستمع إلى المذياع، بل تشعر الزوج بأنها معه قلباً وقالباً وروحاً.

ومما نوصي به المرأة المؤمنة أن تكون قليلة الكلام، وأن لا تكون ثرثارة، وقديماً قالوا: «**إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب**».

وعليها أن تهتم بهندام زوجها ومظهره الخارجي إذا خرج من المنزل لمقابلة أصدقائه، لأنهم ينظرون إلى ملابسه فإذا رأوها نظيفة ردوا ذلك لزوجته واعتبروها مصدر نظافته والعكس.

وعلى المرأة المؤمنة أن لا تسمح للآخرين بالتدخل في حياتها الزوجية، وإذا حدثت مشاكل في حياتها الزوجية، تسعى إلى حلها بدون تدخل الأهل أو الأقارب أو الأصدقاء.

وإذا سافر زوجها لأي سبب من الأسباب، تدعوا له بالخير والسلامة، وأن تحفظه في غيابه، وإذا قام بالاتصال معها عبر الهاتف لا تنكد عليه بما يقلق باله، كأن تقول له خبراً سيئاً، إنما المطلوب منها أن تسرع إلى طمأنته ومداعبته وبث السرور على مسامعه، وأن تختار الكلمات الجميلة التي تحثه على سرعة اللقاء. والرجل في حاجة إلى مواساة امرأته وتسكينها إياه في حالات الغضب، أو نزول حوادث محزنة، كموت ولدٍ أو فقد مال أو ما أشبه ذلك، ولقد ضربت أم سليم

زوج أبي طلحة رضي الله عنها أنصع مثال في هذا، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: **مات ابن لأبي طلحة من أم سليم**، فقالت لأهلها: «**لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه**»، فلما جاء قرَّبت إليه العشاء فأكل وشرب، قال: ثم تزينت له أحسن ما كانت تفعل قبل ذلك فبات معها، ثم قالت له: «**يا أبا طلحة، أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟**» قال: لا، قالت: **فاحتسب ابنك**، قال: فغضب وقال: تركتِني حتى تلطختُ، ثم أخبرتِني بابني، فانطلق حتى أتى رسول الله فأخبره بما كان، فقال له رسول الله - ﷺ -: «**بارك الله لكما في ليلتكما**»[متفق عليه].

ومن حقوق الزوج على زوجته إجابته إذا طلبها إلى فراشه، فإن عصيانه في هذه الحالة من أكبر المعاصي، روى أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح**»[متفق عليه]، وقال - ﷺ -: «**إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور**»[رواه أبو حاتم في صحيحه والترمذي وقال حديث حسن ج٣/ ص٤٦٦ ح١١٦٠].

ومن الحقوق الاعتراف بفضل الزوج عليها وعدم إنكار معروفه، فلا تنكر الزوجةُ ما قدّمه لها وأسداه إليها من معروف، فإن كثيرًا من النساء تجحد فضل زوجها عليها، وخاصّة عندما تغضب، وذلك من أسباب دخولها النار، قال - ﷺ -: «**ورأيتُ النار، فلم أرَ كاليوم منظرًا قطُّ، ورأيتُ أكثر أهلِها النساء**»، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: «**بكفرهنَّ**»، قيل: أيكفرنَ بالله؟ قال: «**يكفرن العشير، ويكفرنَ الإحسان، لو أحسنتَ إلى إحداهنَّ الدهر ثم رأت منك شيئًا**

قالت: ما رأيتُ منك خيرًا قطُّ»[متفق عليه].

ومن الحقوق أن تحفظ ماله ولا تفرط فيه أو تبعثره، فلا يجوز للزوجة أن تضيع مال زوجها الذي تعب في تحصيله وتحمل المشاق في جلبه وكسبه، سواءً كان ذلك نقودًا أو طعامًا أو ملابس أو أثاثًا أو غير ذلك، فليس لها أن تُبذّر إذا أنفقت منه؛ لأنه قد ائتمنها على ذلك، وتبذيرها له خيانة، والخيانة من صفات المنافقين، وليس لها الحق في أن تتصرف بشيء من ماله دون إذنه ورضاه، إلا إذا كان حريصًا على المال حرصًا شديدًا، بحيث لا يوفر لها حتى النفقة على نفسها وأولادها، فيجوز لها حينئذ أن تأخذ ما يكفيها ويكفي أولادها بقدر الحاجة. يدل لذلك حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: جاءت هندُ إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فقال: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»[متفق عليه].

ومن الحقوق أن لا تصوم صيام تطوع وزوجها موجود إلا بعد أن تستأذنه، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه»[متفق عليه].

ومن حقوق الزوج على زوجته أن تعاشره معاشرة حسنة، فتبتسم في وجهه، وتظهر البشر والسرور، وتتجمل له، وتظهر أمامه بالمظهر الذي يعجبه، وتعمل كل ما من شأنه أن يحببها إليه ويرغبها فيه، ولا ينبغي أن تظهر أمامه بمظهر ينفر منه، كأن تلبس ملابس سيئة المنظر، أو تقترب منه وبها روائح غير مناسبة من

آثار الطبخ وغيره، فإن ذلك من شأنه أن يكرّه الزوج فيها، ويُنَفِّره منها، وقد يعقبه بغض شديد لها، لا سيما إذا داومت على ذلك المظهر السيئ.

وكثيرٌ من النساء لا تعتني بمظهرها أمام زوجها، لا في ملبسها ولا في نظافتها، وتعكس ذلك إذا خرجت في زيارة خارج المنزل، فتراها تعتني بنفسها وتلبس أجمل ثيابها، وهذا الفعل يعتبر من أسوأ الأفعال وأشنع الصفات التي تصدر من الزوجة مع زوجها، فإنه أحق بتجملها وتنظفها وتطيّبها.

يحدثنا التاريخ أن شريحاً قابل الشعبي يومياً فسأله الشعبي عن حاله في بيته فقال له شريح: منذ عشرين عاماً لم أر ما يغضبني من أهلي، قال له وكيف ذلك قال شريح:

«من أول ليلة دخلت على امرأتي ورأيت فيها حسناً فاتنا وجمالاً نادراً، قلت في نفسي أصلي ركعتين شكراً لله عز وجل.

فلما سلّمت وجدت زوجتي تصلي بصلاتي وتسلم بسلامي. فلما خلا البيت من الأصحاب والأصدقاء قمت إليها فمددت يدي نحوها فقالت: على رسلك يا أبا أمية كما أنت ثم قالت:

« إن الحمد لله أحمده واستعينه وأصلي على محمد وآله وبعد. فإني امرأةٌ غريبة، لا علم لي بأخلاقك، فبين لي ما تحب فآتيه، وبين لي ما تكره فأتركه، ثم قالت: فلقد كان في قومك من هي كفء لك، ولقد كان في قومي من هو كفء لي، ولكن إذا قضى الله أمراً كان مفعولاً، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به، فإمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان. أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولك».

من منا سمع مثل هذا الكلام ليلة عرسه؟

قال شريح: فأحوجتني والله يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الموضوع، فقلت: «أحمد الله وأستعينه وأصلي وأسلم على النبي وآله وبعد فإنك قلت كلاماً إن ثبت عليه يكن ذلك حظك، وإن تدعيه يكن حجة عليك، فإني أحب كذا وكذا، وأكره كذا وكذا، وما رأيتِ من حسنةٍ فانشريها، وما رأيتِ من سيئةٍ فاستريها»، فقالت: كيف محبتك لزيارة أهلي؟

قلت: ما أحب أن يملن أصهاري.

فقالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك فآذن له ومن تكره فأكره.

قلت: بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء. قال شرحيك فبت معها بأنعم ليلة. فمكثت معي عشرين عاماً لم أعتب عليها في شيء إلا مرة وكنت لها ظالماً.

وهذه أم توصي ابنتها عند الزواج وصية أم لابنتها عند الزواج، فتقول لابنتها: أي بنية إن الوصية لو تركت لفضل أدب لتركت ذلك لك ولكنها تذكرة للغافلة ومعونة للعاقلة.

«**أي بنية**: لو أن امرأة استغنت عن الزوج، لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليهما، لكنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال، فخذي وصيتي فإن فيها تنبيهاً للغافل ومعونةً للعاقل.

أي بنية: إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، وخلّفت العيش الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تأليفه، فأصبح بملكه عليه رقيباً ومليكاً،

فكوني له أمة يكن لك عبداً. واحفظي له خصالاً عشراً تكن لك ذخراً.

أما الأولى والثانية: فالخضوع له بالقناعة، وحسن السمع له والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لمواضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا طيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت منامه وطعامه. فإن تواتر الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس لماله والإرعاء على حشَمه وعياله، وملاك الأمر في المال حسن التدبير وفي العيال حسن التقدير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصي له أمراً، ولا تفشي له سراً فإنك إن خالفت أمره أو غرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره.

ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مغتماً، والكآبة بين يديه إن كان فرحاً.

هذه هي أخلاق المرأة المسلمة، وهذا فهمها، وهذه وصيتها، وتلك ثقافتها، فالله عليكم هل سمعتم كلاماً وعقلاً وحكمة كهذه؟ .

هذه هي المرأة المسلمة، يوم أن تسربلت بأخلاق الإسلام، وتربّعت على عرش حياتها تتمسك بحجابها بيمينها وتزلزل عروش الكفر والتغريب بشمالها.

وصلّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

حقوق اليتيم (١)

الحمد لله رب العالمين، أعزنا بالإسلام، وجعلنا به خير أمة أُخرجت للناس، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وهو رب الناس، وملكهم، وإلههم، وأشهد أن محمداً عبدُ الله ورسوله، أرسله إلى جميع الناس، وجعل شريعته باقية وعامة لجميع الأجناس، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به واتبعوه، ونشروا دينه وبلغوه، وسلم تسليماً كثيراً.

و بعد: نحن اليوم بحول الله ومدده على موعد مع لقاء من لقاءات هذه السلسلة المنهجية المباركة. سلسلة الحقوق، وحديثنا اليوم بإذن الله تعالى عن حقٍّ جليلٍ كبير عظيم ألا وهو حق اليتيم.

أولاً: من هو اليتيم؟ : قال ابن منظور في لسان العرب: اليتيم في الناس: من فقد أباه ولم يبلغ الحلم، واليتم في الحيوانات والطيور من فقد أمه، وأصل اليتم في اللغة الغفلة، وبه سُمّى اليتيم يتيماً، لأنه يُتغافل عن الإحسان إليه وبِرّه بعد موت أبيه.

اليتيم وإن فقد أباه الذي يكفله، وفقد حنان الأب وعواطفه، لكنه لم يفقد الرحمة الإلهية من الرحمن الرحيم الذي وصى عبادة باليتامى إحسانا وإطعاما وإيواءً وكفالة. قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ..... ﴾ [النساء: ٣٦].

ألا فتأملوا كيف ربط الله بين الأمر بتوحيده والأمر بالإحسان إلى اليتامى وقال

تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإنسان:٨]

﴾[الإنسان: ٨]، هذا هو الإسلام دين الرحمة دين العطف دين السماحة دين السلام.

وقال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾ . . تريد اقتحام العقبة. . تريد إرضاء رب الأرض والسماوات: اسمع ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البلد: -١١-١٦].

وقال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

ورعاية اليتيم والمحافظة عليه لا تقتصر على شريعة محمد -ﷺ- بل كانت في الشرائع السابقة لشرعنا فمن جملة بنود الميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل: الإحسان إلى اليتامى قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

لقد أطل الإسلام بنوره على العرب وهم غارقون في ظلمات الظلم والقهر وسلب الحقوق. مجتمع يسطو فيه الغني على الفقير والقوي على الضعيف فما بالكم باليتيم. فجاء الإسلام دين العدل، والمساواة، ودين الرحمة، والعطف جاء ليأخذ بيد الضعفاء فيرفع بهم إلى المستوى الذي يجدون فيه حقوقهم كاملة غير منقوصة مهما كلف الثمن، فالقوي في الإسلام ضعيف حتى يؤخذ منه الحق، والضعيف في الإسلام قوي حتى يؤخذ له حقه.

حث الإسلام على رعاية اليتيم ومعاملته بالحسنى، ليعيش حياة كريمة، ويكون له دوره الفاعل في المجتمع، ونهى عن احتقاره أو إهانته كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ [الضحى: ٩] · قال ابن كثير في تفسيره: «فلا تقهر اليتيم أي: لا تذله وتنهره وتهنه، ولكن أحسن إليه بلطف وكن له كالأب الرحيم» . وقال تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧﴾ [الفجر: ١٧].

ويُفهم من هذا أنه لابد من إكرام اليتيم، وهذا الإكرام يشمل كل صور حفظ اليتيم من ناحية حقوقه الاجتماعية سواءً فيها الإيواء، أو الإنفاق، أو التربية.

فمن إكرامه عدم تركه بلا تربية وتعليم، ومن إكرامه تهذيبه كما يهذب الشخص أولاده، فليس المراد بإكرامه إذًا هو الإنفاق عليه فقط بل المقصود كل ما يحقق إكرامه. بل جمع الله في كتابه بين من يُكذّب بالدين وبمن يدُعُّ اليتيم ويؤذيه ولا يحث على إطعامه، فقال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ [الماعون: ١-٣].

روي البخاري -رحمه الله- أنه حصلت خصومة بين يتيم وصحابي على نخلة والناس على الدنيا تجد النزاع بينهم عظيما ولم يخل منه حتى عهد المصطفى -ﷺ- كان هناك بستان لهذا الصحابي وبستان آخر لهذا اليتيم وبينهما نخلة وهذا اليتيم لا زال لم يدرك حق الإدراك فقال هذا الصحابي هذه النخلة لي وقال هذا اليتيم الصغير هذه النخلة لي تشاجرا فذهب اليتيم فاشتكي هذا الصحابي إلى المصطفى -ﷺ- فأحضر هذا الصحابي وقال هذا الطفل أو هذا اليتيم يشكوك

أو كما قال -ﷺ- في نخلة أخذتها له قال والله ما كان ذلك لي يا رسول الله وما كنت لآخذ نخلته قال النبي -ﷺ- إذًا نخرج ونُعاين خرج النبي -ﷺ- لم يعتمد على كلام هذا ولا هذا وإنما خرج ليُعاين البستانين ويُعاين النخلة تواضعًا منه -ﷺ- وعدلٌ في الحكم؛ لأنه يأخذ عن العدل سبحانه وتعالى خرج وذهب وعندما وصل إلى ذاك المكان فإذا بالنخلة في بستان الصحابي واضحة جلية، فهل يعطف على هذا اليتيم فيحكم بغير حكم الله؟ لا ما كان ذلك لرسول الله -ﷺ- ، فحكم بالنخلة للصحابي فذرفت دموع اليتيم على خديه فأراد النبي -ﷺ- أن يجبر كسر قلب هذا اليتيم لأنه لم يدرك الحق فقال لهذا الصحابي: « **أتعطيه هذه النخلة ولك بها عذقٌ في الجنة** »عذق نخل في الجنة مقابل هذه النخلة، لكن الصحابي كان في وقت غضب إذ كيف يشكوه والحق له ويشكوه إلى من إلى المصطفى -ﷺ- فيذهب وكان في الجلسة رجل يتمنى مثل هذه الفرصة اسمه [أبو الدحداح] -رضي الله عنه- وأرضاه قال يا رسول الله: « **إن اشتريت هذه النخلة وأعطيتها هذا اليتيم ألي العذق في الجنة**» قال: «**لك ذلك** »فيلحق بهذا الصحابي ويقول:

«**أتبيعني هذه النخلة ببستاني كله خذ بستاني كله وأعطني هذه النخلة** ».

قال: «أبيعكها لا خير في نخلة شُكيت فيها إلى رسول الله -ﷺ- »، فباعه النخلة بالبستان كله وذهب إلى أهله ونادى فيهم: «**يا [أم الدحداح] ويا أبناء** [أبى الدحداح] **قد بعناها من الله فاخرجوا منها**»، خرجوا ومعهم بعض الرطب فقام يأخذه ويرميه فيها ويقول:

« **قد بعناها من الله جل وعلا بعذقٍ في الجنة**» خرج هو وأهله وقد باع كل شيء واشترى عذق من نخلة عند الله جل وعلا.

هل قال: خلاص انتهينا لنا نخلة في الجنة يكفي لا نصلي لا نصوم لا نعمل أي شيء؟ لا الذي بذل هذه سيبذل أعظم منها. بذل المال وبذل الأولاد وبذل كل نعيم في هذه الحياة ثم في الأخير يُقدّم نفسه لله جل وعلا. يخرج في معركة أُحد معركة أُحد الصادقة للصادقين والذي اُبتلي فيها المؤمنون ابتلاءً شديداً وربي فيها المؤمنون تربية عظيمة وكُسرت فيها رباعية المصطفى -ﷺ- وشُج وجهه.

يوم انتهت المعركة ذهب يفتش -ﷺ- وهو في تلك الحالة عن أصحابه يتفقدهم ويأتي إلى صاحب العذق إلى [أبي الدحداح] وإذ به مدرج بدمائه فيرفعه ويمسح الدم عن وجهه ويقول: «**رحمك الله أبا الدحداح كم من عذقٍ مذلل الآن لأبي الدحداح في الجنة**» لا إله إلا الله ماذا خسر أبي الدحداح خسر تراب خسر شجيرات خسر نخيلات لكنه فاز بجنة عرضها كعرض الأرض والسماوات فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي -ﷺ- قال: «**أول من يأكل من ثمرة الجنة أبو الدحداح**». [أخرجه الديلمي (١/ ٣٤، رقم ٥٧)].

أيها الأحباب:

اليتيم إذا لم يجد من يؤويه ويرعاه هناك صنفٌ من الناس ضعفاء النفوس يستغلون فقر اليتيم وحاجة اليتيم فيُستخدم في السرقة والفواحش والعياذ بالله.

أيها الأخوة:

من تتبع كتاب الله -عزَّ وجلَّ- وما ورد فيه من الآيات الدالة على رعاية

اليتيم وحفظ حقه في الحياة وجد أن كلمة (يتيم)وردت في كتاب الله في (٢٢) آية كلها تحث على حفظ اليتيم ورعاية شؤونه وحفظ ماله.

ولقد شاءت الحكمة الإلهية أن يذوق المنقذ الأول للإنسانية مرارة اليتم، فيفقد الحنان الأبوي فبشرى لليتامى لا تحزنوا لفقد الأب أو الأم فإن خير البشر- محمد-ﷺ- كان يتيما.

وليس هذا من قبيل المصادفة العمياء، فلا يوجد شيء في كون الله إلا بقدر ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر:٤٩]

شاء الله أن ينشأ المصطفى يتيماً ليتولاه الله وحده بالعناية والرعاية حتى لا ينشأ المصطفى يقول: أبي أبي وإنما يقول: ربي ربي.

نشأ المصطفى -ﷺ- يتيما ليتولاه ربه وحده بالرعاية- انتبه- ومن تولاه الله برعايته أحسن بدايته وأكرم نهايته، فوالله ثم والله ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا هي أكرم عليه من نفس محمد وإنه لمكتوب عند الله خاتم النبيين، وإن آدم لمجندل في طينته- وآدم في طينته- ورسول الله مكتوب عند الله خاتم النبيين، فوالله ما أحب الله مخلوقا كما أحب رسولنا وحبيبنا -ﷺ- فلقد خلق الله الخلق واصطفى من الخلق الأنبياء، واصطفى من الأنبياء الرسل. واصطفى من الرسل أولى العزم الخمسة: نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً، واصطفى من أولى العزم الخمسة: الخليلين الحبيبين إبراهيم، ومحمداً، ثم اصطفى محمداً فكرمه على جميع خلقه فرفع ذكره، وشرح صدره، وأعلى قدره، ووضع وزره وزكاه في كل شيء.

تدبر معي قوله تعالى مخاطبا نبيه -ﷺ-: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى: ٦]. . . . ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦﴾. لقد ولدت يتيماً فأواك الله جل وعلا وأحاطك بعنايته ورعايته ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ ووجدك تائها تبحث عن الحق والحقيقة في بيئة جاحدة بين نفوس شاردة في هاجرة قاحلة فهدى الله قلبك للإيمان: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورى:٥٢] ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ كنت فقيراً فأغنى الله نفسك بالقناعة والرضا ثم من عليك بالرزق الحلال الطيب الواسع.

وقد جاء في الخبر عن النبي -ﷺ- قوله «خير بيتٍ من المسلمين بيتٌ فيه يتيم يُحسن إليه، وشر بيتٍ من المسلمين بيتٌ فيه يتيم يساء إليه »[أخرجه: البخاري في الأدب المفرد بسند فيه ضعف]. ولذلك كان الصحابة والتابعين والصالحين على مر الأزمان يتنافسون على كفالة اليتامى وإسعادهم، فعن جابر -رضي الله عنه- أنه كان يقول: «لأن أتصدق بدرهم على يتيم أو مسكين أحب إلى من أن أحج حجة بعد حجة الإسلام».

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: « من ضمّ يتيماً فكان في نفقته وكفاه مؤونته كان له حجاباً من النار يوم القيامة، ومن مسح برأس يتيم كان له بكل شعرة حسنة».

وجاء في بعض الآثار: « إنَّ اليتيم إذا بكى اهتز لبكائه عرش الرحمن، فيقول

الله تعالى: يا ملائكتي؛ مَن أبكى هذا اليتيم الذي غيبتُ أباه في التراب؟ فتقول الملائكة: ربنا أنت أعلم، فيقول الله تعالى: يا ملائكتي فإني أُشهدكم أنَّ لمن أسكته وأرضاه أنْ أُرضيه يوم القيامة ».

ومن هذا المنطلق يأمر الله جل وعلا أولياء اليتامى أن يتقوا الله في أموال اليتامى وألا يقربوا أموالهم إلا بالتي هي أحسن، وحذرهم من تبديدهم وتبديدها بالخبيث أو المتاجرة بها في الحرام فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الإسراء:٣٤]

وقال سبحانه: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [النساء:٢]

بل وأوجب الله في آية واحدة جامعة أوجب على ولي اليتامى:

أولا: ألا يسرف في الإنفاق من أموالهم حتى يبلغ اليتامى الرشد وسن النكاح وصاروا قادرين على تدبير شؤونهم والمحافظة على أموالهم.

ثانياً: أن يردوا أموالهم إليهم كاملة غير منقوصة.

ثالثاً: إن كان غنيا ألا يأكل من مال اليتيم فإن كان فقيراً أكل بالمعروف من غير إسراف ولا تبذير.

رابعاً: ألا يسارع بأكل أموال اليتامى قبل أن يكبر أصحابها ليأخذوا حقهم.

خامساً: أن يرد إليهم أموالهم وأن يشهد على ذلك إبراءاً لذمته ودرءاً للشبهة عنه.

فتدبروا كل هذه المعاني التي ذكرت في آية واحدة في آية فذة جامعة بأوجز لفظ

وأعجز أسلوب يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٦﴾ [النساء: ٦]، ومن ثم يأتي هذا التحذير الرهيب والوعيد الشديد لمن يأكلون أموال اليتامى، تدبر معي قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ [النساء: ١٠]

مشهد مرعب مشهد النار وهى تتأجج في البطون، لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب المصطفى كانوا وقافين عند كلام الله كان القرآن يتنزل على رسول الله فيتلوا الرسول القرآن عليهم فترتجف القلوب شق ذلك على أصحاب النبي -ﷺ-.

انتبه معي أيها الفاضل فانطلق كل ولي لليتامى فعزل طعامه عن طعام اليتامى وعزل شرابه عن شراب اليتامى فكان الطعام يُقدّم لليتيم حتى يشبع فإن تبقى شيء من طعام اليتيم لا تمتد إليه حتى يأكله اليتيم مرة أخرى أو يفسد فشق ذلك على أصحاب المصطفى فذهبوا إلى رسول الله -ﷺ- فأخبروه فرفع الله الحرج والعنت وأنزل على حبيبه قوله تعالى: ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٢٠﴾ [البقرة: ٢٢٠] وَإِن تُخَالِطُوهُمْ في الطعام والشراب لا حرج في ذلك بغير ظلم.

ولقد أرشد النبي -ﷺ- أبا ذر -رضي الله عنه- بقوله: «يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم»[رواه مسلم برقم ٦٢٨١].

هذه بعض آيات القرآن التي تبين مكانة اليتيم ويأتي اليتيم الذي كان يتمه تشريفا لكل يتيم ليكرم اليتامى، ففي السنة الشريفة المطهرة هل تدبرتم هذا الحديث ماذا لو أخبرتك أخي الحبيب بأنك ستكون في منزلة عليا في الجنة؟ ثم ماذا لو أخبرتك أخي الحبيب بأنك ستكون في منزلة عمر في الجنة؟ ماذا لو أخبرتك أخي الحبيب بأنك ستكون في منزلة عثمان في الجنة؟ ثم ماذا لو علمت يا أخي الحبيب بأن منزلتك ستكون في منزلة صديق الأمة في الجنة؟ ثم ماذا لو أخبرتك أخي الحبيب بأنك ستكون في الجنة مع الحبيب المصطفى هل فكرت فيها؟ في الصحيحين من حديث أبى هريرة -رضي الله عنه- أن المصطفى -ﷺ- قال: « أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين» وأشار بالسبابة والوسطى..

انظروا إلى تقارب السبابة والوسطى هذه منزلة كافل اليتيم في الجنة مع المصطفى -ﷺ- وفى لفظ مسلم: « كافل اليتيم له أو لغيره».. يقول الحبيب -ﷺ-: « أنا أول من يفتح باب الجنة فأرى امرأة تبادرني... » يرى الحبيب امرأة تسابقه لتدخل معه الجنة في منزلته العالية يقول المصطفى: « فأقول لها: ما لك من أنت؟.. فتقول هذه المرأة: أنا امرأة قعدت على أيتام لي».. أنا امرأة قعدت على أيتام لي.. امرأة ربّت يتامى مات زوجها وهى في ريعان الصبا والشباب فأبت إلا أن تُفرّغ نفسها لتربية أولادها تربية ترضى الرب سبحانه هذه هي منزلها تركت كل لذة واستعلت على كل شهوة ورفضت الخُطّاب وتفرّغت لتربية

أولادها اليتامى هذه هي منزلتها مع الحبيب -ﷺ-.

الإمام أحمد بن مسكين من علماء القرن الثالث الهجري في البصرة، يقول عن نفسه: "إني امتحِنت بالفقر سنة تسع عشرة ومائتين، وانحسَمت مادتي وقحط منزلي، فلم يكن عندنا شيء، ولي امرأة وطفلها، وقد طوينا على جوع يخسف بالجوف خسفا، فجمعت نيتي على بيع الدار والتحوّل عنها، فخرجت أتسبب لبيعها فلقيني أبو نصر، فأخبرته بنيتي لبيع الدار فدفع إلى رقاقتين من الخبز بينهما حلوى، وقال أطعمها أهلك. ومضيت إلى داري فلما كنت في الطريق لقيتني امرأة معها صبي، فنظَرَت إلى الرقاقتين وقالت: يا سيدي، هذا طفل يتيم جائع، ولا صبر له على الجوع، فأطعمه شيئًا يرحمك الله، ونظر إليّ الطفل نظرة لا أنساها، وخيّل إليّ حينئذٍ أن الجنة نزلت إلى الأرض تعرض نفسها على من يشبع هذا الطفل وأمه، فدفعت ما في يدي للمرأة، وقلت لها: خذي وأطعمي ابنك. والله ما أملك بيضاء ولا صفراء، وإن في داري لمن هو أحوج إلى هذا الطعام، فدمعت عيناها، وأشرق وجه الصبي، ومشيت وأنا مهموم، وجلست إلى حائط أفكر في بيع الدار وإذ أنا كذلك إذ مرّ أبو نصر وكأنه مستطار فرحًا، فقال: يا أبا محمد، ما يجلسك ها هنا وفي دارك الخير والغنى؟ !

قلت: سبحان الله! ومن أين يا أبا نصر؟ !

قال: جاء رجل من خراسان يسأل الناس عن أبيك أو أحد من أهله، ومعه أثقال وأحمال من الخير والأموال، فقلت: ما خبره؟

قال: إنه تاجر من البصرة، وقد كان أبوك أودَعه مالاً من ثلاثين سنة، فأفلس

وانكسر المال، ثم ترك البصرة إلى خراسان، فصلح أمره على التجارة هناك، وأيسَر بعد المحنة، وأقبل بالثراء والغنى، فعاد إلى البصرة وأراد أن يتحلّل، فجاءك بالمال وعليه ما كان يربحه في ثلاثين سنة.

قال أحمد بن مسكين: حمدت الله وشكرته، وبحثت عن المرأة المحتاجة وابنها، فكفيتها وأجرَيت عليها رزقا، ثم اتجرت في المال، وجعلت أربه بالمعروف والصنيعة والإحسان وهو مقبل يزداد ولا ينقص، وكأني قد أعجبني نفسي وسرني أني قد ملأت سجلات الملائكة بحسناتي، ورجوت أن أكون قد كتبت عند الله في الصالحين، فنمت ليلة فرأيتُني في يوم القيامة، والخلق يموج بعضهم في بعض، ورأيت الناس وقد وسعت أبدانهم، فهم يحملون أوزارهم على ظهورهم مخلوقة مجسمة، حتى لكأن الفاسق على ظهره مدينة كلها مخزيات، ثم وضعت الموازين، جيء بي لوزن أعمالي، فجعلت سيئاتي في كفة وألقيت سجلات حسناتي في الأخرى، فطاشت السجلات، ورجحت السيئات، كأنما وزنوا الجبل العظيم بلفافة من القطن، ثم جعلوا يلقون الحسنة بعد الحسنة مما كنت أصنعه، فإذا تحت كل حسنه شهوة خفية من شهوات النفس، كالرياء والغرور وحب المحمدة عند الناس، فلم يسلم لي شيء، وهلكت عن حجتي وسمعت صوتًا: ألم يبق له شيء؟ فقيل: بقي هذا، وأنظر لأرى ما هذا الذي بقي، فإذا الرقاقتان اللتان أحسنت بهما على المرأة وابنها، فأيقنت أني هالك، فلقد كنت أحسن بمائة دينار ضربة واحدة فما أغنَت عني، فانخذلت انخذالاً شديدًا فوضِعَت الرقاقتان في الميزان، فإذا بكفة الحسنات تنزل قليلاً ورجحت بعضَ

الرجحان، ثم وضعت دموع المرأة المسكينة، حيث بكت من أثر المعروف في نفسها، ومن إيثاري إياها وابنها على أهلي، وإذا بالكفة ترجح، ولا تزال ترجح حتى سمعت صوتًا يقول: قد نجا، فلا تحقرنّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلق، واتقوا النار ولو بشق تمرة.

أسأل الله أن يوفقنا لطاعته، وأن يجنبنا معصيته، ، إنه خير مسؤول، وصلى الله وسلم على الرسول وعلى آله وصحبه أجمعين.

حقوق اليتيم (٢)

الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه الباطنة والظاهرة، وجعل الدنيا لنا مزرعة للآخرة، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث للناس كافه المؤيد بالمعجزات الباهرة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

و بعد:

لا زلنا مع اليتيم وحق اليتيم ، عرفنا في اللقاء الماضي أهمية رعاية اليتيم في الإسلام، وان الإسلام ليس دين شعائر فقط وإنما دين مشاعر وشرائع، فالساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، و من كفل يتيماً حجز مقعداً بجوار النبي المصطفى -ﷺ- في الجنة.

ألا فلنعلم أن كفالة اليتيم من أعظم أعمال البر، جاء في الحديث قوله -ﷺ-: «**من عال ثلاثة من الأيتام كان كمن قام ليله وصام نهاره**» [رواه ابن ماجه في باب الآداب برقم٨٦٣٠].

ورعاية وكفالة الأيتام من صفات الأبرار، قال بذلك العزيز الغفار: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ .... ﴾ [البقرة: ١٧٧].

أخي الحبيب: هل تعاني من قسوة في القلب ووحشة في حياتك؟ تريد العلاج اسمع إلى النبي عليه الصلاة والسلام كما في رواية البيهقي عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أن رجلاً أتى النبي - يشكو قساوة قلبه قال-ﷺ-: «**أَدْنِ اليتيمَ منك وأَلْطِفْه وامسحْ برأسه وأَطْعِمْه من طعامك فإن ذلك يُلَيِّن قلبَك وتُدْرِك حاجتَك**»[أخرجه البيهقي (٤/ ٦٠، رقم ٦٨٨٧) والخرائطي في مكارم الأخلاق (ص ٢١٨ رقم ٦٦١)].

إن الصدقة في الإسلام ليست مقصورة على المال فقط فالكلمة الطيبة صدقة والمعروف صدقة وفعل الخير صدقة والابتسامة صدقة وفي الحديث الصدقة بالمشاعر والأحاسيس حين لا تجد ما تعطي اليتيم والمسكين ترحمه تعطف عليه تمسح على رأسه فهذا العمل يزيل سواد القلب وينظف ما بداخله من مرض، ويخلصه مما شابه من سوء الفعل والقول، وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن المصطفى -ﷺ-: « **الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وكالذي يصوم النهار ويقوم الليل**». .

وروي أن عيسى بن مريم (عليه السلام) مر بقبرٍ يعذب صاحبه، ثم مر به من قابل، فإذا هو ليس يعذب فقال: يا رب مررت بهذا القبر عام أول فكان صاحبه يعذب، ثم مررت به العام، فإذا هو ليس يعذب فأوحى الله عز وجل إليه: يا روح الله. . . أنه أدرك له ولد صالح، فأصلح طريقاً، وأوى يتيماً، فغفرت له بما عمل ابنه.

أيها الأخوة:

ربوا أولادكم علموهم فعل الخير نشؤهم على الصلاة والقران وحب الصالحين.

وها هو نبي الله موسى يمر ومعه العبد الصالح الخضر- حيث وجدا في سفرهما ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: ٧٧] وأصلحه الخضر- بدون أجر يأخذه على ذلك العمل؛ لذلك كان هذا المنظر غريباً على موسى عليه السلام. ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾ [الكهف:٧٧] .

وتمر لحظات ينتظر فيها موسى الجواب الشافي من الخضر- فإذا به يكشف الحقيقة قائلاً:

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف:٨٢]

لقد حفظ الله بعنايته لهذين اليتيمين كنزهما المدخور جزاءً لصلاح أبيهما وقد ذكرت كتب التفسير أنه كان ذلك جزاء صلاح أب لهما بينهما، وبينه سبعة آباء.

وهكذا كان صلاح الآباء مثمراً في حفظ حقوق الذرية ورعاية ما أودع لهما من كنز مالي، أو علمي.

أيها الأب الكريم:

أفضل وأحسن وأجمل ما تقدمه لأولادك من بعدك صلاحك أنت وتقوى الله تعالى كيف تؤمن مستقبل ولدك بعد موتك؟ سؤال قد يبدو غريبا للوهلة الأولى لكن ستزول الغرابة فوراً بعد ترتيلي لقول الله عز وجل وعلا: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ [النساء: ٩].

حقِّق التقوى ليحفظ الله لك أولادك بعد موتك، هذا وعد ربى قُل قولا سديداً، ليتول الله أولادك بالرعاية والعناية بعد موتك، دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- وهو على فراش الموت فقال مسلمة وهو ابن عم عمر: يا أمير المؤمنين ألا توصى لأولادك بشيء من المال فلقد تركت أولادك فقراء فقال عمر بن عبد العزيز «**يا مسلم وهل أملك شيئاً من المال لأوصى به لأولادي أم تريد أن أمنحهم من مال المسلمين ما ليس لهم؟ ! لا يكون ذلك، فإنهم أحد رجلين: إما أن يكونوا صالحين فالله يتولى الصالحين وإما أن تكونوا غير ذلك ولا أدع لهم ما يستعينون به على معصية الله، وأسأل أنا عنه بين يدي الله**».

ثم قال عمر: أدخلوا أولادي على فدخلوا عليه وهو على فراش الموت فنظر إليهم وبكى وقال: **يا بني إن أباكم قد خُيّر بين أمرين: بين أن يترككم أغنياء ويدخل النار، وبين أن يترككم فقراء ويدخل الجنة ولقد اختار أبوكم الجنة إن شاء الله، وإما أن تكونوا صالحين فالله يتولى الصالحين وإما أن تكونوا غير صالحين فلا أدع لكم ما تستعينون به على معصية الله، وأسأل أنا عنه بين يدي الله أخرجوا عنى** فخرجوا عنه وظل يردد قول الله تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣]. حتى توفاه الله جل وعلا والله ما مضى وقت كبير وقد جاء ولد من أولاد عمر بن عبد العزيز يحمل الصدقة على بعير، ليتصدق بها على الفقراء والمساكين وقد تركهم عمر لا يملكون من حطام الدنيا شيئاً، إنه وعد الله سبحانه ولا

تعارض بين أن تحقق التقوى لولدك وبين أن تكدح وتسعى وأن تترك لهم مالا، ولا تعارض بين هذا وذاك.

ففي صحيح مسلم من حديث سعد بن أبى وقاص -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما دخل عليه، ليزوره في مرض الموت قال له سعد: يا رسول الله أريد أن أتصدق بثلثي مال قال: «لا» قال: أتصدق بنصف مالي؟ قال: « لا» قال: أتصدق بالثلث قال: «والثلث كثير».

ثم قال -صلى الله عليه وسلم-: «إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة- أي فقراء- يسألون الناس » لا حرج فهذا من التوكل على الله.

وعن مالك بن عمرو القشيري -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**من ضم يتيمًا من بين أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله وجبت له الجنة** ».

[أخرجه: أحمد (٤/ ٣٤٤ رقم ١٩٠٥٢)].

إنَّ الإحسان إلي الأيتام هدي النبي المختار، وطريق الأبرار. .

فقد قُتل جعفر بن أبي طالب يوم مؤتة وكان وراءه صبية صغار، فجاءت أمهم تشكو إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يُتم أطفالها وحالتهم فقال: «أتخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة»؟ ! [أخرجه أحمد (١/ ٢٠٤)، والطبراني في الكبير (٢/ ١٠٥)، وابن عبد البر في التمهيد (٢٢/ ١٣٩) من حديث عبد الله بن جعفر، وصححه ابن الجارود (٩/ ١٦٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ١٥٧): "رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح".].

أيها الأخوة:

كم من أم لأيتام يحوم حولها صبيتها وعينهم شاخصة نحوها، لعلهم يجدون عندها ما يسد جوعتهم ويشبع بطنهم.

من المسؤول عن أمثال هؤلاء أليس المسلمين، ولله در عمر بن الخطاب -

رضي الله عنه – روى الإمام أحمد بإسناد حسن في الفضائل، قال: عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: « خرجنا مع عمر بن الخطاب إلى حرة واقم، حتى إذا كنا بمرتفع إذ بنار بعيدة فقال عمر: يا أسلم إني لأرى هناك ركْبًا حبسهم الليل والبرد فانطلق بنا، قال: فخرجنا نُهَرْوِلُ حتى دنونا منهم، فإذا هي امرأة معها صبية صغار، وإذا بِقِدْر منصوبة على النار، وصبيانها يتضاغون، فقال: السلام عليكم يا أهل الضوء – وقد كره أن يقول: يا أهل النار– قالت: وعليكم السلام، قال عمر: أأدنو؟ قالت: ادْنُ بخير أو دع.

فدنا فقال: ما بكم؟ قالت: قصر بنا الليل والبرد، قال: فمالِ لهؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت: الجوع.

قال: فأي شيء في هذا القدر؟ قالت: ماء أُسْكِتهُم به حتى يناموا، والله بيننا وبين عمر –كلمات يهتز لها قلب وجنان كل مؤمن، فما بالك بـ عمر؟ – يقول: أي رحمك الله، وما يدري عمر بكم؟ قالت: يتولى أمرنا، ثم يغفل عنا، الله بيننا وبينه.

قال أسلم: فأقبل عليَّ عمر به ما به، يقول: انطلق.

فأتينا نهرول حتى أتينا دار الدقيق، فأخرج عِدلاً من دقيق، وكبَّة من شحم، ثم حملها عمر على ظهره، فقلت: أحملها عنك يا أمير المؤمنين! قال: لا أمَّ لك، أتحمل عني وزري يوم القيامة؟ !

قال: فانطلقنا حتى أتيناها، فألقى العِدْل عندها، وأخرج من الدقيق شيئًا، وجعل يقول: ثُرِّي عليّ وأنا أُحرِك، وجعل ينفخ تحت القدر، والدخان يتخلل

لحيته، فلو رأيته لرأيت عجبًا، ثم أنزل القدر فأتته بصحفة فأفرغ فيها الطعام.

ثم جعل يقول لها: أطعميهم وأنا أسطح لهم؛ فلم يزل كذلك حتى شبعوا، ثم ترك عندها فضل ذلك الطعام، ثم قام وهي تقول: جزاك الله خيرًا.

كنت أولى بهذا الأمر من عمر.

ولأهمية اليتيم في الإسلام وعظم حقوقه جاء التهديد والوعيد لمن تسول له نفسه المساس بحق اليتيم فقد جعل ذلك النبي -ﷺ- من السبع الموبقات.

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: «اجتنبوا السبعَ المُوبِقَات الشركُ بالله والسِّحْرُ وقتلُ النفسِ التي حرم الله إلا بالحق وأكلُ الربا وأكلُ مالِ اليتيم والتولي يومَ الزَّحْف وقذفُ المحصنات الغافلات المؤمنات». [أخرجه: البخاري (٣/ ١٠١٧، رقم ٢٦١٥)، ومسلم (١/ ٩٢، رقم ٨٩)].

وعن أبي برزة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- « يبعث الله يوم القيامة قوما من قبورهم تأجج أفواههم نارا ألم تر أن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ [أخرجه: أبو يعلى (١٣/ ٤٣٤، رقم ٧٤٤٠)، وابن حبان (١٢/ ٣٧٧، رقم ٥٥٦٦)].

وعن أبي شريح -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ- قال: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى مانع الزكاة ولا إلى آكل مال اليتيم ولا إلى ساحر ولا إلى غادر». [أخرجه الديلمي (٥/ ١٣٢، رقم ٧٧٢٠)].

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: «أربعٌ حقٌّ على الله أن لا يدخلَهم الجنةَ ولا يُذِيقَهم نعيمَها مدمنُ خمرٍ وآكلُ الربا وآكلُ مالِ اليتيمِ بغيرِ حقٍّ والعاقُّ لوالديه». [أخرجه: الحاكم (٢/ ٤٣، رقم ٢٢٦٠)، وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب الإيمان

(٤/ ٣٩٧، رقم ٥٥٣٠). قال المنذري (٣/ ٤): رواه الحاكم]. وكان أبو الدرداء – رضي الله عنه – يقول: اتقوا دمعة اليتيم ودعوة المظلوم فإنهما يسيران بالليل والناس نيام.

أخي المسلم: لا يفوتك أجر كفالة اليتيم وابتعد عن هذه العقوبات بكفالة اليتيم ولو جزئياً: قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [البقرة:٢١٥]، **وقال تعالى**: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ ﴾ [النساء:٨]

وزيارة ودعم جمعيات دار وكفالة الأيتام، وإدخال السرور والبهجة على الأيتام، و لا يشعرهم بفقد أبويهم، والحنو عليه والمسح على رأسه.

هناك بيننا أيتام رغم وجود آباءهم نعم يتيم رغم وجود الوالدين: إنه اليُتم التربوي، فقد يشعر كثير من أولادنا باليُتم التربوي ورغم وجود الوالدين، لأن الوالدين قد انشغلا عن الأولاد، لأن الوالد انشغل بتجارته ووظيفته لا يجد وقتاً يلتقي بأولاده أو يسال عنهم ومن يصاحبون ومع من يجلسون وتزداد المصيبة إذا انشغلت الأم هي الأخرى بالوظيفة أو بمجالس النساء أو الجري وراء الأسواق أو الزيارات وتركوا أولادهم يربيهم الشارع يربيهم قرناء السوء يربيهم التلفاز وشبكات الانترنت.

فليس اليتيم من انتهى أبواه ... وخلفاه في هم الحياة ذليلا
إن اليتيم هو الذي ترى له ... أما تخلت أو أبا مشغولا

قال جلا وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ

عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾

[التحريم:٦]، وقال -ﷺ- كما في الصحيحين من حديث أبن عمر رضي الله عنهما: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في بيته ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته».

وفى الصحيحين من حديث معقل بن يسار -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة».

وما دام الحديث عن اليتيم وحقوق اليتيم في الإسلام فلا بد ولابد أن لا ننسى أيتام فلسطين هل ينسى مسلم صادق في هذا الوقت الحرج يتامى فلسطين؟ .

أيها المسلم: تصور أخي الفاضل، تصور إنك تجلس مع أولادك على مائدة الطعام وبدون مقدمات سقط صاروخ على البيت فحول البيت إلى ركام ثم توفى الوالد وتمزقت أشلاؤه وسالت دماؤه وقتلت الأم وتمزقت أشلاؤها وسالت دماؤها وربما قتل بعض الأطفال وبقى طفل أو طفلان، بقى طفل ليرى هذا المشهد المروع رأى بيتاً يسقط ويرى والداً يمزق، ويرى أماً تقتل، ويرى إخوانه تتمزق أشلاؤهم لتتطاير هنا وهناك فيصرخ هذا اليتيم، وتنقل صرخته على مرأى ومسمع من العالم الخائن، والعالم الإسلامي الهزيل المهزوم، لكن من يسمع صرخته بل ربما نراه على شاشات التلفاز فينظر أحدنا إلى هذا المشهد المروع ثم يقوم بعد ذلك يهز كتفيه، وكأن الأمر لا يعنيه، وكأن هذا الطفل الذي فقد بيته وفقد والديه ليس منه في شيء وتصرخ هذه اليتيمة الصغيرة على أرض

فلسطين تصرخ بأعلى صوتها وتنادى على ألف مليون وتقول:

أنا لا أريد طعامكم وشرابكم فدمى هنا يا مسلمون يراق

عرضي يُدنس أين شيمتكم أما فيكم أبٌ قلبه خفاق

وصدق ربى إذ يقول: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٢]

أخي المسلم: لا تنس أيتام فلسطين ونساء فلسطين ومجاهدي فلسطين ومرابطي فلسطين من دعائك ومالك فهم يدافعون عن شرفنا وعز أُمتنا ومقدساتنا.

لا تنس أيتام الأمة في كل بلدٍ مكلوم ولا تنس المظلومين في العالم من دعائك ومالك.

أسأل الله بمنه وكرمه أن يقوي إيماننا وأن يرفع درجاتنا إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

حقوق المرأة (١)

الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله سيد البشر، قدوة الصالحين وأسوة المؤمنين، وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

و بعد:

حديثنا معكم عن حقوق المرأة في الإسلام، فالإسلام رفع من شأن المرأة وأعزّها بنتًا وأمًا وأختاً وزوجة يوم أن ظُلمت في الجاهلية في حياتها، و بعد موتها، وظُلمت على مستوى الأُمم والأديان.

وكان أكثر الناس في العالم ينظر إلى المرأة كأنها متاع، إن اشتهاه استمتع به، وإن استغنى منه رفَسَه ورَكَله واحتقره وأبعده وهجره. لم تكن المرأة تورث بل كانت أحياناً مثل المتاع يرثها الرجال.

المرأة على مستوى الأمم قبل الإسلام

في أوربا: في عصورها المظلمة، - وأوروبا في كل عصورها مظلمة - في العصور الأولى كانت مجالس الفلاسفة تُعقد ليناقشوا أمرا مهما، هل للمرأة روح كروح الرجل؟ هل لها روح إنسانية أم حيوانية؟ وينتهون في نقاشهم أن للمرأة روح ولكنها أدنى بدرجات كثيرة من روح الرجل.

و عند الرومان: كان للرجل السُّلطة في أن يبيع زوجته وأن يُطلقها، أن يعترف بولده أو لا يعترف به، والمرأة في اليونان لا ترث أبدا.

و عند الهنود: وإلى وقتٍ قريب من عاداتهم أن الرجل إذا توفى فإنه يُحرق،

وكانت توضع الزوجة الحية إلى جوار زوجها لتُحرق معه، فلا معنى لوجودها بدونه.

و عند العرب قبل الإسلام: كان مجيء ولادة المرأة هم وغم وحزن، وصدق الله العظيم القائل: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنْ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[النحل: ٥٨].

المرأة عند العرب كانت مجلبة للعار مجلبة للفقر، وردّ الله عليهم فقال: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ* بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[التكوير: ٩]. ما الذي فعلته هذه البنت البريئة حتى تستحق القتل.

قيس بن عاصم يأتي إلى النبي عليه الصلاة والسلام، يقول يا رسول الله: إني وأدت اثنتي عشرة بنتا، فقال له النبي -عليه الصلاة والسلام-: «**أعتق عن كل واحدة نسمة**» [البزار عن عمر وأخرجه عبد الرزاق.].

وكان كثير من العرب يئد البنت وهي حية، فإذا جاء المرأة المخاض وأحست بآلام الولادة خرجت إلى الخلاء وحفر لها حفرة ثم إذا وضعت إن كان المولود ولداً فرحت واستبشرت ورجعت إلى أهلها، وأقيمت الزينات والأفراح. وإن كان المولود بنتاً اسود وجهها من الغم، وألقيت ابنتها في الحفرة وأهيل التراب عليها حية، والأم يمزق قلبها ولا أحد يرق لها.

ماذا يريدون من المرأة

نتكلم عن حقوق المرأة في الإسلام يوم صاح أعداء الإسلام في الداخل والخارج يرفعون شعار حرية المرأة أرادوها أن تزاحم الرجل في كل ميادين الحياة

ولا بدا فلا بد أن تزاحم الرجل في تجارته وفي عمله وفي صناعته وفي وظيفته، بل حتى في سيارته وتنقله.

وفي كل ميادين الحياة. ولذلك يكثرون الطنطنة في وسائل كثيرة ومختلفة على هذا الوترا بأن المرأة في مجتمعاتنا تعاني ما تعاني، وأنها مظلومة، وشقٌّ معطل، ورئة مهملة، ولا تنال حقوقها كاملة، وأن الرجل قد استأثر دونها بكل شيء. . وعقدوا مؤتمرات وأُقيمت اجتماعات وأسسوا جمعيات كلها تدافع عن حقوق المرأة كما يقولون.

يا تُرى ماذا يريدون، إنهم يريدون أن يجعلوا المرأة العربية المسلمة مثل المرأة الغربية متحررة كما يقولون. وقد انتهى وأد البنات -والحمد لله- في الإسلام، لكن وأد المرأة اليوم غير وأد الجاهلية، ففي الجاهلية كانوا يذبحونها بالسكين، لكن وأد الجاهلية العصرية هو قتل لإرادة المرأة وحريتها وكرامتها وحقها، وهم يزعمون أنهم يُنادون بحرية المرأة، وأنهم يحافظون على حقوق الإنسان.

ومن وأد المرأة: أن تجعل المرأة في غير المكان المناسب الذي خُلقت له، فقد خلقها الله أمينة على الجيل ومربية له.

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيّب الأعراق

الأم نبتٌ إن تعاهده الحيا بالري أورق أيما إيراق

فالأم رسالة، فقد أخرجت العظماء، فهذا خالد أُمه امرأة، و سعد و طارق و حسان و ابن تيمية و صلاح الدين والعظماء على مر التاريخ، فالمرأة أرادها -ﷺ- والإسلام أن تكون جوهرة في صدر، أما أن تكون مبتذلة فلا.

ومـن وأد المـرأة: أن هاجموهـا وسـحقوا كرامتهـا أمـام العـالمين، مـرة بمقالـةٍ يستهزئون بالنقاب والحجاب ويسمونه خيمة، ومرة يقولون: تأخر المرأة وتخلف عقل المرأة، ومـرة يقولـون: متى يُسـمع صـوت المرأة؟ ! ومـرة يكتـب كاتـب في بعض البلاد، ويقول: المرأة إلى أين؟

نقول: المرأة إن صلحت إلى جنة النعيم، وإن فسدت فإلى نارٍ تلظى، ومـن وأد المرأة: أن تُحرم العلم الشرعي، فتُربّى على الجهل؛ لأن بعض الناس الآن يقولون: المرأة إذا أصبحت جاهلة فإنها تصبح جيدة وعاقلة، ولا تعرف السـوء، وتصـبح خاماً قابلاً للتوجيه، وهذا خطأ، لأن المرأة الجاهلة جاهلة، فلابد أن تتعلم المرأة، تتعلم أمور دينها ودنياها.

كيف تعيش المرأة الغربية؟

لقد كُتبت تقارير وإحصاءات مذهلة عما تعانيه المرأة في الغـرب، إليكم طرفًا من ذلك:

*لقد شاعت الفاحشة شيوعًا لم يسبق لـه مثيـل، فلـم تعـد مزاولـة الفاحشـة ـ أجارنا الله ـ مقصـورة عـلى دُور البغـاء، بـل تجـاوزت ذلـك إلى الفنـادق والمقـاهي الراقصة والمنتزهات وعلى قارعة الطريق.

*وأصبحت الخيانة الزوجية ظاهرة عامة، ففي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة امرأة واحدة من كل أربع نساء أمريكيات تخون زوجها.

*أما التفكير في الانتحار في ظل الرفاهية المزعومة والحرية وحقوق المرأة التي يُنادون بها في الغرب فإن أربعًا وثلاثين بالمائة من النساء يفكرن في الانتحار.

*ومن الإحصاءات النسوية ـ إن صح التعبير ـ أن ثلثي حـوادث الاعتـداء في

أمريكا بالضرب ضد النساء تصدر من أقاربهن، والباقي من غير الأقارب.

*وفي فرنسا تتعرض حوالي مليون امرأة للضرب، وأمام هذه الظاهرة التي تقول الشرطة: إنها تمثل حوالي (١٠)بالمائة من العائلات الفرنسية أعلنت الحكومة أنها ستبدأ حملة توعوية لمنع أعمال العنف. وهذه كأنها ظاهرة طبيعية. وقالت أمينة سر الدولة لحقوق المرأة: "إن الحيوانات تعامَل أحيانًا أحسن منهنّ، فلو أن رجلاً ضرب كلبًا في الشارع فسيتقدم شخص ما بالشكوى إلى جمعية الرفق بالحيوان، ولكن إذا ضرب رجلٌ زوجته في الشارع فلن يتحرك أحد".

ونشرت مجلة التايمز الأمريكية أن حوالي أربعة آلاف زوجة من حوالي ستة ملايين زوجة مضروبة تنتهي حياتهنّ نتيجة ذلك الضرب.

* وأشار خبر نشره مكتب التحقيقات الفيدرالية جاء فيه أن أربعين في المائة من حوادث قتل السيدات ارتكبها أزواجهنّ.

*أما صورة أخرى فهي صور الاغتصاب التي تتعرض لها المرأة، ففي الولايات المتحدة تقول التقارير الخاصة بالاغتصاب: إن حادثة الاغتصاب تسجل كل ستِ دقائق.

*أربعة عشر مليون امرأة في إيطاليا يخشون السير بغير رفقة في الشوارع المظلمة أو الأماكن المهجورة.

هذه هي الحرية التي يريدونها للمرأة هذه هي الحقوق التي يُنادون بها.

والعجيب لماذا لم نسمع الغرب يتحدث عن المرأة المقهورة المعذّبة، المرأة المشرّدة، المرأة المغتصبة من إفرازات حروب أنشأوها وكوارث أثاروها، من

الظلم العالمي والفقر المتدني في شعوب تنتسب إلى الأمم المتحدة؟ ! ما حال أمهاتنا وأخواتنا وبناتنا في فلسطين وكشمير والبوسنة والشيشان وأفغانستان وإرتيريا والصومال والعراق؟ ! إن وثائقهم لا تكاد تعير هذا اهتمامًا في مقابل احتفائها واحتضانها للشاذات والبغايا والمومسات والمصابين والمصابات بكل ألوان أمراض الجنس الفتاكة. إنهم لا يعرفون الرحم ولا التراحم، ولا يعرفون البر ولا الفطرة، أي خيانة أكبر من خيانة إهمال.

المرأة في ظل الإسلام

المرأة في الإسلام أوصى بها النبي -ﷺ- وصية خاصة في حجة الوداع فقال: «**واتقوا الله في النساء، فإنهن عندكم عوان**» ووصى بها عند موته -ﷺ- فأخذ يردد. «**اتقوا الله في النساء ثلاث مرات إنهن عوان عندكم**» بمعنى أسيرات عندكم.

لقد أنجب لنا التاريخ في ظل الإسلام ورحمة الإسلام نساءً صالحات وسيداتٍ مباركات، شيّدن مناراتٍ للعز والشرف، وبنَينَ مساكن للبطولة، عزّ فعلها على كثير من الرجال والأبطال.

آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، عاشت ونشأت في قصر أكبر طاغية عُرف في التاريخ، فلم تخضع لجبروته، ولم تدخل في ألوهيته، ولم تستسلم لدنياه، بل صبرت على دينها وعزت بإيمانها، ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[التحريم: ١١]. وفي الصحيح يقول عليه الصلاة والسلام: «**كَمُل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران،**

وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[أخرجه البخاري (٧/ ١٠٦: ٣٧٦٩)، في الفضائل. ومسلم (٤/ ١٨٨٦: ٢٤٣١].

وها هي ماشطة بنت فرعون تسجّل لأهل الإيمان موقفًا في الصبر والتضحية والشمَم بإيمانها واستسلامها لله، عندما يراودها فرعون على إيمانها بالله، فيُقتل أبناءها أمامها واحدًا تلو الآخر وهي الأم الحنون، فتأبى أن تكفر بالله، بل تصبر وتحتسب.

وتلكم خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها- زوج رسول الله -ﷺ- التي كان لها مقام النصرة والتثبيت لرسول الله عندما نزل عليه الوحي، فقد قالت له كما في الصحيح: «كلا والله، لا يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتقري الضيف، وتحمل الكَلَّ، وتعين على نوائب الحق». وروى أحمد والنسائي بسند صحيح أن النبي -ﷺ- قال فيها: «آمنتْ بي إذ كذّبني الناس، وآوتْني إذ رفضني الناس».

و ما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ... ولا التذكير فخرٌ للهلالِ

ولو أن النساء كمن ذُكرنا ... لفُضِّلت النساء على الرجالِ

أسأل الله تعالى أن يجعلني وإياكم من الهداة المهتدين، والصلحاء المصلحين إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

حقوق المرأة (٢)

الحمد لله الذي خشعت له القلوب وخضعت، ودانت له النفوس ورقت، وعنت له الوجوه وذلت، أحمده سبحانه حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا.

و بعد. . .

لا زال الحديث عن حقوق المرأة في الإسلام.

إن الإسلام يذكر للنساء في صدر الإسلام مواقف رائعة ومواقف مدهشة، فكما صبر الأخوة على العذاب من الرجال، صبرت المسلمات من النساء، **ففاطمة بنت الخطاب** تُسلم قبل أخيها عمر، ولما عرف عمر بذلك ضربها فتقول في وجهه حين رأت الدم يسيل منها: نعم، يا ابن الخطاب أسلمت، فافعل ما بدا لك. فيُصعق عمر من إجابتها، ويقول لها: **جيئيني بالكتاب الذي تقرؤون منه**، فتأتيه به، فلما قرأه، قال: **"دلوني على محمد كي أسلم"**.

وإن أم شريك آمنت وعُذّبت وجُوّعت وعُطّشت وألقيت في الحرَّ، وهي في شبه إغماء من الجوع والعطش، ولما حاولوا ردها إلى الكفر، قالت: «اقتلوني، ولن أعود للكفر أبداً». وبينما هي في حالة إغماء أحست بشيء رطب على فمها وهي مقيدة ومربوطة في الشمس، فنظرت فإذا دلو من السماء نازل لكي تشرب منه، الله سقاها كرامة لها. ولما عرف قومها الحقيقة عرفوا أنها على الحق وأنهم على

الباطل، فكوا وثاقها وحبالها وقالوا لها: فلننطلق إلى رسول الله لنعلن إسلامنا.

وكذلك أم أيمن الحبشية: امرأة هاجرت وحدها في شدة الحر والعطش، وكانت صائمة ولكن الله تعالى حين جاء وقت الغروب أنزل إليها دلواً من السماء فشربت منه، وكانت لا تحمل ماءً معها ولا تجده من حولها، تقول أم أيمن وهي مربية الحبيب محمد تقول بعد أن شربت من هذا الدلو كنت أصوم في اليوم الشديد الحر فلا أشعر بعطش أبداً.

ولا ننسى **نُسيبة الأنصارية** والتي كانت مع النبي -ﷺ- تدافع عنه في أحد حين انهزم كثير من الرجال وابتعدوا عنه حتى قال عنها: «**ما التفت يميناً وشمالاً إلا وأنا أراها تقاتل عني**».

هكذا كانت المرأة المسلمة وهكذا كان تكريم الإسلام لها. يمشي أمير المؤمنين عمر فتستوقفه المرأة فيقف لها، وتقول له: «يا عمر كنت تُدعى عُميرًا، ثم قيل لك: عُمر، ثم قيل لك: أمير المؤمنين، فاتق الله يا عمر فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب». وهو واقفٌ يسمع لكلامها فقيل له: يا أمير المؤمنين. . رجال. ونقف نستمع. لهذه العجوز فقال: (والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره ما تحركت من مكاني، أتدرون من هذه العجوز؟ ، هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات. أيسمع رب العالمين قولها، ولا يسمعه عمر)، وهذه والدة سفيان الثوري رحمه الله، توجهه لطلب العلم، وتعوله بمغزلها، وتقول له: اذهب فاطلب العلم وأنا أعولك بمِغزلي.

الله أكبر هذا كله دليل على صدق هؤلاء النساء، وعلى عظم مكانة المرأة في الإسلام، فالله لم يُعط الفضل للرجال فقط، ولم يُعط الشرف للرجال فقط، ولم يُعط العزة والكرامة للرجال فقط، إنما أعطاها لكل من آمن وصدق إيمانه وثبت على الحق ثبوتاً صادقًا رجلا أو امرأة.

مفهوم عن النساء

فإن قال قائل: إن النساء ناقصات عقل ودين فنقول لك: إن الحديث فسّر نقص الدين، بأن المرأة تحيض فإذا حاضت فإنها لا تصوم ولا تصلي، وليس أكثر من ذلك.

أما عقلها فإن الله تعالى جعل عاطفتها أقوى، إن عاطفة المرأة هي التي تحنو بها على الابن في صغره، وتحنو على البنت، وتحنو على الزوج، وتحنو على الأخ، إن عاطفة المرأة تعرفها حين تجد الأب قد مات، والذكور يُقسّمون مال أبيهم، والبنات يندبن أباهن ويبكين عليه، فعاطفة المرأة هي جمالها. بل العاطفة هي التي تجعل بيوتنا جميلة وتجعل حياتنا جميلة، وجمال المرأة في رقتها، في عذوبتها، وفي كلمتها الحلوة، ولذلك إذا خرجت المرأة عن طبعها لعنها الله، **فقد لعن رسول الله -ﷺ- المترجلة من النساء كما لعن المخنثين من الرجال**. هذه حقائق يجب علينا جميعاً أن ندركها لكي نعرف قيمة المرأة في الإسلام.

أيها الأحباب:

لما جاء الإسلام رفع الظلم عن البشر، وأعطى كل إنسان حقه، ووضع المرأة في مكانها الطبيعي، وبين للرجل وللمرأة أن كلاً منهما في حاجة للآخر فقال للرجل: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾

[الروم: ٢١]أي أن المرأة خُلقت منك فقد خُلقت حواء من آدم فهي جزء منك، وهي بعضك، ولا يستغني الكل عن البعض، ولا يستغنى الإنسان عن جزءٍ منه، فلا يستغنى الرجل عن المرأة.

كما بيّن للمرأة أنها جزء من الرجل، وأن الرجل أصلها، وأن المرأة لا تستطيع الحياة الجميلة، بدون الرجل، فهي أحوج ما تكون إليه كما يحتاج الفرع إلى الأصل: ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾[النساء: ١].

وبيّن تعالى في كتابه أن جميع الأوامر وجميع النواهي هي للرجال وللنساء على السواء، فالرسول أرسل إلى الرجال والنساء، والقرآن أنزل للرجال والنساء، فالله ذكر كل ذلك في القرآن.

بل جعل للنساء سورة بكاملها خاصة لهن وحقوقهن وما هذا لعظم شأن المرأة في الإسلام.

ففي الحديث عن المساواة في الحقوق المادية الخاصة قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ﴾ [النساء: ٣٢]. وعند الميراث قال: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾ [النساء: ٧].

وعند الكلام عن جزاء أهل الإيمان فإنه سبحانه ذكر الجميع: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ

طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

إن الجزاء الحسن والحياة الكريمة ورضاء الله تعالى، وسعادة الدنيا والآخرة، كما يكون للرجل الصالح يكون للمرأة الصالحة، والله ربُّ الرجال ورب النساء، ولا يميز أحداً على أحدٍ إلاَّ بالتقوى فرُبَّ امرأة تقية كانت أفضل من ألف رجل لأنهم ليسوا أتقياء: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. ولما ذكر الله تعالى الإيمان والإسلام والصدق والذكر، فإنه ذكر المؤمنين والمؤمنات مع بعضهم، في آية واحدة فقال: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وذكر الله سبحانه مريم أم عيسى عليه السلام، وذكر أنها صدّيقة، ولم يذكر الله اسم صدّيق واحد في القرآن. سوى الأنبياء أما بالنسبة إلى غير الأنبياء فلم تذكر الصدّيقة في القرآن إلا مريم فقال: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥].

إذن كرّم الله النساء تكريماً ما بعده تكريم، وأعطى الله المرأة حقها، بل إنه لما ذكر قصص الرجال في القرآن وخاصة قصص الملوك، كان أكثر الملوك

المذكورين من الرجال في القرآن ممن ضل وكفر وخاب سعيه، ولكنه ذكر ملكة واحدة كانت أفضل من ألوف الملوك والرجال الذين كفروا بالله، تلكم هي بلقيس ملكة سبأ التي أسلمت مع سليمان لله رب العالمين.

المرأة في ظل تعاليم الإسلام

المرأةُ في ظل تعاليم الإسلام القويمة وتوجيهاتِه الحكيمة تعيش حياةً كريمة في مجتمعها المسلم، حياةً مِلؤها الحفاوةُ والتكريم من أوَّل يوم تقدُم فيه إلى هذه الحياة، ومُرورًا بكل حال من أحوال حياتها.

رعى حقَّها طفلةً، وحثَّ على الإحسان إليها، ففي صحيح مسلم من حديث أنس -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: «**من عال جاريتين حتى تبلُغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين**» وضمّ أصابعه، وفي مسلم أيضًا أن النبي -ﷺ- قال: «**من كان له ثلاث بنات وصبر عليهن وكساهن من جِدته كُنّ له حجابًا من النار**»»[سبق تخريجه].

رعى الإسلام حقَّ المرأة أُمًّا، فدعا إلى إكرامها إكرامًا خاصًّا، وحثَّ على العناية بها، ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء: ٢٣]، بل جعل حقَّ الأمّ في البرّ آكد من حقِّ الوالد، جاء رجل إلى نبينا فقال: يا رسول الله، من أبرّ؟ قال: «**أمّك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أمّك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أمّك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**» [متفق عليه].

رعى الإسلامُ حقَّ المرأة زوجةً، وجعل لها حقوقًا عظيمة على زوجها، من المعاشرة بالمعروف والإحسان والرفق بها والإكرام، قال: «**ألا واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنهن عوان عندكم**»[متفق عليه]، وفي حديث آخر أنه قال -ﷺ-:

«أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلُقًا، وخيارُكم خياركم لنسائه».

رعى الإسلامُ حقَّ المرأة أختًا وعمَّةً وخالةً، فعند الترمذي وأبي داود: «ولا يكون لأحد ثلاثُ بنات أو أخوات فيُحسن إليهنّ إلا دخل الجنة»[رواه الخرائطي واللفظ له والحاكم ولم يقل أو أخوات وقال صحيح الإسناد].

وفي حال كونِها أجنبيةً فقد حثَّ على عونها ومساعدتها ورعايتها، ففي الصحيحين: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالقائم الذي لا يفتُر، أو كالصائم الذي لا يفطِر».

بل إن الإسلامَ يفرض للمرأة من حيث هي ما يسمَّى بمبدأ الأمن الاقتصادي مما لم يسبق له مثيلٌ ولا يجاريه بديل، حينما كفل للمرأة النفقةَ أمًّا أو بنتًا أو أختًا أو زوجةً وحتى أجنبية؛ لتتفرّغ لرسالتها الأسمى وهي فارغةُ البال من هموم العيش ونصب الكدح والتكسُّب.

إننا بعد هذا كله ندرك أن الله الذي يأمر بالعدل أعطى كل ذي حقٍّ حقه، سواءً كان رجلاً أم امرأة، وإن الواجب علينا أن نعطي الحقوق لأهلها، وأن ندرك أن الله محاسبنا يوم القيامة رجالاً ونساءً، وأنه لا يرضى أن يعتدي أحد على أحد، بل لا يرضى أن يعتدي إنسان على حيوان، بل لا يرضى أن يعتدي حيوان على حيوان.

كذلكم الرجل الذي له عضلات ويظلم زوجته في كلماته، أو نظراته، أو عدم النفقة عليها، أو في حرمانها من أهلها، أو في ظلمها أو في جسمها أو في ضربها أو في احتقارها وازدرائها، هذا إنسان ضحل الفكر، بعيد عن الحق، يأخذه الشيطان إلى طريق الجاهلية، ومفاهيم الجاهلية، وعليه أن يعلم أنه بظلمه

لزوجته أو أخته، أو ابنته عليه أن يعلم أنه ربما قد يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وحج فيجعلها الله هباء منثوراً بسبب ظلمه وطغيانه، والله يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨] ، وسبحان الله أين أمثال هؤلاء عن وصية الرسول -ﷺ- قبل موته حين أخذ يردد. «**اتقوا الله في النساء ثلاث مرات إنهن عوان عندكم**» بمعنى أسيرات عندكم.

إن الإساءة إلى المرأة إساءة عظيمة لماذا؟ لأنها ضعيفة، ولأنها لا تستطيع أن ترد كيد الرجل أو تتظلم، أو تجهر بالشكوى، ولا أن تخرج فتسيح في الأرض، لأنها عرض، إنها امرأة لذلكم كان ظلمها أشد الظلم، وكان إلحاق الضرر بها مصيبة أكبر من كل المصائب، فليتق الله إنسان عنده امرأة، فإن كانت أماً فالجنة تحت قدميها وإن كانت أختاً فدخول الجنة موقوف على الإحسان إليها، وإن كانت بنتاً فمن حقها تربيتها وتزويجها باختيارها، لا يرغمها على زوج لا تريده، وإلا فقد ظلمها وأساء إليها، والويل له من ربه.

لو فُتحت لنا الحجُب لنرى ما الذي يقع في بعض البيوت لرأينا:

امرأة مضروبة مُهانة أمام أولادها.

لرأينا امرأة لا تسمع إلا السب والشتم ليل نهار من زوجها وأولادها.

المرأة إذا أُهينت وذُلّت أنجبت لنا أبناء مهانين ذليلين، ولو أُكرمت وعزّت ورُفعت مكانتها أنجبت لنا أبناء كرماء أعزاء شرفاء.

لو فُتحت لنا الحجب لنرى ما الذي يقع في بعض البيوت. .

لرأينا امرأةً حُرمت من ميراثها.

لرأينا امرأة مظلومة سُلبت حقوقها وهي مع ذلك باقية فلو سألتها تقول لك و أبنائي وبناتي وماذا يقول الناس اصبر.

لرأيت امرأة تصرخ من ظلم ابنها فلذة كبدها.

لرأينا امرأة حُرمت من أهلها شهور بل سنين وتتمنى زيارة لأهلها لكنها تُمنع.

فلنتق الله خاصة في الزوجات، فإن الشكاوى كثيرة، وإننا مطالبون بالصبر على المرأة، وبالحلم، ومن أراد أن تكون امرأته على الصراط المستقيم فقد أخطأ خطأً مبيناً لأن النبي -ﷺ- قال: «**إن المرأة خلقت من ضلع أعوج لن تستقيم لك على طريقة، فإن أردت أن تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقُها**» [مسلم/ النكاح باب الوصية بالنساء]. .

ثم قل لي أيها الرجل إذا أردت المرأة كاملة لا عيب فيها، فالمرأة تريد رجلاً كاملاً لا عيب فيه، فهل يوجد رجل كامل لا عيب فيه؟

ثم لماذا لا ننظر في عيوبنا قبل أن ننظر في عيوب غيرنا، لماذا لا نحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب غيرنا.

أسأل الله أن يوفقنا لطاعته، وأن يجنبنا معصيته، ، إنه خير مسؤول، وصلى الله وسلم على الرسول وعلى آله وصحبه أجمعين.

حقوق الحيوان

الحمد لله الواحد القهار، الكريم الغفّار، مُكور الليل على النهار، الواحد الباقي على تبدل الأحوال، وتعاقب الأعصار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خالق الكون ومدبر الأقدار، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خير من حمد الله وبالغ في الاستغفار صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سنته واقتفى أثره إلى يوم الدين. .

وبعد:

لا زلنا في ظلال سلسلة الحقوق الإسلامية، واليوم حديثنا في هذه الدقائق المباركة عن حقوق الحيوان في الإسلام.

إن الله تبارك وتعالى أوجب علينا حقوقاً تجاه هذه الحيوانات، نعم أوجب حقوقاً لهم علينا، وقد تستنكر عليّ أخي المسلم أن أُحدثك عن حقوق الحيوان في زمن أهدرت فيه حقوق الإنسان، وأُهينت فيه كرامة الإنسان، بل وأُريقت فيه دم هذا الإنسان بشكل عام ودماء المسلمين بشكل خاص، في أماكن كثيرة من بقاع الأرض، لقد أُزهقت أرواح، وأُبيدت أمم، ودُمرت حضارات، ورُمّلت نساء، وشُرّد أطفال، كل ذلك مع الأسف تحت عنوان - حماية حقوق الإنسان، ورعاية حقوق الإنسان، وصيانة روحه ودمه وعرضه، والدفاع عن فكره وثقافته ومعتقده – لا أدري هؤلاء يريدون أن يضحكوا على من؟ لقد أصبحت أوراق منظمات حقوق الإنسان -إلا من رحم الله - مكشوفة حتى للحيوانات،

وهو أن المقصود به هو الإنسان النصراني، والإنسان اليهودي، أما الإنسان المسلم فالواقع يشهد لحاله، أصبح الإنسان المسلم يلاحق في كل مكان، وأصبح الإنسان المسلم يُنازع حتى في اللقمة التي يضعها في فم أولاده، صار الإنسان المسلم يخاف في بيته الذي يسكن فيه وفي فراشه الذي ينام عليه.

لا بأس أخي المسلم أن أُحدثك الآن عن بعض حقوق الحيوان في الإسلام، لتدرك أن هذه الشريعة حفظت حقوق الحيوانات والبهائم، فما بالكم بالإنسان.

والمتأمل في كتاب الله الكريم يجد أنه قد تعرّض لذكر الحيوانات، إما مُذكّراً ببديع خلقه سبحانه، أو منوهاً بواسع منّه وكرمه على الإنسان بتسخير هذه الحيوانات له، أو مشيراً إلى سابغ نعمه وآلائه عليه بجعلها غذاءً له وكساءً ومالاً ومتاعاً، إلى غير ذلك، ويكفي أن نشير إلى أن هناك سُوراً في القرآن سُميت بأسماء بعض الحيوانات، كسورة البقرة والأنعام والعنكبوت والفيل والنحل والنمل.

إن الحيوانات أُممٌ شتى، وأجناس مختلفة، تأكل وتشرب وتتناسل، تصح وتمرض، تنمو وتهرم، وأيضاً تموت وتبعث ثم تحشر، إلاّ أنها لم تُكلّف لأنها لم تُمنح نعمة التفكير كالإنسان، فها هو أبو بكر -رضي الله عنه- يدخل مزرعة أحد الأنصار ويرى طائر يطير من شجرة إلى أخرى فيتأمل ويقول: «**هنيئاً لك يا طائر ترد الشجر وتأكل وتشرب وتموت ولا حساب ولا عقاب يا ليتني كنت شعرة في صدر عبدٍ مؤمن**». قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ

﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٣٨].

ثم إن لهذه الحيوانات حظّها في سُكْنى الأرض والتنقل فيها والتمتع بخيراتها من ماء ومرعى كما قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [النازعات: ٣٣]. وقال تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس: ٣٢]

وما دام للحيوان الحق في سُكْنى الأرض والتمتع بنعم الله وخيراته، فلا يجوز التضييق عليه ولا يجوز كذلك حرمانه من نعم الله في أرضه. ثم أظنك تعلم أخي المسلم ولا يخفاك أن الحيوانات تُسبّح الله وتسجد له كسائر المخلوقات من إنسٍ وجانّ، ونبات وجماد، قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد: ١٥] وقال جل شأنه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج: ١٨].

أيها الأحباب:

إن الحيوانات فيما يظهر لنا أنها عجماء لا تتكلم ولكنها في الحقيقة تتكلم وتخاطب بعضها بعضا، وقد تخاطب غيرها، والله جل وعز قد يطلع أحد خلقه على ذلك معجزة له أو كرامة، ومن ذلك ما حصل لنبي الله سليمان عليه السلام

وغيره، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾. و[النمل: ١٨]الهدهد تكلّم وقال: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢﴾ [النمل: ٢٢]، وحديث البقرة التي تكلمت في البخاري ومسلم وكذلك الذئب الذي تكلم، والحديث في الصحيحين.

إن الله تبارك وتعالى جعل في الحيوانات عظة وعبرة للناس ليتفكروا وليتدبروا في عظيم خلق الله، وفي عظيم قدرة الله ليزداد بذلك إيمانهم، والمشكلة أن أكثر الناس لا يعلمون ولا يخطر ببالهم ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٢١﴾ [المؤمنون: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ٦٦﴾ [النحل: ٦٦]

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٩ وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ٨٠﴾ [غافر: ٨١].

إن الله تعالى أعطى الحيوانات قدرة رؤية ما لا يراه الإنسان، وسماع ما لا يسمع الإنسان، لحكمة هو يعلمها سبحانه، فبعض الحيوانات ترى الملائكة وبعضها يرى الشياطين، بل إنها لتسمع أصوات المعذبين في قبورهم، بل وقبل

ذلك وبعده تشفق الحيوانات وتخاف من يوم الجمعة لعلمها أن القيامة لا تقوم إلا يوم الجمعة، أخرج الشيخان عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطاناً»، وعن جابر -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل فتعوذوا بالله منهن فإنهن يرين مالا ترون»[رواه الإمام أحمد وأبو داود]. وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الموتى ليعذبون في قبورهم حتى أن البهائم لتسمع أصواتهم»[أخرجه الطبراني (١٠/ ٢٠٠، رقم ١٠٤٥٩)، قال المنذري (٤/ ١٩٢)، والهيثمي (٣/ ٥٦): إسناده حسن. وأورده الدارقطني في العلل (٥/ ١٠٩، رقم ٧٥٦)]. وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا تطلع الشمس ولا تغرب على أفضل من يوم الجمعة، وما من دابة ألا وهي تفزع يوم الجمعة، إلا هذين الثقلين: الجن والإنس» [رواه ابن خزيمة وابن حبان]، وفي رواية أبي داود: «وما من دابة إلا وهي مشفقة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس، شفقاً من الساعة إلا الإنس والجن».

إن بعض الحيوانات فضّلها الله على كثيرٍ من البشر، ممن عطّلوا عقولهم واتبعوا شهواتهم، ولم يمتثلوا ما أمروا به، ولم يتبعوا ما خلقوا من أجله، فهبطوا مع كل أسف إلى مستوى متدن من البهيمية ومن الحيوانية، فأصبحت حياتهم أكل وشرب ولهو ولعب وسهر، واتباع للغرائز، وانغماس في الرذائل، ففضّلت البهائم عليها بتسبيحها وسجودها وخضوعها لربها، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢﴾ [محمد: ١٢]، وقال

تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

انظر إلى رجاحة عقل الهدهد، ذلك الطائر الصغير عندما رأى القوم يسجدون لغير الله، فأنكر ذلك الشرك فقال لسليمان عليه السلام مستنكراً غواية الشيطان لهم: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النمل: ٢٥]

أن الإحسان إلى الحيوان والرفق به في الإسلام عبادة من العبادات التي قد تصل في بعض الأحيان إلى أعلى درجات الأجر وأقوى أسباب المغفرة، ومن ذلك حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه الحر، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغُفر له، قالوا: يا رسول الله إن لنا في البهائم أجراً؟ فقال: في كل كبد رطبة أجر»[رواه مالك، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، وابن حبان في صحيحه] إلا أنه قال: «فشَكَر الله له فأدخله الجنة».

وأخرج مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة بسنده إلى أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «إن امرأة بغيا رأت كلباً في يوم حار يطيف ببئر قد أدلع

لسانه من العطش فنزعت له بموقها _أي استقت له بخفها _ فغفر لها »، فقد غفر الله لهذه البغي ذنوبها بسبب ما فعلته من سقي هذا الكلب.

حقوق الحيوان في الإسلام

لقد أهتم فقهاء المسلمين بحقوق الحيوان وسبقوا الغرب في الدعوة إلى الرفق بالحيوان والدفاع عنه وقد جاء في الأثر: «للدابة على صاحبها خصال: يبدأ بعلفها إذا نزل، ويعرض عليها الماء إذا مر به، ولا يضرب وجهها، فإنها تسبح بحمد ربها، ولا يقف على ظهرها إلا في سبيل الله، ولا يحملها فوق طاقتها ولا يكلفها من الشيء إلا ما تطيق».

بل جاء في كتب بعض الفقهاء انه: «لا ينبغي لمالك البهيمة أن لا يستقصي في الحلب، بل يبقي شيئاً في الضرع، لأنها تتأذى به، كما يجب أن يبقي للنحل شيئاً من العسل في الكورة، وكذلك الحال بالنسبة إلى ديدان القز التي تعيش على ورق التوت، فعلى مالكها توفير كفايتها منه، وحفظها من التلف[الموجز في الحقوق في الإسلام. -المجمع الملكي لبحوث الحضارات الإسلامية، ١٩٩٥م]

ومن حقوق الحيوان في الإسلام:

أولاً: الإحسان إليه حتى حال ذبحه، فعن شدّاد بن أوس -رضي الله عنه-، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»[رواه مسلم].

وقال ربيعة الرأي: "من الإحسان أن لا تذبح ذبيحة وأخرى تنظر إليها".

وقرر الفقهاء أنه على الذابح أن لا يحد شفرته أمام الذبيحة، وأن لا يصرعها بعنف، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رجلاً أضجع شاة وهو يحد شفرته، فقال

النبي -ﷺ- «أتريد أن تميتها موتتين هلا أحددتك شفرتك قبل أن تضجعها»[رواه الطبراني في الكبير والأوسط، والحاكم واللفظ له وقال: صحيح على شرط البخاري]. وعن معاوية بن مرة عن أبيه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني لأرحم الشاة أن أذبحها، فقال: «إن رحمتها رحمك الله»[أخرجه أحمد ٣/ ٤٣٦ (١٥٦٧٧) و٥/ ٣٤ (٢٠٦٣٤) قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم. و"البخاري"، في "الأدب المفرد"٣٧٣].

وروي أن جزاراً فتح باباً على شاة ليذبحها، فانفلتت منه فاتبعها، فأخذ يسحبها برجلها فقال رسول الله -ﷺ- «يا جزار سُقها سوقاً رفيقاً»[رواه عبد الرزاق في مصنفه].

ثانياً: حُرمة دم الحيوان، فدم الحيوان مصان إلا ما أحل الله ذبحه لأكله و قتله لأذيته.

ثالثاً: لا يجوز تعذيب الحيوان، أخرج الشيخان عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- أنه مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال ابن عمر: «من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله -ﷺ- لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً».

وأظن أنه لا يخفاك أخي المسلم ما يفعله دعاة الحرية وحقوق الحيوان يوم أن يتلذذون بمشاهدة مصارعة الثيران، ففي استراليا يُقتل كل عام ألاف الثيران وغيرهم يستمتعون بمصارعة الديكة، ومثله أكلة دماغ القردة في الفلبين، وغيرها من الأمثلة.

ومن حقوق الحيوان في الإسلام رابعاً: انه يحرم حبس الحيوان والتضييق عليه، ففي الصحيحين: « أن امرأة عُذّبت ودخلت النار في هرة حبستها لاهي أطعمتها

ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض». قال النووي في شرح هذا الحديث عن مسلم (٩/ ٨٩): "إن المرأة كانت مسلمة وإنها دخلت النار بسببها، وهذه المعصية ليست صغيرة بل صارت بإصرارها كبيرة".

وقد حرم الإسلام تعذيب الحيوان ولعن المخالفين على مخالفتهم، فقد روى مسلم بسنده إلى ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- مرّ على حمار قد وسم في وجهه فقال: «**لعن الله الذي وسمه**» وفي رواية له: «**نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الضرب في الوجه وعن الوسم في الوجه**»، وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: مرّ حمار برسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد كوي وجهه يفور منخراه من دم، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لعن الله من فعل هذا**»، ثم نهى عن الكي في الوجه والضرب في الوجه"[رواه الترمذي مختصراً وصححه]، وعن الشريد قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**من قتل عصفورا عبثاً عجّ إلى الله يوم القيامة يقول: يا رب إن فلانا قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة**»[رواه النسائي وابن حبان في صحيحه].

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: كنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في سفر فرأى قرية نمل قد حرقناها فقال: «**من حرق هذه؟** » قلنا: نحن، قال: «**إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب العالمين**» [أخرجه البخاري في الأدب المفرد [٣٨٢]، وأبو داود في الجهاد [٢٦٧٥] من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه رضي الله عنه. وصححه الحاكم (٤/ ٢٣٩)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب [٢٢٦٨]، وأخرجه أحمد [٣٨٣٥، ٣٨٣٦] من طريق عبد الرحمن بن عبد الله مرسلاً.]، وقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال -صلى الله عليه وسلم-: « **نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة فأخرج متاعه من تحتها ثم أمر ببيتها فأحرق بالنار فأوحى الله**

إليه فهلا نملة واحدة». وفي هذا الحديث حماية لبيت النمل من الهلاك فلو أهلك نملة واحدة أي النملة التي لدغته وحدها لما عاتبه الله على ذلك.

ومن حقوق الحيوان في الإسلام خامساً: عدم إرهاقه في العمل، فهذا حق للحيوان سوف تحاسب عنه يوم القيامة إذا حمّلته مالا يطيق، تأمل معي قصة الجمل الذي اشتكى ما يلاقيه من تعب وجوع إلى المبعوث رحمة للعالمين صلوات ربي وسلامه عليه، فعن عبدالله بن جعفر -رضي الله عنهما- قال: أردفني رسول الله -ﷺ- ذات يوم خلفه، فدخل يوماً حائطاً من حيطان الأنصار فإذا جمل قد أتاه، فجرجر وذرفت عيناه فمسح رسول الله -ﷺ- سراته وذفراه (ذفري البعير: أصل أذنه)، وهو الموضع الذي يعرق منه الإبل خلف الأذن - فسكن فقال: «**من صاحب الجمل؟** فجاء فتىً من الأنصار فقال: هو لي يا رسول الله فقال: «**أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملككها الله! إنه اشتكى إلي أنك تجيعه وتدئبه - أي تتعبه -**»[أخرجه الحاكم (٢/ ١٠٩، رقم ٢٤٨٥) وقال: صحيح الإسناد] ألا فليسمع هذا دعاة حقوق الإنسان وأولئك الذين يظلمون الناس ويأكلون حقوقهم.

سادساً حقوق الحيوان الذي أوجبه الإسلام: استخدامه فيما خُلق له، وعدم استخدامه في غير ما سخّر له، وفي الصحيحين: أن رجلاً كان يسوق بقرةً قد حمل عليها، فالتفتت إليه البقرة فقالت: إني لم أُخلق لهذا، ولكني إنما خُلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله، أبقرة تكلّم؟ فقال رسول الله -ﷺ-: «**وإني أومن به وأبو بكر وعمر**».

سابعاً: احترام مشاعر الحيوان، نعم احترام مشاعره، فقد نهى النبي -ﷺ- أن يحد السكين بحضرة الحيوان الذي يُذبح، فمرة مر على رجل واضع رجله على

صفحة شاة وهو يحد شفرته وهي تلحظ إليه ببصرها، فقال: «**أفلا قبل هذا! أتريد أن تميتها موتتين؟**» [رواه الطبراني وغيره]. بل إن الإسلام راعى حق الأمومة عند الحيوان، فعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: كنّا مع رسول الله -ﷺ- في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حمرةً معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تعرّش، فجاء النبي -ﷺ- فقال: «**من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها!**».

حرّم الإسلام لعن البهيمة فقد روى الإمام مسلم أن النبي -ﷺ- كأنا في سفر فلعنت امرأة ناقة فقال: «**خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة**»، قال الراوي: فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد»، وفي هذا حماية للحيوان من السب واللعن.

أيها الأخوة:

هذه بعض حقوق الحيوان في الإسلام، ولقد أدرك الرعيل الأول من سلف هذه الأمة حقوق الحيوان وحرمتها وأنها مسؤولية وأمانة، ولذا لمّا ولاّهم الله حقوق الإنسان رعوها حق رعايتها، تأمل في كلام عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عندما قال: «**لو أن بغلةً في العراق تعثرت لخشيت أن يسألني الله عنها لمَ لمْ أسوي لها الطريق**». (عمر يخشى المحاسبة أمام الله عز وجل يوم القيامة لعدم تسوية الطريق لبغلة، وأين في العراق وليست عنده، لذلك لمّا تولى أمثال عمر الخلافة لم يحتاجوا إلى إنشاء منظمات لحفظ حقوق الإنسان لأن كرامة الإنسان محفوظة ابتداءً عندهم، ولم يحتاجوا إلى أن يتبجحوا في وسائل إعلامهم أنهم قد أعطوا الإنسان كامل حقوقه).

وأبو هريرة نفسه -رضي الله عنه- ما سمي كذلك إلا لحفاوته بهرة صغيرة كان يحملها في كمه وقد قال له النبي -ﷺ-: «**يا أبا هر**».

وإنه من المناسب أيها الأحبة أن أختم بهذه القصة وما فيها من عبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد: يحدث الإمام الزمخشري عن نفسه أن إحدى رجليه كانت ساقطة، وكان يمشي في بعكاز خشب، فلما دخل بغداد سُئل عن سبب قطع رجله – وكان يظن أن ذلك بسبب برد خوارزم الشديد لكنه قال: دعاء الوالدة: وذلك أني كنت في صباي أمسكت عصفوراً وربطته بخيط من رجله، فأفلت من يدي، فأدركته وقد دخل في خرق، فجذبته فانقطعت رجله في الخيط، فتألمت والدتي لذلك وقالت: قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله، يقول فلما وصلت إلى سن الطلب، رحلت إلى بخارى أطلب العلم، فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلي، وعملت عليّ عملاً أوجب قطعها.

ألا فليتق الله أولئك الذين يقطعون حقوق الناس ويقطعون أرزاق الناس، أن تصيبهم دعوة مظلوم في ثلث الليل الآخر تكون بذلك نهايتهم.

إن الله عز وجل عاقب هذا الإمام وجعله عبرة لغيره بسبب قطع رجل عصفور، فكيف بمن يتعرض ويعرّض نفسه لقطع وهضم وإعاقة طرق يسترزق من خلالها أُسر و بيوتات الله أعلم بحالهم وحال من ورائهم – رحماك ثم رحماك يارب.

ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا.

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

حقوق الجيران

الحمد لله على عظيم نعمه وجزيل إحسانه، وأشهد أن لا إله إلا الله الناصر الحافظ لأوليائهٖ وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وخيرة خلقه وأنبيائهٖ اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه.

و بعد: ـ

اليوم الحديث عن حقوق الجيران في الإسلام.

نتكلم عن حقوق الجيران في زمن أصبحنا نسمع ـ ما يندى له الجبين مما يحدث بين بعض الجيران من تقاطع ومن تهاجر ومن تحاسد ومن بغضاء، وأمور ينبغي أن لا توجد في مجتمعات المسلمين، نتكلم عن حقوق الجيران يوم وصل التقصير والاستهانة بحق الجار إلى درجة أن الجار ـ في بعض الأحياء ـ لا يعرف جاره، نعم لا يعرف جاره الذي ليس بينه وبينه إلا جدار.

إن الروابط بين الناس كثيرة، والصلاتِ التي تصلُ بعضَهم ببعض متعددة، فهناك رابطةُ القرابة ورابطةُ النسب والمصاهرة ورابطةُ الصداقة ورابطةُ الجوار، وغيرها من الروابط التي تقوم الأمم بها وتقوى بسببها، فمتى سادت هذه الروابط بين الناس على أساس من البر والتقوى والمحبة والرحمة عظمت الأمة وقوي شأنها، ومتى أُهملت هذه الحقوق وتفصّمت تلك الروابط شقيت الأمة وهانت وحل بها التفكك والدمار، من أجل ذلك جاء الإسلام بمراعاة هذه الروابط وتقويمها وتمكينها وإحاطتها بما يحفظ وجودها ويعلي منارها بين

المسلمين.

ومن بين هذه الروابط العظيمة التي دعمها الإسلام وأوصى بمراعاتها وشدّد في التقصير في حقوقها وواجباتها رابطةُ الجوار، تلك الرابطةُ العظيمة التي فرّط كثير من الناس فيها ولم يرعوها حق رعايتها؛ إما جهلاً منهم بحقوق الجوار وإمّا تناسيًا لها، أو لا مبالاة بأذى الجار والاعتداء عليه، مما سبب التنافر والتباغض بين المسلمين، بل والعداء والكيد فيما بينهم، أفرادًا وجماعات، وحتى دُولاً مسلمةً متجاورة! !

إن حق الجار على جاره مؤكد بالآيات البينات والأحاديث الواضحة، فهو شريعة محكمة وسنة قائمة، ومن عظم حق الجار أن الله تعالى قرنه مع حقه جل وعلا وحق الوالدين والأرحام، قال الله تعالى: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾ [النساء: ٣٦].

ففي الآية الوصية بالجيران كلهم قريبهم وبعيدهم، مسلمهم وكافرهم.

وقد أكد النبي -ﷺ- حق الجار تأكيدًا عظيمًا، ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر وعائشة -رضي الله عنهم- قالا: إن رسول الله -ﷺ- قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه». سبحان الله فإن النبي -ﷺ- ظن أن نهاية هذا الحرص وتلك الوصايا من جبريل عليه السلام أن يكون للجار نصيب من الميراث.

وجاء في الصحيحين أن النبي -ﷺ- قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فلا يؤذي جاره». وفي رواية: «فليحسن إلى جاره» وفي رواية: «فليكرم جاره».

ولقد كان العرب في الجاهلية والإسلام يحمون الأعراض، ويتفاخرون بحسن الجوار، وعلى قدر الجار يكون ثمن الدار.

اطلب لنفسك جيراناً تجاورهم لا تصلح الدار حتى يصلح الجار

نعم والله إن الدار لا تصلح حتى يصلح الجار.

وها هو أحدهم يبيع داره بثمنٍ بخس فلامه الناس على ذلك فأجابهم شعراً بقوله:

يلومونني أن بعت بالرخص منزلي ولم يعرفوا جاراً هناك ينغص

فقلت لهم كفوا الملام فإنها بجيرانها تغلوا الديار وترخص

فاختيار الجار يكون قبل شراء الدار.

وها هي آسيا بنت مزاحم عليها السلام تقول كما قال تعالى:

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾

[التحريم: ١١]، اختارت الجار قبل الدار.

كم نحن جميعا بحاجة إلى أن نعي حقوق الجار لأننا مقصرون جميعا ونحتاج إلى تذكير والذكرى تنفع المؤمنين.

إن الجار الصالح أخٌ لك لم تلده أمك، يذب عن عرضك، ويعرف معروفك، ويكتم عيوبك، ويفرح إذا فرحت، ويتألم إذا حزنت. وصدق رسول

الله -ﷺ- إذ يقول: «أربعٌ من السعادة وذكر منها الجار الصالح»، ثم قال: «أربعٌ من الشقاوة: وذكر منها الجار السوء»، [رواه ابن حبان في صحيحه]، وكان رسول الله -ﷺ-، يتعوذ من جار السوء فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة، فإن جار البادية يتحول» [رواه ابن حبان في صحيحه].

ولم أر مثل الجهل يدعو إلى الردى ولا مثل جار السوء يكره جانبه

قال -ﷺ-: «تعوذوا من الفواقرِ الثلاث أي المهلكات الثلاث وذكر منها من مجاورة جارِ السوءِ، إن رأى خيرًا دفنه، وإن رأى شرًا أذاعَهُ»[رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف واللفظ الآخر رواه الطبراني من حديث فضالة بن عبيد].

يقول النبي -ﷺ-: «خير الجيران عند الله خيرهم لجاره» [صححه ابن خزيمة وابن حبان].

الجيران ثلاثة

الجيران كما يقول العلماء ثلاثة، فالجار الأول له ثلاثة حقوق، وهو الجار المسلم ذو الرحم، الذي له حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة، أما الجار الثاني فهو الذي له حقان: حق الإسلام وحق الجيرة، وأما النوع الثالث فهو الجار الكافر، فهذا له حق واحد وهو حق الجوار.

واسم الجار كما يقول ابن حجر يشمل المسلم والكافر والعابد والفاسق والصديق والعدو والنافع والضار والقريب والأجنبي والأقرب داراً والأبعد. والجار له مراتبُ بعضُها أعلى من بعض، تزيد وتنقص بحسب قربه وقرابته ودينه وخلقه، فيُعطى كلٌ بحسب حاله وما يستحق.

فالجار الملاصق لك في الدار ليس كالبعيد، وله ما ليس للبعيد، والجارُ ذي القربى ليس كالجار الجُنب، وصاحبُ الدين ليس كالفاسق المؤذي. وكما يكون الجوار في المسكن فيكون في العمل والسوق والمسجد والسفر والدراسة ونحو ذلك، بل يشمل مفهوم الجوار التجاور بين الدول، فلكل دولةٍ على جارتها حقوق.

وأما حد الجار فاختُلِف فيه، فعن علي -رضي الله عنه- قال: «من سمع النداء فهو جار، وقيل من صلى معك الصبح في المسجد فهو جار».

أقسم -صلى الله عليه وسلم- ثلاثاً: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**»، قيل: من يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**»، يعني شروره[متفق عليه].

ولقد جاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- يشتكيه من أذية جاره، فقال له: « **اذهب فاصبر**»، فأتاه الرجل مرتين أو ثلاثاً، فقال له -صلى الله عليه وسلم-: «**اذهب فاطرح متاعك في الطريق**»، ففعل ذلك، فجعل الناس يمرون به ويسألونه فيخبرهم خبره، فجعل الناس يلعنون جاره وينالون منه، فجاء إليه الجار قائلاً: ارجع، لا ترى مني شيئاً تكرهه.

إن الأمر ليس كما تتوقعون، ولا كما تحسبون وتحسبونه هيناً وهو عند عظيم.

روي عن أنس -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**من آذى جاره فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله**» [عزاه المنذري في الترغيب: ٣/ ٢٣٤ لأبي الشيخ ابن حبان في كتاب (التوبيخ) وضعفه.].

اختر ما شئت - أيها الجار - الجنة أو النار.

روى أبو هريرة -رضي الله عنه- أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن فلانة تذكر من

كثرة صلاتها، وصدقتها، وصيامها. وفي رواية تصوم النهار، وتقوم الليل، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: «هي في النار»، نعم لان صلاتها لم تؤثر في أخلاقها وصيامها لم يحسن من معاملاتها وقيل يا رسول الله: إن فلانة تذكر من قلة صيامها، وصلاتها، وإنها تتصدق بالأثوار من الأقط، ولا تؤذي جيرانها، قال: «هي في الجنة»[قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٦٩): رواه أحمد والبزار، ورجاله ثقات.].

ولله در من قال:

أقول لجاري إذا أتاني معاتبا ... مدلا بحق أو مدلاً بباطل

إذا لم يصل خيري وأنت مجاوري ... إليك فما شري إليك بواصل

روى عقبة بن عامر – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «أول خصمين يوم القيامة جاران» [قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٨٠): رواه أحمد والطبراني بنحوه، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح، غير أبي عشانة، وهو ثقة.].

فكيف بك أيها المسكين حين تقف بين يدي رب العالمين وجارك يقول: يا رب! إن جاري هذا لم يرع حق الجيرة، ولم يحسن معي السيرة، آذاني بعينه ينظر إلى محارمي، آذاني بسمعه يتسلط على أسراري، آذاني بلسانه يتفكه بمعايبي.

عباد الله: إن المؤمن من أمنه الناس، وإن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

قال أبو حازم: «**كان أهل الجاهلية أحسن منكم جواراً، فإن قلتم: لا، فبيننا وبينكم قول شاعرهم:**

ناري ونار الجار واحدة وإليه قبلي تنزل القدر
ما ضر جاراً لي أجاوره ألا يكون لبيته ستر

عبد الله أيها المسلم: اعلم أن من حق جارك عليك، إن مرض عدته، وإن مات شيعته وإن استقرضك وأنت قادر أقرضته، وإن أعوز سترته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا ترفع بناءك على بنائه تؤذيه.

وإذا رأيته على منكر نهيته، وإذا رأيته على معروف أعنته، فلربما تعلق برقبتك يوم القيامة، يقول: يا رب رآني على منكر فلم يأمرني ولم ينهني.

وواجب المسلم تجاه جاره أن يتحسس حاله، فإن رآه على خير أعانه، وإن رآه معوجاً أقامه. كما عليه أن يتفقد حاله ومعاشه فإن النبي -ﷺ- قال: «**ما آمن من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهم يعلم**»[أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٧٥١) بلفظ "من آمن بي. . . "].

وليتق الله - عز وجل - كل جار بينه وبين جاره قطيعة وضغينة.

يقول النبي -ﷺ-: «**لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**»[متفق عليه].

وليتق الله - عز وجل - أهل الدور والزروع لا يعتدي بعضهم على بعض، وليرعوا حق الجيرة.

روى الإمام أحمد: عن أبي مالك -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: «**أعظم الغلول عند الله - عز وجل - ذراع من الأرض تجدون الرجلين جارين في الأرض أو في الدار فيقتطع أحدهما من حظ صاحبه ذراعاً**».

وقال -ﷺ-: « من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين إلى يوم القيامة »[رواه البخاري في كتاب المظالم. قال - باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض.].

وإن المطلوب من أهل الحي أن يتزاوروا فيما بينهم؛ ليتعارفوا وتتآلف قلوبهم. وخير مكان يلتقون فيه وتزداد محبتهم المسجد بيت الله.

صح عن النبي -ﷺ- أنه قال: «أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»[رواه مسلم].

ومن الآداب الإسلامية: تبادل الهدية، والعطية، فإنها ترقق القلوب، وتذهب الغل.

كما قال النبي -ﷺ-: «تهادوا تحابوا» [أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٤)]، وفي صحيح مسلم عن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «يا أبا ذر إذا طبخت مرقة، فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك».

وها هو حاتم الطائي يقول:

إذا كان لي شيئان يا أم مالك فان لجاري منهما ما تخيرا

وعلى الجار أن يتصف بالعفو والتسامح مع جيرانه، ويسعى إلى نفعهم، وكف الأذى عنهم، ففي الصحيحين عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: «لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبه في جداره».

والجار المسلم يبادل جاره الصبر والاحتساب قال -ﷺ-: «إن الله - عز وجل - يحب ثلاثة: وذكر منهم رجل كان له جار سوء يؤذيه فيصبر على أذاه حتى يكفيه الله إياه بحياة أو موت»[رواه أحمد]. و ليس حسن الجوار ترك الأذى، ولكنه الصبر على الأذى. كم نرى ونسمع في مخالفات لهذا الحق بين

الجيران، فكم من الناس من هو كثيرُ الخصومة والملاحاةِ مع جيرانه، يشاجرُ على كل صغيرة وكبيرة، وربما وصل الأمر إلى الاشتباك بالأيدي، أو تطوّرَ إلى الشُرطِ والمحاكم، وعلى أمور لا تستدعي. وكم من جيران تهاجرُوا وتقاطعُوا عند أسباب تافهة أو ظنون سيئة، أو لخلافات يسيرة، لا تستدعي ما وصلت إليه. لذلك وجد في الإسلام من أهل حفظ الجار أناس كثير، أذكر على سبيل المثال: أبو حنيفة، عالم الأمة، كان من أعبد عباد الله وأزهدهم، كان له جار يؤذيه.

كان أبو حنيفة يأتي بعد صلاة العشاء يريد أن يسبح الله، ويصلي ويبكي ويدعو ويقرأ القرآن، لكن هذا الجار عزوبي ليس عنده إلا طبل يضرب عليه ويرقص وفي رواية عود ويقول:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهةٍ وسداد ثغر

فكان أبو حنيفة لا يستطيع أن ينام ولا يستطيع أن يقرأ، ولا أن يصلي، فيصبر ويحتسب، وفي ليلة من الليالي الطويلة ما سمع أبو حنيفة الصوت، انتظر هل يسمع صوتاً، ما سمع الرقص ولا سمع ضرب الطبل، فعجب! طرق على باب الدار فما أجابه أحد، سأل الجيران: أين فلان؟

قالوا: أخذته شرطة السلطان، قال: سبحان الله! جاري يأخذونه ولا يخبرونني! ثم ذهب في الليل فركب بغلته ولبس ثيابه، فاستأذن على السلطان وسط الليل.

قال الجنود للسلطان: أبو حنيفة إمام الدنيا يريد مقابلتك، فقام السلطان من نومه والتقى به عند الباب يعانقه، قال له: يا أبا حنيفة لماذا ما أرسلت إلينا؟ نحن

نأتيك لا أن تأتينا، قال: كيف أخذتم جاري وما أخبرتموني به؟

قالوا: إنه فعل وفعل وفعل، قال: ردوا عليّ جاري، قالوا: لو طلبت الدنيا لأعطيناك الدنيا، فركب جاره معه على البغلة وأخذ جاره يبكي.

قال أبو حنيفة: ما لك؟ قال: آذيتك كل هذه الأيام والأعوام والسنوات وما تركتك تنام ولا تصلي ولا تقرأ، ولما فقدتني ليلة أتيت تتشفع فيّ، أشهد الله ثم أشهدك أنني تائب إلى الله.

لقد كانوا يدعون الناس بأخلاقهم وبتعاملهم.

وهذا يهودي سكن بجانب عبد الله بن المبارك -رحمه الله- أحد العلماء الصالحين- فكان عبد الله بن المبارك إذا اشترى لحماً من السوق بدأ بأولاد الجار اليهودي، نحن لا نقول: نبدأ بأولاد اليهود لكن بأولاد المسلمين، ونحن لا نقول: أعطوا الناس لحماً أو اكسوا أبناء الناس، لكن نكف أذانا فقط، نعم.

عبد الله بن المبارك كان إذا اشترى لحماً أعطى أبناء الجيران، وإذا اكتسى كسا أبناء جيرانه، وإذا أخذ فاكهة بدأ بهم، فأتى أناس من التجار يشترون دار اليهودي، فقال: داري ثمنها ألفا درهم، أما الألف الأولى فقيمة الدار، وأما الثانية فقيمة جوار عبد الله بن المبارك، فسمع عبد الله بن المبارك، وقال: والله لا تبيعها، هذا ألف درهم وابق عندي جاراً لي، ثم قال عبد الله بن المبارك اللهم اهده إلى الإسلام، فما أصبح اليوم الثاني إلا وقد أسلم لله رب العالمين.

ولا شك أن الإحسان إلى الجار من أفضل الأعمال والقربات، كيف لا وهو سبب من أسباب نيل محبة الله تعالى ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، يقول نبينا -صلى الله عليه وسلم-:

«إن أحببتم أن يحبكم الله ورسوله فأدوا إذا ائتمنتم واصدقوا إذا حدثتم وأحسنوا جوار من جاوركم» [(حسن) انظر حديث رقم: ١٤٠٩ في صحيح الجامع].

ويعظم ويتأكد حق الجار إن كان الجار مسكيناً أو يتيماً أو مسناً أو أرملة لا عائل لها، والنبي -ﷺ- يجيب من سأله أي الذنب أعظم؟ فيقول: «أن تزاني حليلة جارك»[متفق عليه]. وعن المقداد -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-ﷺ-: «ما تقولون في الزنا؟ » قالوا: حرام حرّمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامة، فقال رسول الله -ﷺ-: «لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره» قال: فقال -ﷺ-: «ما تقولون في السرقة؟ » قالوا: حرمها الله ورسوله، فهي حرام، قال: « لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره» [أخرجه أحمد وصححه الألباني].

فاتقوا الله وصونوا حرمات جيرانكم كما تصونوا حرمات أمهاتكم وأخواتكم، تفقدوا جيرانكم وتعاهدوهم بالصلة والسؤال، واتقوا الله فيهم ولا تؤذوهم، فليس بمؤمن من آذى جاره، وإن من أذية الجار أن يرفع المرء صوت المذياع أو المسجل بالموسيقى التي تغضب الله وتؤذي الجار المسلم.

ومن الأذية رمي القاذورات أمام بيت الجار وهو أمر كان يفعله المشركون مع نبينا -ﷺ-، كذلك من الأذية تجمع الصبية والشباب مع أصحابهم أما بيت الجار، مع ما يصحب ذلك من ضجيج وإزعاج وربما كلمات نابية قذرة وهيئات وأشكال مزرية قبيحة تؤذي أعين الناظر إليها فضلاً عن أذية الجيران، ومن الأذية كذلك خروج النساء سواء كن ربات البيوت أو الخادمات من البيوت

وهن متبرجات متهتكات، فذلك أيضاً يؤذي المؤمنين ويغضب الله رب العالمين، فاستروا بناتكم وزوجاتكم والخادمات اللاتي تحت أيديكم، ولا تؤذوا جيرانكم وعباد الله بمناظرهن، ولا تجعلوهن عرضة لأذية الفساق، والله تعالى يقول: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

والمسلم يعرف نفسه إذا كان قد أحسن إلى جيرانه أو أساء إليهم ففي الحديث الصحيح عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رجل لرسول الله كيف لي أن أعلم إذا أحسنت وإذا أسأت؟ فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**إذا سمعت جيرانك يقولون: قد أحسنت، فقد أحسنت وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت، فقد أسأت**»[رواه ابن ماجه وهو حديث صحيح.].

إن المسلم ليتألم عندما يلاحظ في المجتمع الإسلامي كثرة المشاكل والتدهور في العلاقات بين الجيران، فتجد جارا يكيد بجاره المكائد والمصائب، وآخر لا يتكلم مع جاره لأيام طويلة، والنبي -صلى الله عليه وسلم-يقول: «**من هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار إلا أن يتداركه الله برحمته**»[رواه الطبراني ورواته رواة الصحيح وقال الألباني: حسن لغيره].

أي: ثلاث ليال، وآخر لا يعرف أن جاره يمر بمناسبة سعيدة فيهنيه أو حزينة فيواسيه ويعزيه، وأخطر من ذلك أن تجد جيراناً يعيشون في عمارة واحدة ولا يتعارفون، وإن سألت أحدهم عن أقرب الجيران منه لا يعرفه، وربما لا يلتقون إلا على باب المبنى، فأين هؤلاء من الاقتداء برسول الله في معاملته مع جيرانه؟ !

كان للنبي -ﷺ- بالمدينة جار يهودي يؤذيه، وكان عليه الصلاة والسلام يصبر ويحتسب، فلما مرض اليهودي زاره، فدخل الرعب في قلب اليهودي ظناً منه أن محمداً عليه الصلاة والسلام جاء لينتقم منه مستغلاً مرضه، وإذا به يفاجأ بأن النبي -ﷺ- جاء ليواسيه ويسأل عن حاله ويقدّم له العون إن لزم الأمر، عندئذٍ طأطأ اليهودي رأسه اعترافاً له بالجميل وأعلن الشهادة وأصبح من المسلمين.

أسأل الله أن يوفقني لما يحب ويرضى، وأن يهدنا لصالح الأقوال والأعمال والنيات، ولما اختلف فيه من الحق بإذنه، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

حقوق الطريق (١)

الحمد لله رب العالمين الذي جعل الطاعة شعار المفلحين، وجعل المعصية عادة إخوان الشياطين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله إمام المتقين وسيد المرسلين اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين وصحابته البررة المكرمين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

و بعد:

لا زلنا مع سلسلة الحقوق في الإسلام. واليوم نقف معكم مع حقوق الطريق في الإسلام.

حقوق الطريق في الإسلام هل للطريق حقوق في الإسلام؟ نعم.

أيها الأخوة: إن دينكم دين شامل لكل جوانب الحياة فهو دين ودولة مصحف وسيف، سياسة واقتصاد، في المسجد وفي السوق، في البيت وفي الوظيفة.

دين الإسلام وشرائعه استوعبت شتى جوانب الحياة وشؤونها، واهتمت لكل ما يتعرض للإنسان من مهده إلى لحده.

حتى آداب الطريق، ومجالس الأسواق، وحقوق المارة، وأدب الجماعة.

إن للناس أندية ومجالس يجتمعون فيها، ويتحدث بعضهم إلى بعض، وما جلس قوم مجلساً في مكان لا يذكرون الله فيه إلا كان عليهم حسرة وندامة يوم

القيامة، وقد كان السلف الصالح يقولون: المجالس أمانة فكل مجلس جلسه الناس سواء كانوا أفراداً أم جماعات يعتبر أمانة يحاسب عليها صاحبه يوم القيامة، فاسمَع نبيَّك حيثُ يقول: «الإيمانُ بِضعٌ وستّون ـ أو قال: ـ بضعٌ وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق» [أخرجه البخاري في الإيمان (٩)، ومسلم في الإيمان (٣٥) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-].

كان أحد السلف إذا رفع أذى من الطريق يقول لا اله إلا الله، فسُئل عن ذلك فقال:" أجمع بين أعلى شعبة وأدنى شعبة من شعب الإيمان".

جاء في محكم التنزيل: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾ [الفرقان: ٦٣]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ٥٥﴾ [القصص: ٥٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧﴾ [الإسراء: ٣٧].

حَدِيثٌ عَظِيمٌ جَمَعَ خِصَالاً وَآدَابًا مِنْ آدَابِ السَّيرِ فِي الطَّرِيقِ، رَوَى البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وغيرُهُمَا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ الله -صلى الله عليه وسلم- خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فَقَالَ: «فَإِذَا أَبَيْتُم إِلاَّ المَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ»، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى وَرَدُّ السَّلاَمِ وَالأَمرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ»،

وفي حديث أخرجه الترمذي والبخاري في الأدب المفرد وابن حبان عدَّ النبي -ﷺ- من أبواب الخير: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك الرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة» [أخرجه أيضا البخاري في الأدب المفرد (٨٩١)، والبزار (٤٠٧٠)، وصححه ابن حبان (٥٢٩)، وله شواهد كثيرة أشار إليها الترمذي، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٧٢).].

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

عباد الرحمن: هم خُلاصة البشر يمشون في الطريق سواء بسياراتهم أو على أقدامهم هوناً، لا تصنُّع ولا تكلف، ولا كبر ولا خيلاء، مشية وقارٌ وسكينةٌ، وجدٌّ وقوةٌ من غير تماوتٍ أو مذلة، تأسياً بالقدوة الأولى محمد فهو غير صخَّابٍ في الأسواق حين يمشي- يتكفَّأ تكفؤاً، أسرع الناس مشية وأحسنها وأسكنها، هكذا وصفه الواصفون، تلك هي مشيةُ أولي العزم والهمة والشجاعة، يمضي إلى قصده في انطلاقٍ واستقامةٍ لا يُصعر خده استكباراً، ولا يمشي- في الأرض مرحاً. لا خفق بالنعال، ولا ضرب بالأقدام، لا يقصد إلى مزاحمة، ولا سوء أدب في الممازحة، يحترم نفسه في أدب جمٍّ، وخلقٍ عالٍ لا يسير سير الجبارين، ولا يضطرب في خفة الجاهلين. إنه المشي- الهون المناسب للرحمة في عباد الرحمن، وحين يكون السير مع الرفاق فلا يتقدم من أجل أن يسير الناس خلفه، ولا يركب ليمشي غيره راجلاً بابي وأمي -ﷺ-.

إن المجتمع الإسلامي الذي وضع القرآن الكريم قواعده المتينة الراسخة،

وأرسى لبناته على يد المصطفى ، مجتمع فريد في كل شيء مجتمعٌ سليم العقيدة، مجتمعٌ صحيح العبادة، مجتمعٌ نقى السريرة، مجتمعٌ طاهر اللسان، مجتمعٌ نظيف المشاعر والأخلاق، ما ترك النبي شراً للمجتمع الإسلامي في دينه ودنياه إلا وضّحه وحذّره منه فهو بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم.

ومن هذه الضمانات الوقائية التي تجلب المصالح وتدفع المفاسد والشرور قوله : « **إياكم والجلوس في الطرقات**» لماذا؟ لأن الطريق العام يختلط فيه الحابل بالنابل وأرجو ألا تنسوا أن في أول الوصية النبوية كانت لمجتمع الصحابة مجتمع الطهر والعفة.

فكيف لو رأى النبي مجتمعات المسلمين الآن؟

الرسول يحذر من الجلوس على الطرقات، يحذر من؟ يحذر الأطهار، يحذر الأبرار، يحذر الصحابة الأخيار، الذين زكاهم العزيز الغفار وعدلهم النبي المختار يقول لهم: « **إياكم والجلوس في الطرقات**» ولماذا لا نجلس في الطرقات؟ لأن الطريق العام يختلط فيه الحابل بالنابل فهو طريق للأشراف، والسفهاء، وهو طريق للعقلاء الملتزمين، وهو طريق في الوقت ذاته للتافهين والساقطين ممن لا يحملون هماً يؤرقهم ولا ديناً يحركهم فتراهم يجلسون على الطرقات من أجل النظر للنساء خرجن من بيوتهن.

من هنا حذر النبي من الجلوس على الطرقات بما فيها من هذه الفتن قال: « **إياكم والجلوس في الطرقات**» قالوا: يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها، وفى رواية مسلم نتحدث في ما لا بأس، إنما نجلس لنتذاكر ونتحدث

يعنى: لا نجلس لمعصية فبين النبي لهم أن من اضطر لحاجة أن يجلس على الطريق فعليه أن يؤدى للطريق حقه فقالوا: ما حقه يا رسول الله قال: « **غض البصر**».

أول حق للطريق هو غض البصر

البصر نعمة، من أعظم النعم، ما أنعم الله بها علينا لنستخدمها في معصيته ما أنعم الله بها علينا لنطلق لها العنان ، وإنما لتُستخدم هذه النعمة في مرضاة الله وطاعة الله ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت: ٢٠]

. وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩١].

هذا البصر- ستسأل عنه قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

وانتبه فقد ينظر الرجل أو الشاب على قارعة الطريق إلى امرأة متبرجة متمايلة فاتنة، ويدفق النظر ويعاود ثم يرجع إلى بيته فيرى قلبه متقلباً على امرأته حتى لو وقف في الصلاة بين يدي الله يرى صورة المرأة أمام عينه في بيت الله، حتى لو فتح الشاب من أبنائنا كتابه للمذاكرة، والدرس رأى صورة المرأة وسط الصفحة، فإن أغمض حتى عينيه يراها وهو مغمض لعينيه. انظروا إلى خطر

البصر لماذا؟

لأن البصر- إن نظر ودقق تنطبع الصورة التي رأتها العين في القلب، فلا تفارق الصورة القلب بعد ذلك إلا إذا شاء من بيده القلوب.

اسمع لحبيب القلوب محمد الذي يقول كما في صحيح مسلم من حديث حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه-: «تُعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلبٍ أنكرها نُكتت فيه نكتة بيضاء حتى تعود القلوب على قلبين: الأول: قلب أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه والثاني: قلب أبيض لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض».

ففي سورة النور في آية واحدة يجمع الله عز وجل فيها بين غض البصر وحفظ الفروج.

وكأن غض البصر- وحفظ الفروج خطوتان متتاليتان كلتاهما قريب لا تنفصل إحداهما عن الأخرى، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور: ٣٠]، وفي الآية الثانية: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١]، فحفظ البصر وغض البصر مقدمة حتمية طبيعية لحفظ الفرج أو حفظ الفرج نتيجة حتمية لحفظ البصر.

وفي صحيح مسلم قال المصطفى -صلى الله عليه وسلم-: «العينان تزنيان وزناهما النظر، والأذنان تزنيان، وزناهما الاستماع، واللسان يزني وزناه الكلام، واليد تزني

وزناها البطش، والرجل تزني وزناها الخطأ، والقلب يهوى ويتمنى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه». فأول حق من حقوق الطريق غض البصر

الحق الثاني: كف الأذى

ففي الصحيحين من حديث أبى هريرة -رضي الله عنه- أن النبي قال: « الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أفضلها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان».

فمن الأذى أن تضع سيارتك في الطريق؛ لتعطل سير المسلمين.

نتكلم عن حقوق الطريق ونحن نسمع عن عددٍ من حوادث السير المفجعة التي تحصد الأرواح أكثر مما تحصدُ الحروب.

لا بد أن تعقد المؤتمرات واللقاءات لعلاج هذه المسألة التي من أسبابها ضيق الطريق فليس أمام السائق إلا الموت، ومن أسبابها الحفر التي تعدت المليون مطب ودخلت بلادنا موسوعة جينيس للأرقام القياسية وأصبحنا بلاد المليون مطب فأين وزارة الأشغال والطرق وعمر يقول لو عثرت بغلة ونحن يتعثر آلاف البشر بل لا يتعثرون فقط بل يموتون. ومن أسباب ذلك السرعة الزائدة والإفراط في السرعة مصدر لإلقاء الرعب والخوف في قلوب الآمنين وإفساد في الأرض وإهلاك لأنفس بريئة واعتداء على أثمن شيء يملكه الإنسان في هذا الوجود، ألا وهو حق الحياة، وليعلم الذين يتعجَّلون أن خلْفَهُم نساءً وأطفالاً هم بأشد الحاجة إليهم، وعليهم أن يفكروا في مصير أسرهِم وأولادهم. وهناك فئة من الناس ينسى نفسه عندما يقود سيارته فيسرع متكبرا متبخترا. وكأن الطريق له وحده.

وبناءً على هذا فإنه لا يحل لنا بهذه الوسائل التي سخرها اللهُ لنا أنْ نُبَدِّلَ نعمةَ اللهِ كُفْرًا، وذلك بالتسبب في إزهاق الأرواح وترويع الآمنين، وفي الحديث الشريف يقول النبي -ﷺ-: «لا يحل لمسلم أن يروِّع مسلمًا»[أخرجه أحمد (٥/ ٣٦٢)، وأبو داود في الأدب (٥٠٠٤) وصححه الألباني في صحيح السنن].

هل هناك ترويعٌ أشدُّ من السُّرعةِ الزائدة عن حدِّها التي تؤدي إلى قَتْل وتمزيقِ الإنسان، بالإضافة إلى ما تخلفه من جروح وعاهات وتشوهات تدمى لها القلوب. ولذلك كانت الفتوى الشرعية بأن من تجاوز الحدَّ المقرر للسرعة فتسبب في قَتْلِ نفسه أو قتْلِ غيرِه كان مسؤولاً أمام الله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [النساء: ٢٩]، وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ﴾ [الأنعام: ١٥١].

من الأذى أن تترك ماء بيتك سواءً كان هذا الماء طاهراً أو نجساً؛ ليتسرب إلى شوارع وطرقات المسلمين ليؤذي المارة.

من الأذى أن يميل غصن من أغصان شجرتك المزروعة أمام بيتك؛ ليعطل سير المارة. فكف الأذى سواءً كان مادياً أو معنوياً من حق الطريق.

قال كما في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال -ﷺ-: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

أخي المسلم:

إن جلست على الطريق فلا تغمز ولا تلمز لا تغتب أحداً ولا تجلس بالنميمة بين هذه المجموعة لتنتقل بكلامها إلى مجموعة أخرى.

يقول عليه الصلاة والسلام: «لقد رأيت رجلاً يتقلّب في الجنة في شجرة

قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس»[أخرجه مسلم في كتاب البر (١٩١٤) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- نحوه.].

وحينما طلب أبو برزة -رضي الله عنه- من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يعلمه شيئاً ينتفع به قال: «اعزل الأذى عن طريق المسلمين». وهذه بشارة لرجال المرور كتب الله أجرهم إن اخلصوا النية في عملهم وابتعدوا عن المال الحرام بشرى بأُجور عظيمة.

وفي خبر آخر: «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق، فأخَّره، فشكر الله له؛ فغفر له» [أخرج ذلك كله مسلم في صحيحه رحمه الله].

رفعَ معاذ بنُ جبل حجرًا من الطريق، فقيل له: لماذا؟ فقال: إني سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «ع كتب الله له به حسَنة، ومن كتب الله له به حسنة غفر له، ومن غفر له أدخله الله الجنة».

وإذا كان هذا الثواب العظيم لمن يكف الأذى، فكيف تكون العقوبة لمن يتعمد إيذاء الناس في طرقاتهم ومجالسهم، ويجلب المستقذرات، وينشر المخلفات في متنزهاتهم، وأماكن استظلالهم.

أخرج الطبراني من حديث حذيفة بن أسيد -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «من آذى المسلمين في طرقهم؛ وجبت عليه لعنتهم» [وقال: حديث حسن صحيح].

الألفاظ البذيئة: أول ما يُصافح سمع الداخل إلى وسط أبناء الطريق قاموس طويل من السب والشتم والتجريح والعياذ بالله، وإنك لتجد أسهل شيء على لسان هؤلاء السب والشتم واللعن.

وفي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عند مسلم قال -صلى الله عليه وسلم-: «اتقوا اللعَّانين»

قالوا: وما اللعانان يا رسول الله؟ قال: «**الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلِّهم**»[أخرجه مسلم في الطهارة (٢٦٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ اللّعّانين، وهذا لفظ أبي داود في الطهارة (٢٥)].

أسأل الله تعالى أن يجعلني من الهداة المهتدين، والصلحاء المصلحين إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

حقوق الطريق (٢)

الحمد لله رب العالمين، ولا عُدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مقدر الأقدار، ومصرف الأمور والأحوال. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

و بعد:

الحق الثالث من حقوق الطريق رد السلام

قال القرطبي -رحمه الله- في كتابه المتاع «الجامع لأحكام القرآن الكريم»: «**لقد أجمعت الأمة بلا خلاف أن الابتداء بالسلام سنة، وأن رد السلام فريضة، الابتداء بالسلام سنة أما رد السلام ففرض** »[الجامع لأحكام القرآن :٥/ ٢٩٨]. فمن حق الطريق إن جلست أن ترد السلام.

ويتألم الإنسان إذا قال لمجموعة من الناس يجلسون على قارعة طريق من الطرق "السلام عليكم ورحمة الله" فترد المجموعة: مساء النور، مساء الفل، مساء الورد، نحن لا نكره، النور ولا نتأذى من الفل، بل نعشق الورد، لكن ما هكذا علمنا الصادق فالنبي -صلى الله عليه وسلم- علمنا كيف نلقى السلام، وكيف نرد السلام، دخل على النبي رجل فقال: السلام عليكم فرد النبي عليه السلام.

وجلس فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: « **عشر-ا عشر-ا**» أي: عشر- حسنات فجاء رجل آخر في نفس المجلس فقال: السلام عليكم ورحمة الله فرد النبي وجلس فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : « **عشر-ون عشر-ون**» أي " عشر-ون حسنة فجاء رجل ثالث في

نفس المجلس فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد النبي -ﷺ- عليه السلام وجلس الرجل فقال النبي -ﷺ-: «ثلاثون ثلاثون» أي: ثلاثون حسنة.

هذا هو السلام الذي سنه لنا رسول السلام وعليك أن ترد بما ألقى عليك أو بأحسن.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [النساء:٨٦] ، وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي -ﷺ- سئل: أي الإسلام خير؟ قال: « تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»، يعني: يعني من المسلمين على من عرفت من المسلمين ومن لم تعرف من المسلمين.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولاً أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم».

وفي مسند أحمد، بسند صحيح من حديث عبد الله بن سلام -رضي الله عنه- أنه قال: سمعت رسول الله يقول: « أطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا لله بالليل والناس نيام وأفشوا السلام تدخلوا الجنة بسلام».

من حقوق الطريق أن تهدي ابن السبيل الضال بعبارة ملؤها الأدب، وإشارة كلها لطف ورقة من غير فظاظة ولا ملال، لا تقول هجراً ولا تنطق فحشاً، والبشاشة والتبسم في وجه أخيك من الصدقات.

من حقوق الطريق أن تعين صاحب المتاع في حمل متاعه ورفعه ووضعه، وإن

كنت تحمل شيئاً فاحترس أن تصيب أحداً بأذى.

من حقوق الطريق في الإسلام أن تفضَّ النزاع بين المتخاصمين، وتُصلح ذات البين، وتحفظ اللقطة، وتدلُّ على الضالة تعين على رد الحقوق لأصحابها.

من حقوق الطريق في الإسلام أن تذبَّ عن أعراض المسلمين، وتأخذ على أيدي الظالمين، وتنصر المظلومين.

من حقوق الطريق أن لا تتعرض لأحدٍ بمكروه، ولا تذكر أحداً بسوء، لا تهزأ بالمارة، ولا تسخر من العابرين. . لا تشر ببنان، لا تستطل بلسان، ولا تحتقر صغيراً، ولا تهزأ من ذي عاهة. وإياك والجلوس في مضايق الطريق وملتقى الأبواب ومواطن الزحام.

الحق الرابع والخامس معاً

حقٌ جليلٌ كبير وقليلٌ من يؤدى هذا الحق من المسلمين إلا من رحم ربك لا سيما في هذه الأيام ألا وهو.

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

فهو القطب الأعظم في هذا الدين وهو أشرف المهام التي بعث الله بها النبيين والمرسلين.

إن أُهمل عمله وطُوي بساط علمه تعطّلت النبوة واضمحلّت الديانة، وعمّت الجهالة، وفشت الضلالة وهلك العباد وخربت البلاد، ولن يشعر الناس بذلك الفساد إلا في يوم التناد، فهو شرط من شروط خيرية هذه الأمة، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فمن يجلس على قارعة الطريق

ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، إن رأى المنكر بين يديه؟ .

و والله ما استشرت المنكرات واستشرى الفساد إلا يوم أن صار المسلمين ينظرون إلى المنكرات فيهز أحدهم كتفيه، ويمضى وكأن الأمر لا يعنيه من قريب أو بعيد ينطلق المسلم ذاهباً إلى المسجد للصلاة وجاره في دكانه لا يأمره بالصلاة بمعروف.

يمر المسلم على الحرام ولا ينكر.

لقد أجمع أهل العلم على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض عين.

لأن منا من يستطيع أن ينكر بيديه بالضوابط الشرعية ومنا من يستطيع أن ينكر بلسانه، ومنا من لا يستطيع أن ينكر بيديه أو بلسانه لكن لا عذر له بين يدي الله إن لم ينكر بقلبه، هذا يملكه كل مسلم ومسلمة.

جاء في صحيح مسلم من حديث أبى سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

قد يزعم بعض الناس أنه لا ضرر عليه ولا إثم ما دامت المنكرات بعيدة عنه، ما دام لم يقع فيها هو بنفسه، ولقد خشي الصديق - رضي الله عنه - من هذه الشبهة قديماً فارتقى المنبر فبين الحق، وقال بعدما حمد الله وأثنى عليه:

«أيها الناس! إنكم تقرؤون آية في كتاب الله وتضعونها في غير موضعها ألا وهي قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ [المائدة: ١٠٥]

وقال الصديق -رضي الله عنه-: «وإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشك الله أن يعمهم بعذاب من عنده» وفي لفظ: « أن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه يوشك الله أن يعمهم جميعاً بعذاب من عنده ثم يدعونه فلا يستجاب لهم» هذا هو الواقع.

وفي الصحيحين من حديث أم المؤمنين زينب بنت جحش -رضي الله عنها- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قام يوماً من نومه عندها فزعاً أو دق عليها فزعاً وهو يقول: « لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، وفتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل مثل هذا» وحلق النبي -صلى الله عليه وسلم- بأصبعيه الإبهام والسبابة، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا فقالت زينب: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: « **نعم إذا كثر الخبث**».

فيجب على أهل الإصلاح والصلاح أن يأخذوا على أيدي السفهاء والطالحين.

إن عجزت بيدك فبكلمة رقيقة رقراقة عذبة حلوة أو برسالة مهذبة أو باتصال هاتف هادف المهم أن لا تكون سلبياً، فإن السلبية تخيم الآن على أسماع الأمة ويعلق كثير الأخطاء على غيره، على الحكام، على العلماء، على اليهود على غيرهم، وينسى أحدنا أن ينظر إلى خطته هو، وإلى تقصيره هو، وقد حذرنا الله تبارك وتعالى من هذا فقال: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران: ١٦٥].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأمر بالمعروف بمعروف والنهي عن

المنكر بغير منكر حق من أعظم حقوق الطريق قال المصطفى -ﷺ-: «**إياكم والجلوس في الطرقات**»، قالوا: يا رسول الله ما لنا من بد من مجالسنا لنتحدث فيها قال: « **إذا أتيتم إلى المجلس فأعطوا الطريق حقه**» قالوا: وما حق الطريق؟ قال: « **غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر**».

هذا و اللهَ أسأل أن يوفقنا جميعاً لخير القول و العمل، و أن يعصمنا من الضلالة و الزلل، و أن يصلح ذات بيننا و يؤلف بين قلوبنا، و يأخذ بأيدينا إلى ما فيه رضاه عنّا.

و صلى الله و سلم و بارك على نبيّه محمد، و آله، و صحبه أجمعين.

حقوق العلماء(١)

الحمد لله المنعم على عباده بعظيم آلائه، أحمده سبحانه على تعاقُبِ نعمائه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله أفضل رسله وخاتم أنبيائه، اللهم صلِّ وسلّم عليه وعلى آله وصحبه.

وبعد. . . .

لقاءنا معكم مع حقوق العلماء. أي علماء؟

إنهم العلماء الذين يعملون على ما يرضي الله ورسوله.

العلماء الذين يعملون لخدمة العلم وأهله والوطن وواجبه.

نتكلم عن العلماء الذين يُقدّسون مصلحة الأمة فوق كل مصلحة، ويضحون بأعز ما لديهم في سبيل إعلاء شأنها، ورفع مستواها بين الأمم الناهضة، والشعوب الراقية.

أما أولئك الذين كل همهم من الحياة أن يملأوا بطونهم وجيوبهم، وإن باءوا بغضبٍ من الله، أولئك الذين يؤجرون على تعمية أمتهم وتجهليها وسوقها إلى حيث شقاؤها المؤبد، وتعاستها الدائمة. أما هؤلاء فسحقاً لهم وبعدا.

الحديث عن العلماء العاملين الذين:

هُمُ العدولُ لِحمل العلم كيف وهم ... أولو المكارم والأخلاق والشيَمِ

هم الجهابذةُ الأعلام تعرفهم ... بيْن الأنام بسيماهم ووسْمِهِمِ

هم ناصرو الدين والحامون حوزته من العدو بجيش غير منهزمِ
لم يبق للشمس من نورٍ إذا أفلت ونورهم مشرقٌ من بعد موتهمِ

نتكلم عن حقوق العلماء ونحن في زمن يتقدم في المغنون والمغنيات والممثلين والممثلات والساقطين والساقطات الأحياء منهم والأموات.

فضل العلماء

إن الله أحب من عباده العلماء، واصطفاهم واجتباهم ورثة للأنبياء وزادهم من الخير والبر فجعلهم من عباده الأتقياء السعداء وشرفهم وكرمهم فكانوا من عداد الأولياء، وأثنى عليهم في كتابه بأنهم أهل خشيته فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

العلماء وما أدراك ما العلماء أئمة الهدى، ومصابيح الدجى أهل الرحمة والرضا، بهم يُحتذى ويُهتدى ويُقتدى. كم طالب علم علّموه وتائه عن صراط الرشد أرشدوه وحائر عن سبيل الله بصّروه ودلوه بقاؤهم في العباد نعمة ورحمة، وقبضهم وموتهم عذاب ونقمة.

فالعلماء العاملون أشهدهم الله تعالى على نفسه، وعطَفَهم على ملائكة قُدْسه، ونصبهم حجّة على جنه وإنسه، فقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

العلماء المخلصون من اقتدى بهم اهتدى، ومن ضل عنهم اعتلّ وزلّ.

العلماء الأجلاء هم ورثة الأنبياء، ورثوا أعظم إرث من أعظم موروث، قال

الصادق المصدوق: «العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورّثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظٍّ وافر»[رواه أبو داود رقم (٣٦٤١، ٣٦٤٢)، في العلم، باب الحث على طلب العلم، والترمذي رقم (٢٦٨٣، ٢٦٨٤)، في العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، وهو في صحيح الجامع حديث رقم (٦٢٩٧)].

العلماء المعلمون، العلماء الدعاة إلى الله، العلماء الربانيون هم خير الناس، قال -ﷺ-: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» [البخاري ومسلم].

إن الناس يشتركون في الموت على حدّ سواء، لكن بينهم في الذكر كما بين الأرض والسماء، وللعلماء الربانيين بعد وفاتهم أحسن الذكر وأطيبه، إننا نذكرهم أكثر من ذكر الآباء والأجداد، نذكرهم فنترحم عليهم وندعو لهم، وما ذلك إلا لما حملوه من الفضل وخلّفوه من العلم؛ قال المصطفى: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» [مسلم] هم في حياتهم عند أهل الجهل أموات، وبعد وفاتهم عند أهل العلم أحياء.

العلماء هم أرفع الناس درجات قال الله جل وعلا: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١] فلله درهم وعليه أجرهم ما أحسن أثرهم وأجمل ذكرهم، رفعهم الله بالعلم وزينهم بالحلم، بهم يعرف الحلال من الحرام والحق من الباطل، حياتهم غنيمة وموتهم مصيبة، يُذكرون الغافل، ويُعَلّمون الجاهل، جميع الخلق إلى علمهم محتاج، هم سراج العباد، ومنار البلاد، وقوام الأمة، وينابيع الحكمة، هم غيظ الشيطان، بهم تحيا قلوب أهل الحق وتموت قلوب أهل الزيغ، مثلهم في الأرض كمثل النجوم في

السماء يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، إذا انطمست النجوم تحيروا، وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا.

دخل الخليفة عبد الملك بن مروان المسجد الحرام يطوف بالبيت هو وابنيه ثم جاء ليسأل عالم مكة وهو عطاء بن أبي رباح، فجلس بين يديه يسأله وهو يجيب. ثم لما انصرف الخليفة قال لولديه: « يَا بَنِيَّ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنْ كُنْتُمْ سَادَةً فُقْتُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ وَسَطًا سُدْتُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ سُوقَةً عِشْتُمْ. »[أدب الدنيا والدين:٣٦].

وعطاء -رحمه الله- كان عبداً أسود أفطس مفلفل الشعر، كان أبوه عبداً من العبيد، ولكن رفع الله عطاء بهذا العلم حتى صار الخليفة يأتي إليه ويجلس بين يديه يستفتيه. وهكذا يرفع الله بالعلم أقواماً ويضع آخرين.

إن من أمارات الساعة أن يُرفع العلم، ويفشو الجهل، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، وما رفْعُ العلم بانتزاعه من صدور أهله، وإنما بموتهم، قال: «**إن الله لا يقبض العلم ينتزعه انتزاعاً من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**» [صحيح البخاري (١٠٠)، صحيح مسلم (٢٦٧٣) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما]، وقال عبد الله بن كعب- رحمه الله-: «**عليكم بالعلم قبل أن يقبض، وقبضه ذهاب أهله**» [رواه ابن عبد البر في جامع العلم (١/ ٥٩٦) [١٠٢٤].

يقول علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- «**الناس ثلاثة: فعالمٌ رباني، ومتعلمٌ على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت**

تحرس المال، العلم يزكو بالإنفاق والمال تنقصه النفقة، مات خزّان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة»[إحياء علوم الدين للغزالي (١/ ١٧، ١٨)] .

حقوق العلماء

إن الله تعالى قد فرض لأهل العلم الراسخين والأئمة المرضيين حقوقاً واجبة وفروضا لازمة من أهمها:

أولاً: محبتهم وموالاتهم وذلك أنه يجب على المؤمن محبة المؤمنين وموالاتهم فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، قال ابن تيمية -رحمه الله-: « يجب على المسلمين بعد موالاة الله ورسوله، موالاة المؤمنين كما نطق به القرآن خصوصاً العلماء الذين هم ورثة الأنبياء »[رفع الملام عن الأئمة الأعلام، له: ص ٣].

أي جمالٍ للدنيا إذا قل فيها علماؤها، وندر فيها عُبادها وبقي فيها طلابها ومحبوها وعاشقوها؟ !

فمن يُبصِّر الناس بدينهم؟ ومن يذكر الناس بربهم وخالقهم؟ ومن يدلهم إلى طريق ربهم ومعبودهم؟

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها متى يمت عالم منها يمت طرف

كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها وإن أبى عاد في أكنافها التلف

إذا أحب الله عبدًا حبّب إلى قلبه أولياءه العلماء فأحبهم في الله ودعا لهم واعتقد فضلهم وكان خير معين لهم.

حُب العلماء طاعة وقربة وإيمان بالله وحُسبة. نحبهم لكتاب الله الذي حفظوه ولسنة رسول الله التي وعوها وعلموها ودعوا إليها. نحبهم للدين نحبهم

لسمت الأخيار وشعار الصالحين. نحبهم لعظيم بلائهم على الأمة وما قدموا من خير لها فاللهم عظم أجورهم وثقل في الآخرة موازينهم.

إذا أحبّ الله عبدًا من عباده حبّب إلى قلبه العلماء، ومن أَحبَّ قومًا حُشر معهم. جاء رجل إلى رسول الله -ﷺ- فقال: يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم ـ أي ليس عنده كثير صلاة ولا صلاح ولا صيام يحب الصالحين وليس عنده كثيرٌ من الصلاح ويحب العلماء وليس عنده العلم، يحب القوم ولما يلحق بهم فقال: «المرء مع من أحب»[أخرجه البخاري، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب/ باب المرء مع من أحب (١٦/ ١٨٨) عن ابن مسعود.].

من أحب العلماء حُشر مع الأتقياء السعداء: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء: ٦٩].

فحُب أهل العلم والدين قُربة وطاعة فإذا رأيتم الرجل يذكر أهل العلم بالجميل ويُحبهم ويقتدي بهم فأمَّلوا فيه الخير، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

ومن حقوق أهل العلم ثانياً: احترامهم وتوقيرهم وإجلالهم لأنه من إجلال الله تعالى وتوقيره. واعملوا بمثل قول المصطفى -ﷺ-: «إن من إجلال الله ـ تعالى ـ، إكرامَ ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن، غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط» [رواه أبو داود].

ومن حقوقهم ثالثاً: الذب عن أعراضهم وعدم الطعن فيهم فإن الطعن في العلماء العاملين والأئمة المهديين طعن في الدين وإيذاء لأولياء الله الصالحين،

ومجلبة لغضب الله رب العاملين الذي قال كما في الحديث القدسي: «**من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب**» [رواه البخاري].

ولله در من قال: «**من سل لسانه في العلماء بالسب ابتلاه الله في آخر عمره بموت القلب**».

كم شاهد الناس عِبَراً وقصصاً متواترة في من اعتدوا على العلماء والصالحين في أعراضهم أو آذوهم كيف انتقم الله لأوليائه.

من أعظم وأشد علامة على الزيغ وسوء النية، وخبث الطوية تكفير الأئمة والطعن في العلماء حاضرهم وسالفهم، فإذا رأيت الرجل هذا حاله ففر منه كما تفر من المجذوم، فإن من هذا حاله فهو خبيث الطوية، سيئ النية والمقصد.

تكذيب العلماء

ومِن المؤلم والمؤسف أن يُكذّب العلماء الربانيون، وتُنسف أقوالهم وتُترك فتاواهم، ويُصدق الجهَلة الصغار ما شموا رائحة العلم ولا ذاقوا حلاوته، يفتلون عضلاتهم أمام جهابذة من كبار علماء الشريعة ومفكريها، الذين أفنوا عشرات السنين في تعلُّم العلم وتعليمه، وتأليف الكتب فيه والدعوة إلى الله، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولله الأمر من قبل ومن بعد، لكنها سننٌ إلهية جارية، وأقدار ربانية محكمة، وفتن مميّزة ممحصة، ليتبين الصادق من الكاذب، ويتميز الخبيث من الطيب، ويذهب الزبد جفاء غير مأسوف عليه، ولا يبقى في الأرض إلا ما ينفع الناس: ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾ [الرعد: ١٧]

نَعَمْ يتدافع الحق والباطل، ويتصارع الصدق والكذب، ويتبارى الخير

والشر، ويتكلم المؤمنون ويتشدق المنافقون، ويُدلي العلماء بالأدلة الناصعة والحجج الدامغة، ويُلقي السفهاء بالشبهات الفاسدة والتلبيسات الواهية،

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥﴾[الأنعام: ١٢٥]

أسأل الله أن يوفقنا لطاعته، وأن يجنبنا معصيته، ، إنه خير مسؤول، وصلى الله وسلم على الرسول وعلى آله وصحبه أجمعين.

حقوق العلماء (٢)

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ولي الصالحين وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

لا زلنا مع حقوق العلماء.

العلماء العاملين الصادعين بالحق مكانتهم في القلوب رفيعة، وحقوقهم في الإسلام محفوظة.

فهم أُولي الأمر. . وهم القادة. . وهم الأمناء على دين الله في الأرض. . وهم الطليعة النخبة الذين يتقدمون الأمة في ميادين الجهاد والصدع بالحق. . ونحو كل خير، وهم الطائفة المنصورة الظاهرة بالحق لا يضرُّهم من خالفهم ولا من خذَلهم. . لذا فلهم من الأمة التوقير، والاحترام، والإكرام، والإجلال.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

فهؤلاء بشهادة الله تعالى لا أحد أحسنَ منهم ديناً، ولا أجراً، ولا مكانة ولا مقاماً. . وأحسن من دعا إلى الله وعمل صالحاً، وقام بواجب الدعوة إلى الله تعالى. . هم الأنبياء والرسل صلوات ربي وسلامه عليهم. . وبعد الأنبياء والرسل العلماء فهم ورثة الأنبياء.

إن الله جل جلاله لما رفع منزلة العلماء جعل غيبة كل المسلمين كبيرة من كبائر

الذنوب، فإن الله جل جلاله قال: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢].

فجعل الغيبة من جنس أكل الميتة، وأكل الميتة كبيرة من الكبائر، فكيف بغيبة المؤمنين، فكيف بصحابة رسول الله -ﷺ-، بل وكيف بغيبة العلماء الذين يُعلّمون الكتاب والسنة ويُبصّرون أهل العمى.

ومن حقوق علماء الشريعة: رابعاً طاعتهم فيما يأمرون من الدين فإن الله تعالى قد أمر بطاعتهم في محكم التنزيل يقول جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء:٥٩]

وأولوا الأمر هم العلماء بالشرع والأمراء في الخلق فالعلماء يُطاعون فيما يرجع إليهم من العلم والدين، والرجوع إليهم فيما يشكل على الناس من أمر الدين، قال جل وعلا: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل:٤٣].

فإلى العلماء الرجوع عند التباس الأمر وخفائه، فما حكموا به فهو المقبول المسموع إذ أن كتاب الله عُدّتهم والسنة حُجّتهم ورسول الله قدوتهم. قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩]

ومن حقوق العلماء خامساً الحرص على مجالسهم، والحرص على مواعظهم، والحرص على دعوتهم والعمل بما يقولون، قال -ﷺ- وهو يُبين فضل العلماء

حينما ذكر رجلاً كثير الذنوب مر على قوم صالحين وقد اجتمعوا في حلقة علم فجلس معهم يذكر الله وعنده ذنوب وعيوب فصعدت الملائكة إلى ربها فأخبرته بما كان من شأن هؤلاء القوم فقال الله: «**وله قد غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليس**» [أخرجه البخاري في كتاب الدعوات/ باب فضل ذكر الله عز وجل (١١/ ٢١٢) فتح، عن أبي هريرة.]. فمن علامات توفيق الله للعبد حرصه وحبه وحضوره لمجالس العلم والعلماء .

هناك فئة من الناس تنفر من المواعظ وتهرب من مجالس الذكر ولا تقر لها قرار إن سمعت قال الله وقال رسوله -ﷺ-.

الله تعالى شبّههم الله تعالى بالحمُر نعم حمُر قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ [المدثر: ٥١]

ومن حقوق العلماء سادساً: الدعاء لهم والترحم على أمواتهم وذكرهم بالجميل، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

أيها الأحباب: ما أحوجنا إلى الأدب مع العلماء وهم يتكلمون ويحدثون ويفتون، نصغي إلى هذه المشاعل وهذه الكلمات النيرة والمواعظ البليغة من كتاب الله وسنة رسول الله.

ما أحوجنا إلى التأدب مع العلماء في كل كلمة يقولونها وفي كل حكمة يعلمونها ما دامت من كتاب الله جل جلاله وسنة رسوله -ﷺ-.

ومن حقوق العلماء ومن أجلّ حقوقهم سابعاً: إظهارهم ونشر فضائلهم ومحاسنهم وصرف الجيل إلى محبتهم والاستماع إليهم، وإنه لمن الخطأ بمكان أن يعرف الأبناء رموز الخنا والسفاهة ويجهلوا علماءهم الذين هم أمنة الأمة ورعاتها وحراسها، وهم الذين يذودون عنها ويمنعونها من أيدي السفهاء والعابثين. فلو سألت بعض شبابنا عن عالم من علماء الأمة والسلف الصالح لقال لك لا أدري ولو سألتهم عن لاعب أو ممثل أو مغني فأبشر بالجواب عن حياته، وما يلبس وما يحب وما يكره.

ومن حقوق العلماء علينا ثامناً زيارتهم والالتفاف حولهم والسؤال عنهم، فإنهم بضخامة أعبائهم أحوج ما يكونون إلى المؤازرة والمساعدة والحماس والتشجيع وتذكيرهم بعظم واجبهم، وأن عليهم مسؤولية كبرى، عليهم حفظها وتبليغها والصبر عليها.

إن حاجتنا إلى العلماء فوق كل حاجة فهم والله مصابيح الدجى وعلامات الهدى.

فلولاهمُ كانت ظلاماً بأهلها ولكن همُ فيها بدورٌ وأنجمُ

فالعلماء في الناس كالشمس للدنيا والعافية في الناس فما لهم من خلف ولا عنهم من عوض فالناس لا يعرفون كيف يعبد الله إلا ببقاء العلماء، فإذا مات العلماء تحيّر الناس ودرس العلم بموتهم وظهر الجهل، ففي صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى**

إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهّالاً فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»

[متفق عليه].

ومن حقوق العلماء تاسعاً عذرهم عند الخطأ فالعلماء ليسوا معصومين، فليس هناك معصوم إلا الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، أما العالم فليس بمعصوم.

فقد يأتي بمسألة يظن أنها صحيحة وهي غير صائبة، ولكنه قد اجتهد في تحريرها، وبحث أدلتها.

أفنبطل جهوده وعدالته؟

والرسول -ﷺ- يقول: «إذا اجتهد الحاكم العالم وأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد» [المتفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو].

ولابن تيمية رسالة بديعة اسمها: (رفع الملام عن الأئمة الأعلام)، وقد عذر فيها أهل العلم في مسائل الفروع المختلف فيها، ومن إعذارهم أن لا يكون الدليل قد بلغ العالم أو أن يكون الدليل غير ثابت عنده.

وهناك فئة من الناس يجنحون إلى الإفراط والغلو في الطاعة والولاء والتقديس لعلمائهم. . وعلى حساب الحق. . فلا يقبل أن يُقال في شيخه. . أو عالمه أو الداعية الذي يهواه. . نقداً. . ولا نصحاً. . ولا توجيهاً. . ولا أن يُقال عنه أخطأ والصواب كذا. . فشيخه ـ في نظره ـ فوق النص. . وفوق المساءلة والمحاسبة أو أن يُقال له أخطأت!

وهو ما إن يسمع أي نقدٍ أو توجيه أو نصح ـ وإن كان حقاً ـ يقال عن شيخه

أو لشيخه الذي يهواه. . إلا وتراه يرتجف. . ويزبد. . ويصيح. . وتنتفخ أوداجه. . ويفجر في الخلاف والخصام. . ويكلمك عن ضرورة احترام العلماء. . وعن اللحوم المسمومة. . !

لا بد من أن يُقال للعالم أصبت فيما قد أصاب فيه ووافق الحق، وأخطأت فيما قد أخطأ فيه وخالف الحق. .

فديننا قائم على النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما في الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: « **الدين النصيحة** » **قلنا: لمن؟ قال:** « **لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم** » [رواه مسلم].

إن إجلال واحترام وإكرام العلماء يتفاضل ويزيد وينقص بحسب قِدم السيرة العلمية، والدعوية، والجهادية لكل عالم؛ فحق العالم العامل المجاهد أعظم وأغلظ من حق العالم القاعد عن الجهاد. . ولكل فضله. . وكذلك من كان له السبق في الدعوة إلى الله تعالى والجهاد في سبيله. . فله زيادة حق وفضل على من كان حديث عهد مع العلم والدعوة إلى الله تعالى والجهاد في سبيله. . والنصوص الشرعية قد دلت على ذلك.

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد: ١٠]، فميّز الله تعالى ـ من حيث الأجر والمثوبة والدرجة ـ بين من آمن وأنفق وقاتل في سبيل الله قبل فتح مكة ـ فهؤلاء أعظم أجراً وأرفع مكانة ـ وبين من آمن وأنفق وقاتل في سبيل الله بعد فتح مكة، وكلاً وعد اللهُ الجنة.

وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النساء: ٩٥]. فالآية صريحة في تفضيل المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين من المؤمنين.

وفي الحديث المتفق عليه، عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-، قال: كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: « لا تسبوا أحداً من أصحابي؛ فلو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً، ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه ». وهناك عالم ونحن هنا نسميه عالماً تجاوزاً ـ بلغ به طغيانه وانحرافه درجة أن يكون ركناً من أركان أنظمة الحكم والكفر. . وبوقاً من أبواق الطواغيت الظالمين يبرر لهم كفرهم وطغيانهم، وظلمهم. . ورضي لنفسه أن يكون بيدهم تلك الأداة والعصاة التي يؤدبون بها الشعوب المقهورة المغلوب على أمرها. . ويمنعون بها أي عمل جاد يستهدف استنهاض الأمة، واستئناف حياة إسلامية من جديد. . وما أكثر علماء السوء هؤلاء في زماننا! فتاواهم جاهزة لأي طارئ فتاوى مدفوعة الأجر مسبقاً.

فهؤلاء لا غيبة لهم ولا حرمة. .

هؤلاء علماء السوء والضلالة. . والشقاق والنفاق. . هم السبب الأكبر في انتكاسة الأمة واستعلاء أنظمة الكفر على سدة الحكم في بلاد المسلمين. . لعنهم جائز بنص الكتاب. . وهم يدخلون دخولاً كلياً في الملعونين الوارد ذكرهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ

فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ [البقرة: ١٥٩]. هذا جزاء من يكتم العلم فقط، فكيف بمن يضم إلى كتمان العلم نصرة الطواغيت الظالمين على المسلمين الموحدين. . وتزيين الباطل والحرام في أعين الناس؟ !

وهم كذلك مثلهم وسلفهم في القرآن مثل ذاك الشيخ العالم " بلعام " الذي انسلخ من آيات الله بعد أن آتاه اللهُ إياها، بدعاء قاله للكافرين على المسلمين الموحدين، كما قال تعالى عنه: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۖ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۡۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦]. وما أكثر بلاعمة العصر ـ في زماننا ـ الذين مثلهم مثل الكلب: ﴿ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۡ ﴾ الذين يخلُدون إلى الأرض، والفُتات الذي يُرمى لهم على العتبات من قبل الطواغيت الظالمين. . ويتسمون بالدعاة والعلماء! !

وفي الحديث فقد صح عن النبي- ﷺ- أنه قال: « اسمعوا هل سمعتم أنه سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدَّقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولستُ منه، وليس بواردٍ علي الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يُعنهم على ظلمهم، ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني وأنا منه، وهو واردٌ علي الحوض »[قال الهيثمي: رواه أحمد و الطبراني في الكبير والأوسط وأحمد أسانيد البزار رجال الصحيح ورجال أحمد كذلك - مجمع الزوائد (٥/ ٢٤٨).] .

هذا فيمن يدخل على أئمة الجور من المسلمين فيصدقهم بكذبهم، فكيف بمن يدخل على أئمة الكفر والظلم والطغيان فيصدقهم بكفرهم وكذبهم. . ؟ !

اللهم ارحمنا رحمةً اهد بها قلوبنا، اللهم اختم لنا بخيراً اللهم اختم لنا بخيراً اللهم اجعل خير أعمالنا أواخرها وخير أعمارنا خواتمها وخير أيامنا يوم لقائك اللهم اجعل أسعد اللحظات وأعزها لحظة الوقوف بين يديك برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم ارحم كبارنا ووفق للخير صغارنا وخذ بنواصينا لما يرضيك عنا. . .

الحمد لله، تفرّد عزًّا وكمالاً، واختصّ بهاءً وجمالاً وجلالاً، أحمده سبحانه وأشكره، تقدّس وتنزّه وتبارك وتعالى، وأسأله جلّ في علاه صلاحَ الشّأن كلّه حالاً ومآلاً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، أمرنا بعبادته وطاعته غدوًّا وآصالاً، وحذّرنا مغبّةَ التفريط لهوًا وإغفالاً، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمّدًا عبد الله ورسوله أزكى الورَى خِصالاً، وأسنَى البريّة خِلالاً، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين بلغوا من السّؤدَد ذُراه، وتفيّؤوا من المجد ظلالاً، والتّابعين ومن تبِعهم بإحسانٍ إلى يوم الدّين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

وبعد. . . .

لا زلنا مع سلسلة الحقوق في الإسلام، وقفنا مع حقوق الإنسان في الإسلام، حقوق الزوجين، حقوق الأيتام في الإسلام، حقوق الكبار في الإسلام، حقوق المرأة في الإسلام، واليوم نقف مع حقوق الميت في الإسلام، هل للميت حقوق في الإسلام؟ نعم.

إن كثيراً من الأولياء والورثة إذا نزل قضاء الله بميتهم احتاروا وترددوا، وبعضهم لا يعلم ماذا يفعل في مثل هذه الأحوال.

فما هي حقوق الميت على ورثته وأوليائه؟ وكل منا سيقف ذلك الموقف حين يشاء الله.

اللهم إنا نسألك الميتة الحسنة والشهادة في سبيل الله بعد طول عمر وحُسن

عمل.

عند الاحتضار

ينبغي للمسلم إذا أشرف على الموت أن يحسن الظن بالله من أنه سيرحمه ولا يُعذبه ويغفر له وأنه واسع المغفرة ورحمته وسعت كل شيء.

ففي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم مما قاله وهو يموت: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى».

والله عند حسن ظن عبده به، وليُعلم المسلم أنه إذا حانت أمارات الموت ودنا الموت أنه سيُقدم على رب حليم رحيم كريم، وأن الله سبحانه أرحم به من أهله وألطف به من خلقه، وعليه أن يُقبل مجيبًا داعي الله بقلب مطمئن ونفس منشرحة، مشتاق أشد من شوق الحبيب إلى حبيبه.

وينبغي للمسلم إذا عاين احتضار أخيه أن يُلقنه كلمة الإخلاص فيقول لا اله إلا الله، يُذكّره بها حتى يذكرها ويقولها، فإذا قالها كُف عنه وهذا التلقين رجاء أن يكون آخر كلامه لا اله إلا الله فيدخل الجنة فقد قال النبي -ﷺ-: «من كان آخر كلامه من الدنيا: لا إله إلا الله، دخل الجنة»[أخرجه أبو داوود في سننه كتاب الجنائز باب في التلقين ٣/ ١٩٠.].

وينبغي أن يوجه المحتضر وهو الذي ظهرت عليه علامات الموت إلى القبلة مضطجعا على شقه الأيمن، وان اشتدت عليه سكرات الموت قرئت عليه سورة يس رجاء أن يخفّف عليه ببركتها لقوله لما روي أنه -ﷺ- قال:

«ما من ميت يقرأ عند رأسه سورة { يس } إلا هوّن الله تعالى عليه»، وفي سنده ضعف، ولكنها رسالة أن القرآن ما أُنزل لقراءته على الأموات وبدء

الاحتفالات فقط، إنما أُنزل ليحكم في الناس وليدّبروا آياته فقد قال تعالى في سورة يس عن هذا القرآن: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [يس: ٧٠].

إذا نزل قضاء الله، فإنه لا بد من صيانة الميت، وجاءت الشريعة بإغماض عينيه، وستره وأن لا يقال عنده إلا كل خير اللهم اغفر له اللهم ارحمه لحديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: « دخل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على أبي سلمة، وقد شق بصره، فأغمضه ثم قال: **إن الروح إذا قبض تبعه البصر، فضج ناس من أهله فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فان الملائكة يؤمنون على ما تقولون، ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونور له فيه** ». [أخرجه مسلم وأحمد (٦ / ٢٩٧) والبيهقي (٣ / ٣٣٤)].

ما بعد الوفاة

ما بعد الوفاة يستحب أن تُعلن وفاة المسلم في أقربائه وأصدقائه والصالحين من أهل بلده ليحضروا جنازته فقد جاء عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: « **أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه**».

ونعى زيداً وجعفراً وعبد الله بن رواحه لما استشهدوا في مؤتة، وأما النعي المنهي عنه ما كان في الشوارع وعلى أبواب المساجد بصوت مرتفع وصياح فهذا منهي عنه شرعا.

تحريم النياحة

ومن حقوق الأموات تحريم النياحة عليهم وهي رفع الصوت بالندب

بتعديد شمائل الميت، وهذا من أجهل الجهل؛ لأن فيه اعتراضا على القدر وعدم التسليم بقضاء الله، وأكثر من يقوم بالنياحة النساء في المآتم، فإنهن يولولن ويصرخن بذكر محاسن الميت؛ كونه صغيرا وطيبا إلى غير ذلك من صفات، وكأنهن يعترضن على الله ولسان حالهن يقول: لماذا ـ يا رب ـ تقبض روح هذا الرجل الطيب أو صغير السن؟ ! إلى آخر هذه الاعتراضات على رب الأرض والسماوات.

ففي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**النياحة من أمر الجاهلية، وإن النائحة إذا ماتت ولم تتب قطع الله لها ثيابا من قطران ودرعا من لهب النار**».

قال -صلى الله عليه وسلم-: «**وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه**» وفي رواية: « **الميت يُعذّب في قبره بما نِيح عليه** ». [أخرجه الشيخان وأحمد من حديث ابن عمر، والرواية الأخرى لمسلم وأحمد ورواه ابن حبان في صحيحه (٧٤٢) من حديث عمران بن حصين] يعني: النوح والندب بما ليس فيه، وأما دمع العين والبكاء الطبيعي المحمود الذي لا يكون فيه نوح ولا تكلف فهذا محمود.

وبكاء ودمع النبي -صلى الله عليه وسلم- على ابنه إبراهيم معلوم ومعروف حينما ذرفت عيناه بالدموع وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**إن العين تدمع، وإن القلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون**» [أخرجه البخاري ومسلم].

وقد روي أن امرأة مات عنها زوجها فظلّت أيام تبكي عليه فوق قبره كل يوم تأتي إلى قبره تبكي عليه. فمر عليها أحد جيرانهم فعرفها فقال: «**يا أَمَة الله اتق الله واصبري واحتسبي** ». ثم قال لها علمي بحالكم أنت وزوجك في شجار

دائم واختلاف وشحناء فكيف جاء الحب بعد الموت فقالت: علمت أن النبي -ﷺ- قال: « إن الميت يُعذّب ببكاء أهله عليه »[متفق عليه]، فأردت أن أُعذبه في قبره بعد موته. . ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الإحداد

نهى النبيّ -ﷺ- المرأةَ عن الإحدادِ أكثرَ من ثلاثةِ أيام إلاَّ على الزوجِ أربعةَ أشهر وعشرًا، أما غيرُ زوجها من أبيها أو أخيها أو ولدها فإنَّها لو أرادَت أن تحادَّ وتجتنب الزينة فلا تزيدُ على ثلاثة أيام.

توفِّي أبو سفيان أبو أمِّ حبيبة زوج النبيِّ -ﷺ-، فلمّا مضى عليها ثلاثةُ أيام دعَت بصُفرةٍ يعني: زعفران أو غيره، فوضعت في يدَيها وقالت: ما لي بالطيبِ شأنٌ، ولكن سمعتُ رسول الله -ﷺ- يقول: «لا يحلُّ لامرأةٍ تؤمنُ بالله واليوم الآخر أن تحادَّ على ميِّت فوقَ ثلاثٍ إلاَّ على زوج أربعةَ أشهر وعشرا»[رواه البخاري].

كم نرى ونسمع من نساء يحدن ويحزن ويلبسن ملابس الحزن ويتركن الزينة فوق الشهر والشهرين والثلاثة لموت أب أو أخ أو ابن وهذا لا يجوز شرعا.

هذه سنّةُ رسول الله، فاعمَلي بها أيتها المرأة المسلمة، والتزِمي بأحكام الله، ففيها السعادةُ لك في الدنيا والآخرة.

تغسيل الميت

ومن حقوق الميت المبادرة بتغسيله إذا مات صغيراً أو كبيراً وجب تغسيله والذي لا يُغسل من موتى المسلمين هو شهيد المعركة الذي سقط شهيداً بأيدي الكفار في ميدان الجهاد في سبيل الله لقوله -ﷺ-: «لا تُغسلوهم، فإن كل جرح يفوح مسكا يوم القيامة »[رواه أحمد في مسنده ج٣/ ص٢٩٩ ح١٤٢٢٥]. وعن عبد الله بن الزبير في قصة أُحد واستشهاد حنظلة بن أبي عامر، قال:

قال رسول الله -ﷺ-: « إن صاحبكم تُغسّله الملائكة، فاسألوا صاحبته »،

فقالت زوجته: خرج وهو جُنُب لما سمع داع الجهاد، فقال رسول الله -ﷺ-: « **لذلك غسّلته الملائكة** ». [أخرجه ابن حبان في " صحيحه " والحاكم (٣ / ٢٠٤) والبيهقي (٤ / ١٥)]

وأولى الناس بغسل الميت وصيه الذي أوصى له الميت، فقد يوصي ألا يغسله إلا فلان فيقوم عليه، ثم أولياؤه لأنهم أشد شفقة وأعلم بالميت، ثم الأقرب فالأقرب.

يُستحب أن يُختار من المغسلين أهل الصلاح والأمانة والتقوى ليستروا ما يروا من الميت.

تكفينه

ومن حقوق الميت تكفينه ويستحب أن يكون الكفن أبيضاً نظيفًا لقول النبيِّ -ﷺ- فيما صحَّ عنه: «**عليكم بالبياض من الثياب، ليلبسها أحياؤكم، وكفّنوا فيها موتاكم، فإنَّها من خير ثيابكم**»[(صحيح) انظر حديث رقم: ٤٠٦٢ في صحيح الجامع]

إلا المحرم فإنه يكفن في إحرامه ردائه وإزاره فقط ولا يُطيّب ولا يُغطّى رأسه إبقاءً على إحرامه عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلا كان محرماً مع رسول الله -ﷺ- فوقصته ناقته فمات فقال رسول الله -ﷺ-:

«**اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه ولا تخمروا رأسه ولا تمسوه طيبا فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا**» [متفق عليه]اللهم أحسن ختامنا يارب العالمين.

الصلاة عليه

ومن حقوق الميت الصلاة عليه فمما يخفف عن الميت ذنوبه وأوزاره كثرة المصلين عليه خاصة إذا كانوا من أهل الصلاح فقد يفوز بدعوة صالحة خالصة خاشعة من احد المصليين عليه يقولون: اللهم اغفر له اللهم ارحمه.

الإسراع بالجنازة

ومن حقوق الميت الإسراع بالجنازة وتشييعها والخروج معها لقوله -ﷺ- عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-:

«عودوا المرضى واتبعوا الجنائز تذكركم الآخرة»[رواه الإمام أحمد]

وقوله -ﷺ-: «أسرعوا بالجنازة فإن تكُ صالحة فخير تقدمونها، وإن تكن غير ذلك فشر تضعونه عن رقابكم »[أخرجه الشيخان، والسياق لمسلم، وأصحاب السنن الأربعة، وصححه الترمذي وأحمد].

العجلة من الشيطان إلا في خمس: التوبة من الذنب إذا أذنب، وإطعام الطعام إذا حضر الضيف، وتجهيز الميت إذا مات، وتزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدين إذا وجب.

يُكره لأهل الميت

ويُكره لأهل الميت أن يصنعوا الطعام للناس، وهذه كراهة تحريمية، فجمع الناس على العزاء، وصنع الطعام نياحة وإثم، لما جاء عن أصحاب رسول الله -ﷺ- قالوا: «كنا نعد صنع الطعام والاجتماع لأهل الميت من النياحة»[رواه ابن ماجه١٦١٢]، فلا يجوز إذاً جمع الناس في العزاء على الطعام، وهذا مما عمّت به البلوى بين الناس فبدلاً أن يواسى أهل الميت ويُصنع لهم طعاما يقيمون الولائم والطعام للناس بل منهم من يستدين من اجل ذلك.

ولا بأس أن يطعم معهم من نزل عليهم ضيفاً من أقربائهم الذين جاءوا من الأماكن المختلفة يشاطرونهم المصيبة، فلا بأس أن يطعموا معهم؛ لأن هذا طعام ضيف وليس بطعام عزاء، أما جمع عامة الناس على طعام العزاء فهو من النياحة وهو بدعة محرمة، ولما أوحي إلى النبي -ﷺ- بخبر مقتل جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنه- قام فقال: «اصنعوا لآل جعفر طعاماً فإنه قد جاءهم ما يشغلهم»[رواه الترمذي واحمد].

أسأل الله بمنه وكرمه أن يقوي إيماننا وأن يرفع درجاتنا إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

حقوق الميّت (٢)

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدّره تقديرا، أحمده تعالى وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، ييسِّر عسيراً، ويجبر كسيراً، وكان ربُّك بصيرا، سبحانه وبحمده، جعل الليل والنهار خلفةً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدّخرها ليوم كان شره مستطيراً، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله بعثه بالحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فصلوات الله وبركاته عليه، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد. . . .

لا زلنا مع حقوق الميت. ومن حقوقه:

قضاء ما عليه

ومن حقوق الميت زكاة لم يؤدها فإنهم يخرجونها من تركته، وكذلك إذا مات وعليه نذر صيام صاموا عنه، والراجح أيضاً ما تركه من قضاء رمضان وهو يقدر عليه، وقد جاء رجل النبي -ﷺ- فقال: يا رسول الله إن أمي ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها؟ قال: «**نعم دين الله أحق أن يُقضى**»[رواه البخاري١٩٥٣ ومسلم١١٤٨]

وقالت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله -ﷺ-: «**من مات وعليه صيام صام عنه وليُّه**»[رواه البخاري١٩٥٢ ومسلم١١٤٧].

وكذلك من مات ولم يحج حج عنه أولياؤه، كما قال عليه الصلاة والسلام

لرجل أتاه يقول: إن أبي مات ولم يحج أفأحج عنه؟ قال-ﷺ-: «أرأيت لو كان على أبيك دين أكنت قاضيه؟ » قال: نعم، قال: «فدين الله أحق»[رواه النسائي٢٦٣٩]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن امرأة من جُهينة جاءت إلى النبي -ﷺ- فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فماتت قبل أن تحج أفأحج عنها؟ قال: «نعم حجي عنها أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ » قال: نعم، فقال: «اقضوا الله الذي له فإن الله أحق بالوفاء»[رواه البخاري١٨٥٢].

ومن كرم الله وجوده أن جعل حج الورثة عن الميت كحجه عن نفسه، ولا بأس أن يحجوا عنه نافلة، أو يعتمروا نافلة، إذا حجوا عن أنفسهم واعتمروا.

ومن مات وعليه نذر، أو كفارة يمين، أو نحو ذلك من الكفارات فإن من الإحسان إلى الميت أن يقوم ورثته بقضاء ذلك.

الله الله في قضاء ديون موتاكم لا تؤخروها فان الشهيد وهو شهيد يغفر له كل شيء إلا الدين، والميت مرهون بدينه.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- أنه قال: «نفس المؤمن معلّقة بدينه حتى يُقْضَى عنه»[رواه أحمد والترمذي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه]، وروي عن أنس -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- أُتي بجنازة ليُصلي عليها قال: «هل عليه دين؟ » قالوا: نعم، فقال النبي-ﷺ-: «إنّ جبريل نهاني أن أصلّي على من عليه دين، فقال: إن صاحب الدين مرتهن في قبره حتى يقضى عنه دينه»، وفي الرواية الأخرى: «فما ينفعكم أن أُصلي على رجل روحه مرتهن في قبره لا تصعد روحه إلى السماء، فلو ضمن رجل دينه قمت فصليت عليه فإن صلاتي تنفعه»[رواه أبو يعلى

والطبراني].

قال جابر -رضي الله عنه-: توفي والدي وعليه دين فاستعنت النبي -صلى الله عليه وسلم- على غرمائه، يعني: على غرماء أبيه من اليهود كي يضعوا عنه شيئاً من دينه، فطلب النبي -صلى الله عليه وسلم- إليهم فلم يفعلوا، فقال لي النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**اذهب فصنّف تمرك أصنافاً ثم أرسل إلي**» ففعلت ثم أرسلت إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فجاء فجلس على أعلاه ثم قال: «**كل**» -بالمكيال- للقوم فكلت لهم حتى أوفيتهم الذي لهم وبقي تمري كأنه لم ينقص منه شيء. [رواه البخاري٢١٢٧].

وقد أوصى الزبير -رضي الله عنه- ابنه عبد الله بذلك فكان عبد الله حريصاً، فقال لما وقف الزبير يوم الجمل: دعاني فقمت إلى جنبه -يعني: أباه- فقال: يا بني إنه لا يُقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني لا أراني إلا سأُقتل اليوم مظلوماً، وإن من أكبر همي لديني أفترى يبقي ديننا من مالنا شيئاً؟ ثم قال: يا بني بع مالنا فاقض ديني وأوصى بالثلث. . " الحديث وفيه: "وله يومئذ تسعة بنين وتسع بنات، قال عبد الله بن الزبير: فجعل يوصيني بدينه ويقول: يا بني إن عجزت عنه في شيء فاستعن عليه بمولاي، قال: فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت: يا أبت من مولاك؟

قال: الله، فقال الزبير -رضي الله عنه-: الله، ثم قُتل فقال عبد الله: فوالله ما وقعت في كُربة من دينه إلا قلت: «**يا مولى الزبير اقض عنه دينه**» فيقضيه.

فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دين أبيه قال بنو الزبير ثمانية عشر نفساً والزوجات: «اقسم بيننا ميراثنا»، قال: لا والله لا أقسم بينكم حتى أنادي

بالموسم الحج أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه، قال: فجعل كل سنة ينادي بالموسم، فلما مضى أربع سنين قسم بينهم » [رواه البخاري٣١٢٩].

ويجب على أولياء الميت وورثته القيام بحقوق الله وحقوق الآدميين، ومن نعمة الله على الإنسان ورحمته أن هيأ له ما ينتفع به بعد موته، فإذا مات ابن آدم انقطع عمله وكف سعيه إلا ما كان من بر يصله وارثه به، وعلى الأقربين والوارثين أن يوافوا ميتهم بما ينفعه من الصالحات من العبادات، والطاعات، والسعي في نفعه، وذلك بوفاء حقوق الله، وحقوق العباد، والإحسان إلى الميت بالدعاء.

وكذلك إذا أوصى أن يُسافر به إلى بلد وفي المكان الذي مات فيه مقبرة للمسلمين يُدفن في مكانه الذي مات فيه، هذه هي السُّنة، ولا يُنقل إلا لحاجة كأن لا يكون في المكان الذي مات فيه مقبرة للمسلمين.

فئةٌ من الناس

إن هناك فئة من الناس لا يرعون حق الميت ولا حُرمة الميت بل جُل همهم المال والدنيا الفانية، ففي دولة من الدول أدخل الناس جنازة، وقبل الصلاة قام أحد الناس وقال: لا تصلوا عليه فإن عليه دين لي ولا تصح صلاتكم حتى يُقضى ما عليه، حاول الناس دون جدوى فجُمع له ماله وصُلّي علي الجنازة، وبعد الصلاة انفض الناس وبقيت الجنازة لوحدها ففتح إمام المسجد وإذا به يرى خشبة وليس هناك ميت.

وفي بلادنا أخرج أناسٌ ميتهم من ثلاجة المستشفى ووضعوه في مؤخرة

السيارة ودخلوا لإكمال المعاملة في المستشفى وجاء سارق وشغّل السيارة وهو لا يعلم أن هناك ميت في السيارة، وتم إبلاغ نقاط الشرطة وفي إحدى النقاط قُبض عليه فقال له الضابط: هل هذه سيارتك؟ قال: نعم. قال الشرطي: وهذا الميت تعرفه قال: أما هذا فلا أعرفه.

الميراث

لو مات المورّث وكان قد أكل مالاً بالباطل، أو ظلم عمالاً، أو غصب شيئاً، أو أخذ مال شريكه بغير حق، فهذا كسْبٌ حرام، على الورثة أن يأخذوا فيه بالحزم والورع، وأن يردوا الحقوق إلى أصحابها قبل أن يأخذوا شيئاً من التركة، فإن لم يعرفوا أصحابها وعرفوا عين المال المحرم تصدقوا به على نية صاحبه.

ولو مات المورّث وكان في ماله شيء من حق أخواته اللاتي حرمهن من ميراث أبيهن مثلاً، فيجب على الورثة إعطاؤه للعمّات.

ولو قسّم هذا الإنسان تركته قبل موته وأعطى الأبناء دون البنات فهو ظالم متعد، لو فضّل بعض أولاده على بعض فهو كذلك ظالم فإذا مات فعلى الأولاد الذين أخذوا أن يسترضوا الأولاد الذين لم يأخذوا.

وأما الميراث فلا يجوز التلاعب به أبداً: قال تعالى: بعد أن ذكر قسمة المواريث: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾. [النساء: ١٣]

ومن العجب أن بعض الناس إذا صار مقبلاً على الآخرة مفارقاً للدنيا يجور

في وصيته، قال ابن القيم رحمه الله: «من أحدث قبل السلام بطل ما مضى من صلاته، ومن أفطر قبل غروب الشمس ذهب صيامه ضائعاً، ومن أساء في آخر عمره لقي ربه بذلك الوجه»[الفوائد:٦٣]، وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: «مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته، قيل: وما هما؟ قال: يؤخذ منه كله ويُسأل عنه كله»[صفة الصفوة:٢/ ٢٩٣].

كما ينبغي للورثة أن يتحللوا ممن كان مورثهم قد أساء إليه بسب، أو شتم، أو غيبة، ونحو ذلك؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه»[رواه البخاري٦٥٣٤]، حتى المعاصي في العرض، حتى الاعتداء بالقول، حتى الاستهزاء والسخرية؛ ولذلك يتعلق الورثة والأولياء بالمظلوم ليقولوا له: سامح صاحبنا.

وصية الميت

إن ما أوصى به الميت مهم جداً، وقد يوصي ببناته أن يزوجهن أحد الورثة أو الأولياء، وقد يوصي أولاده بعدم النياحة فتزداد تحريماً، ويوصيهم بعدم التفرق بعده فيزداد التفرق بين الأشقاء تحريماً، وتزداد قطيعة الرحم تحريماً.

يجب المبادرة إلى تنفيذ وصية المورث؛ لأن الله تعالى قال: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ﴾ [النساء: ١١]، فإذا كان في الوصية مصلحة بينة ولم تشتمل على محرم اتقوا الله فيها ونفذوها كما حددها دون تجاوز، وهم مؤتمنون عليها، لا يصرفوا منها شيئاً بغير حق، ولا يضعوا في غير ما أوصى به الميت، ولا يخالفوا ما ذهب إليه في وصيته، ولا يفوتوا غرضه الذي أراده، وللأسف فإن

كثيراً من الوصايا تتعرض للإهمال والضياع بعد موت الموصي، فإن لم ينفذوا وصيته، أو أساءوا، فالوزر عليهم، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾﴾ [البقرة: ١٨١] ويحرم عليهم كتمان الوصية الشرعية الصادرة عن ميتهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾ [البقرة: ٢٨٣] أظهروها لا تخفوها لأن إخفاءها من أعظم الذنوب؛ لأنه يترتب عليه فوات الحقوق: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾[البقرة: ٢٨٣] يعني: فاجر، قال الله تعالى في الوصايا: ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [المائدة: ١٠٦].

وعن عيسى بن حازم قال: كنت مع إبراهيم بن أدهم بمكة إذ لقيَه قوم فقالوا: آجرك الله مات أبوك، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمه الله، فقالوا: قد أوصى إليك، فقام فسبقهم إلى البلد فأنفذ وصايا أبيه وقسم نصيبه على الورثة وخرج راجعاً إلى مكة.

وعلى الورثة أن يقوموا بتوزيع التركة لأهلها لضمان الحقوق، وخصوصاً النساء الضعيفات، وما يمكنهم أن يوصلوه لمورثهم من الطاعات فإنه يستحب لهم أن يقوموا به؛ لأنه عليه الصلاة والسلام قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[رواه مسلم١٦٣١]، فعمل الميت وثوابه ينقطع إلا في هذه الأشياء لأنها تستمر، ونفعها متصل، وهو السبب فالولد من كسبه، والعلم الذي خلفه من تعليم، أو

تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية، والوقف، وفي هذا ترغيب في الأعمال الصالحة، والصدقة الجارية هي أن يتصدق الإنسان بشيء يستمر نفعه من بعده كالوقف على الفقراء، والمساكين، وطلبة العلم، والدعاة، ونحو ذلك، وطباعة الكتب النافعة للمسلمين، وإصلاح الطرق، وإجراء الأنهار.

الدعاء للميت فأفضل ما يُقدمه الحي للميت الدعاء والصدقة عنه، وبعض العلماء أجازوا قراءة القرآن عنه، والعمرة إلى نيته.

ومن الأعمال **زيارة قبر الميت**، والدعاء له، والترحم عليه، قال عليه الصلاة والسلام: «استأذنت ربي أن أزور قبر أمي فأذن لي»[رواه مسلم٩٧٦]، ولكنه تعالى لم يأذن له بالدعاء لها لأنها ماتت على الشرك.

وكذلك الصدقة عن الميت شأنها عظيم، قال عليه الصلاة والسلام لرجل سأل: إن أمي افتلتت نفسها -يعني ماتت- وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: «نعم»[رواه البخاري١٣٨٨ ومسلم١٠٠٤]

فأكرم بمن وهب، ووصل، وتصدق، وبذل، سعد بن عبادة توفيت أمه وهو غائب عنها فقال: يا رسول الله! إن أمي توفيت وأنا غائب عنها أينفعها شيء إن تصدقت به عنها؟ قال: (نعم)، قال: فإني أشهدك أن حائط المخراف بستاني المثمر صدقة عليها. [رواه البخاري٢٧٥٦]، وقال رجل للنبي -ﷺ-: إن أبي مات وترك مالاً ولم يوص فهل يكفر عنه أن أتصدق عنه؟ قال: «نعم»[رواه مسلم١٦٣٠].

أما صلاة النوافل، وإهداؤها فإن ذلك لا دليل عليه؛ ولذلك فإن الإنسان

يعمل بما ثبت، ويترك ما لم يثبت، وذبح الذبيحة والتصدق بها يصل؛ لأنه من الصدقة، وإشراكه في الأضحية كذلك، الميت يصل إليه الخير.

صلة أقاربه

إن مما ينبغي على الورثة بعد ذهاب ميتهم أن يصلوا أقاربه وأصحابه بعد موته بالزيارة، والإحسان، وأنواع العطاء، وحُسْن العهد من الإيمان.

عن عبد الله بن دينار قال: مر ابن عمر بأعرابي في طريق مكة فقال له: ألست ابن فلان بن فلان؟ فقال الأعرابي: بلى، فأعطاه حماراً وقال: اركب هذا، وأعطاه عمامة وقال: اشدد بها رأسك، فقال بعض أصحاب عبد الله بن عمر لعبد الله بن عمر: غفر الله لك أعطيت هذا الأعرابي حماراً كنت تروح عليه وعمامة كنت تشد بها رأسك. يعني: هؤلاء الأعراب يقنعون بالقليل، أعطيته كل هذا وحرمت نفسك من الفوائد فقال: إني سمعت رسول الله -ﷺ-: «**إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي**» -يعني الأب-، وإن أباه -والد هذا الأعرابي- كان صديقاً لعمر. [رواه مسلم٢٥٥٢].

فاطمة بنت عبد الملك لما تزوجها عمر بن عبد العزيز آثر الآخرة وترك زينة الدنيا، وخيرها بين البقاء معه في عيشته التي اختارها، وبين حياة الترف، فاختارت البقاء معه، وتخلت عن جواهرها، وحليها، وأرسلتها إلى بيت المال، وتحولت من سيدة قصر إلى امرأة تغزل، وتعجن، بلا خدم، ولا حشم، فلما مات زوجها أعاد إليها أخوها الخليفة يزيد بن عبد الملك جواهرها فرفضتها وقالت: «**والله لا أطيعه حياً، وأعصيه ميتاً**».

ولما أراد الوزير ابن الفرات أن يعاقب كاتباً عنده دعاه يوماً فقال له: إن نيتي

فيك سيئة، وكلما أردت أن أعاقبك أراك في المنام وأنت تمنعني برغيف في يدك فما قصة الرغيف؟ فقال له: كانت أمي وأنا صغير تعلمني الصدقة، فتضع رغيفاً تحت وسادتي، وفي الصباح تتصدق به عني، فلما ماتت فعلت ذلك من بعدها، فأنا أتصدق كل يوم برغيف، فعجب منه الوزير وقال: والله لا ينالك مني سوء.

مما يجب على الورثة إذا خلّف ميتهم شيئاً من المحرمات من أدوات سواء كانت أدوات موسيقية، أو صوراً محرمة، أو مقاطع مخزية، أو اشتراك في موقع أو صفحة ترسل صورا ومقاطع حرام، ونحو ذلك، أو أنشأ موقعاً من مواقع الفسق، أو ترك خمراً، أن يتخلصوا من ذلك بأسرع ما يمكن؛ لأن ميّتهم في حرج، قال عليه الصلاة والسلام: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**»[رواه مسلم١٤٢] ولذلك الرعية عليهم إذا مات هذا الراعي الذي كان قد غشهم بعدم النصح لهم، وترك المحرمات في البيت أن يتخلصوا منها مباشرة بعد موته، إذا أرادوا له الراحة والسلامة من شر ما فعل.

«**لا طاعة لمخلوق في معصية الله**»[رواه أحمد في مسنده].فإذا أوصى الميت بوصية فيها حرام فلا تنفذ.

إذا نظروا في كسب مورثهم، فوجدوا فيه الربا الصريح، وأسهم المصارف الربوية، فإنهم يتخلصون من ذلك، ويأخذون رأس المال؛ لأنه حلال عليهم، وكل ما نتج من ربا فإنهم ينفقونه في مصارف الخير.

الموت في المنام

الموت في الرؤيا ندامة من أمر عظيم، فمن رأى أنّه مات ثم عاش، فإنّه

يذنب ذنباً ثم يتوب، لقوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾﴾ [غافر: ١١]

ومن رأى ميتاً معروفاً، مات مرة أُخرى وبكوا عليه من غير صياح ولا نياحة فإنّه يتزوج من عقبه إنسان، ويكون البكاء دليل الفرج فيما بينهم، وقيل من رأى ميتاً مات موتا جديداً، فهو موت إنسان من عقب ذلك الميت وأهل بيته، ومن رأى أنه قد مات والناس يبكون عليه أو غسلوه وكفنوه أو حملوه على النعش أو دفنوه في القبر فجملة ذلك يدل على فساد دينه ويرجى لهذا الميت صلاح دينه ما لم يدفن فإن دفن لقي الله على غير التوبة والله أعلم بالصواب.

وقيل الموت في المنام سفر، الموت في المنام تحسن حال للمؤمن أو زواج.

والميت إذا تكلم لا يقول إلا حقا لأنه في دار حق.

أسأل الله تعالى أن يجعلني من الهداة المهتدين، والصلحاء المصلحين إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله مُستحقِ الحمد بلا انقطاع، ومستوجبِ الشكر بأقصى ما يستطاع، الوهابُ المنان، الرحيم الرحمن، المدعو بكل لسان، المرجو للعفو والإحسان، الذي لا خير إلا منه، ولا فضل إلا من لدنه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الجميل العوائد، الجزيل الفوائد، أكرم مسؤول، وأعظم مأمول، عالم الغيوب مفرّج الكروب، مجيب دعوة المضطر المكروب.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، الوافي عهده، الصادق وعده، ذو الأخلاق الطاهرة، المؤيّد بالمعجزات الظاهرة، والبراهين الباهرة. صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه وتابعيه وأحزابه، صلاة تشرق إشراق البدور.

وبعد. .

جاء الإسلام ووجد الناس يتفاضلون في الخلق والنشأة، ويتميزون في الأحساب والأنساب، ويتقاتلون للحمية والعصبية، ناسين أنهم من أصل واحد ومصدر واحد.

المساواة في الإسلام

إن الإسلام قد حرص كل الحرص على تقرير المساواة بين الناس في القيمة البشرية، و قرر أن الناس سواسية كأسنان المشط، في أصل نشأتهم وتكوينهم، وأنه لا فرق في ذلك بين الذكر والأنثى، ولا بين العربي والأعجمي، ولا بين

الأبيض والأسود، ولا بين السيد والعبد، ولا بين الغني والفقير، لأن هؤلاء جميعا ينحدرون من أصل واحد هو آدم، وآدم من تراب. فالإسلام لا يسمح بقيام نظام طبقي تسيطر فيه طبقة على أخرى، كما لا يسمح بتحكم فئة تدعي لنفسها الاستعلاء بالبيئة أو العنصر أو اللون أو الجاه على الفئات الأخرى، بل إنه ألغى كل سبب يدفع الإنسان إلى الاستعلاء والتحكم في الآخرين فقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١] وفي خطبة حجة الوداع قال -ﷺ-: « **الناس سواسية كأسنان المشط** ».

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣]. هذا إعلام من الرب تبارك وتعالى إلى جميع الناس بأن أصلهم واحد ومرجعهم واحد.

والشعوب أعم من القبائل والقبائل تتشعب إلى فصائل وإلى عشائر وإلى عمائر وإلى أفخاذ وهذا التنوع في الأنساب وفي الألوان وفي الألسنة ومثله التنوع في الطبائع وفي الأخلاق وفي المواهب كل ذلك الهدف منه التعارف والوئام والتعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات وإلا لا تفضيل لجنس على جنس ولا للون على لون، ولا لشعب على شعب، ولا لقبيلة على قبيلة؛ فإن التفاضل لا يرجع إلى الجنس ولا إلى اللون ولا إلى الوطن، ميزان التفاضل واحد هو الإيمان والمؤمن أفضل من الكافر ،المؤمن أعلى من الكافر،

والمسلم أفضل من المشرك ثم المؤمنون فيما بينهم يتفاوتون ويتفاضلون وميزان التفاضل فيما بينهم هو التقوى فأتقاهم لله تعالى هو أكرمهم عنده قال سيدنا رسول الله -ﷺ-: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» [أخرجه مسلم]، وعن حذيفة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «كلكم بنو آدم وآدم من تراب» [سنن الترمذي (٣٩٥٥)]، وإذن الناس جميعاً في أصلهم وفي شرفهم وفي عنصرهم ينتسبون إلى أصل واحد هو الطين والتراب ولذلك لا يتفاوتون في هذا لا يتفاوتون في الأصل ولا في الشرف إنما يتفاوتون في الأمور الدينية في طاعة الله تبارك وتعالى وفي متابعة رسوله -ﷺ- أما تقسيمهم إلى شعوب وإلى قبائل وأما اختلافهم في الأنساب فالمقصود منه التعارف والتآلف روي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- قال: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة للأهل ومثراة للمال ومنسأة للأثر» [مسند أحمد (٢/ ٣٧٤)، سنن الترمذي (١٩٧٩)]، هذا هو المبدأ العظيم الذي جاء به ديننا القويم فكرس مبدأ المساواة بين البشر وجعل ميزان التفاضل واحدا هو الإيمان والتقوى فالناس إنما يتفاضلون بهذا الميزان.

نعم هذا هو المقياس الحقيقي للتفاضل بين الناس هذا هو المبدأ الذي ربى رسول الله -ﷺ- أصحابه الكرام عليه هذا أبو ذر سليل بني غفار تلك القبيلة العربية الأصيلة المشهورة يحذره النبي المصطفى -ﷺ- في هذا الحديث من الإنسياق وراء المقاييس الجاهلية ويغرس في نفسه هذا المبدأ الإسلامي العظيم الرائع المساواة بين البشر ومبدأ التفاضل بالتقوى وقد أثمرت هذه التربية النبوية

أيما ثمرة فانصهرت تلك القبائل العربية في بوتقة الإسلام حتى صاروا جميعا كالجسد الواحد فانطلقوا ينشرون الإسلام بين أمم الأرض فإذا بالأمم والشعوب تنصهر في بوتقة الإسلام إذا بالأسود والأحمر والأبيض والعربي والأعجمي إخوانا متحابين تحت ظل الإيمان.

في يوم من الأيام وفي موقف من المواقف فقال لأحد إخوانه في الإيمان وقد غاضبه ونازعه في أمر من الأمور انطلق لسان أبي ذر وغلبته الجبلة دون أن يقصد ذلك فقال له: **يا ابن السوداء**، فبلغ ذلك النبي -ﷺ- فغضب غضباً شديداً ولام أبا ذر ووبّخه فقال له: «**أعيّرته بأمه إنك امرؤٌ فيك جاهلية**» [صحيح البخاري (٣٠)، صحيح مسلم (١٦٦١)].

حبيبنا المصطفى -ﷺ- دقيق رقيق عادل منصف حتى في توبيخه لم يقل لأبي ذر إنك امرؤ جاهلي فحاشا أبا ذر أن يكون كذلك فهو مؤمن مسلم تربى في مدرسة النبي -ﷺ- لكنها بقية ضئيلة بقيت في نفسه فنبهه النبي المصطفى -ﷺ- إلى أنه يجب عليه أن يعالج تلك البقية الباقية أن يروض نفسه على مبادئ الإسلام العظيم مبدأ المساواة بين الناس مبدأ التفاضل بالتقوى وذهب أبو ذر يروض نفسه فماذا فعل -رضي الله عنه- وأرضاه ذهب إلى أخيه ذلك الذي أغضبه فاعتذر له واستسمحه حتى رضي عنه وسامحه ثم وضع أبو ذر خده على الأرض وقال له: «**يا ابن أخي ضع قدمك على خدي**» هكذا حاول أبو ذر أن يروض نفسه على مبادئ الإسلام على مبدأ المساواة بين الناس على مبدأ التفاضل بالتقوى على هذا المبدأ الإسلامي الرائع العظيم الذي لا بديل له سوى الجاهلية.

الجاهلية إذا طغت فالناس حينئذ يتفاضلون بالعنصرية العنصرية للون أو

العنصرية لجنس أو العنصرية لوطن وحينئذ يعاقبهم الله تبارك وتعالى بالذل والهوان هذا هو وعده على لسان النبي -ﷺ- قال النبي المصطفى -ﷺ-: «كلكم بنو آدم وآدم من تراب لينتهين قوم عن تفاخرهم بالآباء أو ليكونن أهون على الله من الجعلان» [مسند أحمد (٢/ ٣٦١)، سنن أبي داود (٥١١٦)]

والفاروق عمر -رضي الله عنه- لم يرض أن يهين ولد عمرو بن العاص قبطيًا كافرًا، حيث ضرب ابن عمرو بن العاص هذا القبطيّ قائلاً له: خذها وأنا ابن الأكرمين، فاشتكي القبطيّ لعمر، فاستدعى عمر عمرو بن العاص وولده، ومكن القبطي من القصاص من ابن عمر، وثم قال كلمته الشهيرة التي سجّلها التاريخ بحروف من نور وبمداد من ذهب: «يا عمرو، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟ ! »[(فتوح مصر وأخبارها ص٢٩٠، وأوردها محمد يوسف الكاندهلوي في (حياة الصحابة ٢/ ٨٨، باب عدل النبي وأصحابه).، والقصة موضوعة ومنقطعة السند ، وفيها طعنا لعمر و بن العاص، ولو أردنا ذكرها فلتذكر بدون أسماء]. الله أكبر، هذا هو الإسلام، وهذه عدالته حتى مع غير المسلمين، وهذا هو الإسلام الذي يدخل فيه الناس أفواجا.

المساواة في القضاء

ومن المساواة في الإسلام المساواة أمام القضاء يعتمد القضاء في الإسلام على التشريع الإلهي، فإذا كان الناس أمام التشريع سواء، فهم عند تنفيذه كذلك سواء، لا تفريق في ذلك بين القاضي والمقضي له، والحاكم والمحكوم، وكل إنسان في الإسلام تطاله يد القضاء كائنا من كان حين يقتضي الأمر ذلك، وقد عمل بالمساواة أمام القضاء منذ عهد النبي -ﷺ- وعهد الخلفاء الراشدين، فقد روت عائشة -رضي الله عنها- « أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا:

من يكلم فيها رسول الله، ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله -ﷺ-، فكلمه أسامه، فقال رسول الله -ﷺ-: «**أتشفع في حد من حدود الله؟**» ثم قام فخطب فقال: «**أيها الناس! إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»[صحيح البخاري ح (٦٧٨٨)، وأخرجه أيضًا مسلم ح (١٦٨٨)].

كان علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- مسافرا وقد ربط درعه الحديدية التي كان يلبسها للقتال وراء ه على ظهر الجمل وحين وصل إلى المكان الذي كان يقصده بحث عن الدرع فلم يجدها كانت قد سقطت منه أثناء الرحلة دون أن ينتبه إليها وبينما هو يتمشى في احد الأسواق إذ رأى درعه عند رجل يهودي فأوقفه وطلب منه أن يردها إليه ولكن اليهودي امتنع وقال لعلي -رضي الله عنه- «**إن الدرع درعي ولن أسلمها إليك**». فطلب منه علي -رضي الله عنه- أن يصحبه إلى القاضي ليحكم بينهما، ومثُل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والرجل اليهودي أمام قاضي المدينة المنورة وكان يدعى« شريحا» و حكى سيدنا علي للقاضي قصة ضياع درعه وكيف عثر عليها عند اليهودي وطالب بإرجاعها لكن اليهودي أصر على أن الدرع له وانه يملكها من زمنٍ طويل وان الدروع تتشابه وطلب القاضي شريح من سيدنا علي الدليل على أن الدرع له فأشار إلى علامات على الدرع يعرفها بها، ولكن القاضي لم يقتنع بأدلته وحكم للرجل اليهودي بالاحتفاظ بالدرع، وامتثل علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- لحكم القاضي وهو مقتنع بان الدرع درعه وان القاضي اجتهد وأخطأ.

وهمّ علي -رضي الله عنه- بالانصراف ولكن الرجل اليهودي استوقفه وقد بهره ما رأى من عدل المسلمين وسمو أخلاقهم وقال له: «يا أمير المؤمنين إن الدرع درعك وقد عثرت عليها بعد أن سقطت منك وكنت قادراً على أخذها مني دون اللجوء إلى القاضي فأنت أقوى مني جسداً وأكبر سلطاناً ومع ذلك لم تستعمل قوتك ولا سلطانك ولجأت إلى حكم الشرع كغيرك من عامة الناس»، ثم التفت إلى القاضي وقد تأثر وتحركت مشاعره لعظمة ما رأى وقال: « **إذا كان ما حكمت به هو الإسلام فاني أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله**»[بتصرف وقد ذكره السيوطي في ((تاريخ الخلفاء)) (١٤٢) وقال: أخرجه الدراج في جزئه المشهور بسند مجهول عن ميسرة عن شريح القاضي].

أيها الأحباب:

بعد أن أعلن القرآن مبدأ المساواة في قوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقف الرسول -صلى الله عليه وسلم- في حجة الوداع ليعلن في خطابه الخالد: «**الناس من آدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى**». هذه المساواة فقد نفذت في المساجد حيث كان يلتقي فيها الأبيض والأسود على صعيد واحد من العبودية لله عز وجل والخشوع بين يديه، ولم يكن الأبيض ليجد غضاضة أو حرجاً في وقوف الأسود بجانبه. ونفذت في الحج حيث تلتقي العناصر البشرية كلها من بيضاء وملونة على صعيدٍ واحد وبثياب واحدة من غير تمييز بين أبيض وأسود واستعلاء من البيض على السود.

بل إننا لنجد ما هو أسمى من هذا، فقد أمر سول الله -صلى الله عليه وسلم- بلالاً الحبشي- -رضي الله عنه- يوم فتح مكة أن يصعد فوق الكعبة ليؤذن من فوقها ويعلن كلمة الحق،

والكعبة هي الحرم المقدس عند العرب في الجاهلية، وهي القبلة المعظمة في الإسلام، فكيف يصعد عليها عبد ملوّن كبلال؟ كيف يطؤها بقدميه؟

فما كان صعود بلال على سطح الكعبة إلا إعلاناً لكرامة الإنسان على كل شيء وأن الإنسان يستحق هذه الكرامة لعلمه وعقله وأخلاقه وإيمانه لا لبشرته وبياضه، فما يقدم الإنسان بياضه إذا أخَّره عمله، ولا يؤخره سواده إذا قدمه ذكاؤه واجتهاده.

لَّما جاء المسلمون لفتح مصر وتوغلوا فيها حتى وقفوا أمام حصن بابليون رغب المقوقس في المفاوضة مع المسلمين، فأرسل إليهم وفدًا ليعلم ما يريدون، ثم طلب منهم أن يرسلوا إليه وفداً، فأرسل إليه عمرو بن العاص عشرة نفر فيهم عبادة بن الصامت، وكان عبادة أسود شديد السواد، طويلاً حتى قالوا إن طوله عشرة أشبار، وأمره عمرو أن يكون هو الذي يتولى الكلام، فلما دخلوا على المقوقس تقدمهم عبادة بن الصامت فهابه المقوقس لسواده وقال لهم: نحّوا عني هذا الأسود وقدموا غيره يكلمني، فقال رجال الوفد جميعاً: إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً، وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا، وإنما نرجع جميعاً إلى قوله ورأيه، وقد أمره الأمير دوننا بما أمره، وأمرنا ألا نخالف رأيه وقوله، فقال لهم: وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم وإنما ينبغي أن يكون هو دونكم؟ قالوا: كلا وإن كان أسود كما ترى فإنه من أفضلنا موضعاً وأفضلنا سابقة وعقلاً ورأيًا، وليس ينكر السواد فينا، فقال المقوقس لعبادة: تقدم يا أسود وكلمني برفق فإني أهاب سوادك، وإن اشتد كلامك علي ازددت لك هيبة، فقال عبادة –

وقد رأى فزع المقوقس من السواد -: إن في جيشنا ألف أسود هم أشد سواداً مني.

وفي عام(١٠٠) من الهجرة أي منذ ثلاثة عشر قرناً شكت جارية سوداء تسمى فرتونة إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ﷺ بأن لها حائطاً قصيراً يُقتحم منه عليها فيُسرق دجاجها، فأرسل عمر فوراً إليها يخبرها أنه أرسل إلى والي مصر يطلب إليه أن يصلح لها حائطها ويحصن لها بيتها، وكتب إلى واليه في مصر أيوب بن شرحبيل: «**إن فرتونة مولاة ذي أصبح قد كتبت إليَّ تذكر قصر حائطها وأنه يسرق منه دجاجها وتسأل تحصينه لها. فإذا جاءك كتابي هذا فاركب أنت بنفسك إليه حتى تحصنه لها!** » فلما وصله الكتاب ركب بنفسه إلى الجيزة ليسأل عن فرتونة حتى عثر على محلها، فإذا هي سوداء مسكينة، فأعلمها بما كتب به أمير المؤمنين وحصّن لها بيتها[سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم صـ١٦٣ ـ ١٦٤ ، التاريخ الإسلامي (١٥/ ٧٧)]..

هذا ما فعلناه قبل أكثر من ثلاثة عشر قرناً. . وهذا مثل من حضارتنا.

أسأل الله تعالى أن يجعلني من الهداة المهتدين، والصلحاء المصلحين إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

حقوق غير المسلمين

الحمد لله خالق الأكوان، ومُقلب الدهور والأزمان، أحمده سبحانه وأشكره، فحقٌّ للمنعِم أن يُشكَر بكل لسان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها الدرجات العلا من الجنان، وأشهد أن نبينا وحبيبنا وسيدنا محمدًا عبد الله ورسوله المصطفى بالرسالة والتكريم على الثقلين الإنس والجان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على النهج واقتفى الخطى بإحسان.

وبعد. . . . .

حديثنا اليوم عن حقوق غير المسلمين فلهم في ديننا حقوق وغير المسلمين ينقسمون من حيث الجملة إلى قسمين:

١ـ محاربون.

٢ـ مسالمون. وهم ينقسمون أيضاً إلى قسمين:

أ ـ الذميون الذين يعيشون داخل الدولة المسلمة ولهم حق المواطنة.

ب ـ المستأمنون وهم المحاربون الذين أعطوا الأمان لدخول الدولة المسلمة إما لمصلحة دينية أو دنيوية.

وهؤلاء جميعاً سواء كانوا محاربين أو مسالمين **لهم علينا خمسة حقوق**:

الأول: حفظ كرامتهم الإنسانية. ومن المحافظة على كرامة غير المسلمين حقهم في مراعاة مشاعرهم، والتأكيد على أن ديننا امتداد للأديان السماوية السابقة وأننا نؤمن بجميع الرسل والأنبياء والكتب السماوية التي يؤمنون بها:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

وقد بلغ من تكريم الإسلام لهم أن الله تعالى حرّم على المسلمين سب آلهة المشركين، لأن ذلك يجرح مشاعرهم فيحملهم على سب الله تبارك وتعالى، ويكون سبباً لعنادهم وإعراضهم عن الحق، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٠٨﴾ [الأنعام: ١٠٨].

قال الإمام القرطبي «لا يحل لمسلم أن يسب صلبانهم، ولا دينهم، ولا كنائسهم، ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك، لأنه بمنزلة البعث على المعصية» [تفسير القرطبي ج ٧ ص ٦٠].

ومن تكريم الإسلام لهم ما ثبت في صحيح البخاري أن جنازة مرّت بسهل بن حنيف وقيس بن سعد بن عباده ﷺ وهما قاعدان بالقادسية، فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض، أي: أهل الذمة، فقالا: إن النبي -ﷺ- مرت به جنازة، فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي! فقال: أليست نفساً؟

ومن ذلك النهي الشديد عن التمثيل بجثثهم في الحرب، والنهي عن سب أمواتهم، لأنهم أفضوا إلى ما قدموا، ولأن سب الأموات يؤذي الحي ولا يضر الميت. والأحاديث في هذا الباب كثيرة مشهورة.

ومن مظاهر التكريم الإلهي للإنسان تقرير المساواة بين البشر في أصل الخلقة، وأنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ [الحجرات: ١٣] ، ويقول تعالى: ﴿يا أيها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾[النساء: ١]، ويقول النبي -ﷺ- في خطبة الوداع: «يا أيها الناس! إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربي، ولا أحمر على أسود و لا أسود على أحمر إلا بالتقوى، ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾، ألا هل بلغت؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: فليبلغ الشاهد الغائب»

[أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٤١١، حديث رقم ٢٣٥٣٦، وصححه ابن تيمية والألباني.]

الحق الثاني: التعاون معهم على البر والتقوى وتحقيق المصالح الإنسانية النبيلة، فيما يحقق التعايش السلمي والأمن العالمي، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ [المائدة: ٨]، وفي صحيح البخاري في قصة صلح الحديبية قال -ﷺ- :"«والذي نفسي بيده لا يسألوني خُطة يُعظّمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها ».

الحق الثالث: تعريفهم بالإسلام وتأليف قلوبهم عليه، لأنه الدين الحق الذي ارتضاه لعباده ولا يقبل من أحد ديناً سواه. كما أن سعادة الإنسان وحفظ مصالحه في الدنيا والآخرة موقوفة على التدين به والتزامه.

الحق الرابع: مجادلتهم بالتي هي أحسن، وإقناعهم بالحق بأدلة عقلية ومنطقية مقنعة، وبأسلوب لين ومعاملة حسنة : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ

﴿ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]

﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[العنكبوت: ٤٦]

﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤]

الحق الخامس: العدل معهم في كل الأمور وفي جميع الأحوال.

الإسلام هو دين العدل في كل أحكامه وتشريعاته، العدل مع كل أحد، وعلى كل حال، وفي كل شيء، فبالعدل قامت السموات والأرض، ولتحقيق العدل أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، والله تعالى ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة. وقد أوجب العدل حتى في حال الحرب مع الكفار المحاربين، ونهى عن ظلمهم والعدوان عليهم، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾[المائدة: ٨]، ومما يؤكد أثر التعامل الإنساني من قبل المسلمين مع أهل الذمة، وشعورَهم بالعدل ورضاهم عن حكم المسلمين: قتالهم مع المسلمين ضد النصارى عندما جمع هرقل لغزو المسلمين في موقعة اليرموك، حيث قال نصارى حمص: "لولايتكم وعدلكم أحبُّ إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم. ونهض اليهود فقالوا: والتوراةِ لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن نغلب أو نجهد»[أبو الحسن البلاذري، فتوح البلدان، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، د. ط، ١٩٨٣م، ص١٣٩].

والأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هي السلم والتعايش السلمي. فيجب

أن نسالم من سالمنا، ونفي بالعهد لمن عاهدنا، ولا يجوز أن نقاتل إلا من قاتلنا أو منعنا من إقامة ديننا. ولا أدل على ذلك من إباحة نكاح نسائهم وأكل ذبائحهم، والبيع والشراء معهم، وإقرارهم على دينهم، وعدم إكراههم على الإسلام، وبقائهم بين ظهراني المسلمين، فهذا كله يدل على أن أصل العلاقة مع غير المسلمين هي السلم. والله تعالى لم يخلق هذا الإنسان الذي كرمه وفضله على كثير من خلقه لكي يقتل وتزهق روحه بغير حق. وكلام العلماء في تقرير هذه الحقيقة كثيرة معروفة. قال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[البقرة: ١٩٠ وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣]وليس لتتقاتلوا ويهلك بعضكم بعضاً.

فالعدل والقسط، والبر والإحسان، والتسامح والتعايش السلمي، والتعاون على البر والتقوى وعلى تحقيق المصالح الإنسانية المعتبرة هي العناوين الجامعة لكل الحقوق الإنسانية المشروعة لغير المسلمين على المسلمين، سواءً أكانوا يعيشون داخل البلاد الإسلامية أو خارجها، وسواء أكانوا ذميين مستوطنين أو مقيمين أو سائحين أو مستأمنين.

حقوق غير المسلمين الغير محاربين

أولاً: حقهم في البر بهم والإحسان إليهم وحسن التعامل معهم.

قال الله تعالى: ﴿۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ

﴿مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦]، فأوصى بعبادته، وبالإحسان إلى خلقه من الوالدين والقرابة والجيران والأصحاب والضعفاء والمساكين. والآية عامة في جميع المذكورين، من المسلمين والكافرين، والصالحين والفاسقين، والقريبين والبعيدين. فكلهم يجب العدل في معاملتهم، والإحسان إليهم، وإن كان حق المسلم أعظم من حق الكافر، وحق القريب آكد من حق البعيد، فكل يجب له من البر والإحسان بحسب قربه ومنزلته، وعلى قدر حاجته وما يناسبه.

وعلى هذا تواطأت رسالات السماء، وأوصت به جميع الأنبياء، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [البقرة ٨٣].

أي: أخذ الميثاق عليهم على ألسنة أنبيائهم أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يحسنوا إلى الوالدين والأرحام واليتامى والمساكين، بكل قول وفعل جميل، ثم أمر بالإحسان إلى الناس عمومًا، فقال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة ٨٣]، أي: قولاً حسنًا، لطيفًا رفيقًا، طيبًا مفيدًا. وهذا عام في القريب والبعيد، والبر والفاجر، والمسلم والكافر، إلا أن يكون محاربًا، قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة: ٨].

وقد حذف المعمول في قوله [أن تبروهم] ليشمل كل أنواع البر والإحسان، بالقول والفعل.

وإذا كنا مأمورين بالإحسان في معاملة الكفار، والبر بهم قولاً وفعلاً، تأليفًا لقلوبهم، وترغيبًا لهم في الإسلام، فكيف بالمسلمين الحنفاء؟ ! ! .

فالقول الحسن يؤنس النفوس، ويفتح مغاليق القلوب، ويعين على قبول الحق والانقياد له، ويورث المحبة والتقدير لصاحبه، وهو يدل على سمو نفسه، وحسن خلقه، وعفة لسانه. وهذا ما يجب أن يكون عليه المسلم، فإن النبي -ﷺ- قال: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء»[رواه الترمذي: ١٩٧٧، وأحمد: ٣٨٣٩، والبيهقي في السنن الكبرى: ١٠٥٨٠، والطبراني في المعجم الكبير: ١٠٤٨٣، وأبو يعلى: ٥٠٨٨، وابن حبان: ١٩٢، والحاكم: ٢٩، وصححه. وقال الترمذي: حديث حسن].

وفي الصحيحين عن عَائِشَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: «دَخَلَ رَهْطٌ مِنْ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ»، وقال القرطبي: «وهذا كله حض على مكارم الأخلاق، فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس لينًا، ووجهه منبسطًا طلقًا، مع البر والفاجر، والسني والمبتدع، من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يَرضى مذهبه، لأن الله تعالى قال لموسى وهارون: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ [طه: ٤٤]، فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه.

ويدخل في هذا الباب صور لا تحصى من البر والإحسان وحسن الخلق، ومن ذلك:

- ❖ إعانة محتاجهم وسد خلاتهم.
- ❖ تحيتهم ولين الجانب معهم.
- ❖ تهنئتهم بمناسباتهم غير الدينية كزواج وولادة، ونجاح في دراسة، وكسب في تجارة، وقدوم غائب، وسلامة من حادث أو مرض، أو نحوها.
- ❖ إجابة دعوتهم والأكل معهم.
- ❖ عيادة مريضهم، وتفقد أحوالهم.
- ❖ إهداؤهم وقبول هداياهم.

ومن أروع الصور التي جسّدها تعامل المسلمين مع أهل الذمة؛ "أن عمر - رضي الله عنه - مر بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت، فقال: يهودي، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن. فأخذ عمر بيده، وذهب إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه»[أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، ص١٢٦.].

وقد ورد عن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -أنه كتب إلى عدي بن أرطأة والي البصرة: «وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه، وضعفت قوته، وولت عنه المكاسب، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه»[ابن سلام، أبو عبيد القاسم، كتاب الأموال، ص٥٥. نقلا عن حقوق الإنسان في الإسلام د. عبد العزيز بن فوزان الفوزان].

ثانياً: حقهم في الحرية الدينية.

وهذا يشمل ثلاثة أمور:

أ ـ عدم إكراههم على الإسلام، قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٦٥] وقال جل وعلا:

﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف: ٢٩] قال الشيخ محمد الغزالي: «إن الحرية الدينية التي كفلها الإسلام لأهل الأرض لم يُعرف لها نظير في القارات الخمس، ولم يحدث أن انفرد دين بالسلطة، ومنح مخالفيه في الاعتقاد كل أسباب البقاء والازدهار مثل ما صنع الإسلام».

وأما ما جاء في الكتاب والسنة من تحريم الردة وقتل المرتد فإن هذا ليس إكراهاً على الإسلام، بل قطعاً للطريق على المتلاعبين الذين يريدون محادة الله ورسوله ومناكفة المسلمين وتشويه صورة الإسلام وتنفير الناس منه، كما قال الله تعالى عن اليهود: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٧٢﴾ [آل عمران: ٧٢]، والعلماء يعتبرون قتل المرتد نتيجة خيانته للملة الإسلامية التي انخرط في عداد أفرادها باختياره، ثم غدرها وتنكر لها، فلو ستر كفره لم يتعرض له أحد ولم ينقب عما في قلبه، بل يبقى حاله كحال المنافقين الذين قال فيهم الله: ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤﴾ [البقرة: ١٤].

ب ـ إقرارهم على دينهم وممارسة شعائرهم في معابدهم وفي دورهم وأماكنهم الخاصة. وكان الخلفاء يوصون قادتهم حين يخرجون للجهاد بما يكفل ذلك

ويحفظه، ففي وصية أبي بكر لأسامة بن زيد حين بعثه إلى الشام: «وسوف تمرون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له»[ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١ ص ٣٣٥].

وجاء في عهد عمر مع أهل إيلياء "القدس": «هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم، وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقص منها، ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضارَّ أحدٌ منهم»[الفاروق عمر بن الخطاب تأليف محمد رضا ص ٢٠٦ طبع دار الكتب العلمية لبنان الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ]...

وعلى ذلك سار المسلمون في سائر العصور، وما الكنائس والبيَع المنتشرة في بلاد الإسلام شرقاً وغرباً منذ دخلها الإسلام إلى اليوم إلا خير شاهد على ذلك.

يقول روبرتسون: «إن المسلمين وحدهم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وإنهم مع امتشاقهم الحسام نشراً لدينهم تركوا من لم يرغبوا فيه أحراراً في التمسك بتعاليمهم الدينية».

ج ـ حقهم في التزامهم بشرعهم والتحاكم إلى أئمتهم وعلمائهم.

فلا يُلزموا بدفع الزكاة التي تلزم الأغنياء من المسلمين، لأنهم لا يعتقدون وجوبها، ولم يُفرض عليهم الجهاد مع المسلمين وإن كانوا ذميين لهم حق الإقامة والمواطنة.

وفي العقوبات قرّر الفقهاء أن الحدود لا تُقام عليهم إلا فيما يعتقدون تحريمه كالسرقة والزنا، ولا يُعاقبون فيما يعتقدون حِله كشُرب الخمر وأكل

الخنزير وأكل الربا ونحوها.

وتبعاً لذلك لم يلزموا بالتحاكم إلى المحاكم الشرعية، بل يجوز لهم أن يحتكموا إلى محاكمهم الخاصة بهم، فإن جاؤوا إلينا حكّمنا بينهم بالقسط الذي شرعه الله، كما قال ربنا سبحانه :﴿ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٤٢﴾ [المائدة: ٤٢].

ثالثاً: حقهم في حفظ دمائهم وأعراضهم وأموالهم.

فهذه الحقوق كلها محفوظة لهم كحقوق المسلمين فيها بعضهم مع بعض.

والحق في الحياة الكريمة هو الحق الأول للإنسان، وعليه تبنى سائر الحقوق، وبضياعه تنعدم كل الحقوق. ويعتبر حق الحياة مكفولاً بالشريعة لكل إنسان، فلا يجوز قتله بغير حق مسلماً كان أو غير مسلم. كيف وقد جعل الله تعالى قتل نفس واحدة معصومة كقتل الناس جميعاً، وإحياء نفس واحدة وإنقاذها من الهلاك كإحياء الناس جميعاً فقال تعالى : ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا ﴾ [المائدة: ٣٢]ففي هذه الآية: تغليظ أمر القتل، والمبالغة الشديدة في الزجر عنه، وتوكيد لحق الحياة الإنسانية، حتى لا يضار فيها أحد بغير حق.

بل لقد دلت السنة النبوية على أن التعدي على الحيوان بإزهاق روحه ظلماً وعدواناً، جريمة يستحق فاعلها دخول النار.

ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله -ﷺ- قال: «دخلت امرأة النار في هرّة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعْها تأكل من خشاش الأرض».

فإذا كانت هذه عقوبة قتل الحيوان بغير حق، فكيف بقتل الآدمي المعصوم؟ !

!

وهناك أحاديث كثيرة تدل على تحريم قتل الكفار غير المحاربين من الذميين والمعاهدين والمستأمنين، ومنها ما يأتي:

١ ـ عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : «**من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها لتوجد من مسيرة أربعين عاماً**»[رواه البخاري: ٢٩٩٥.].

٢ـ وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : «**ألا من قتل نفساً معاهدة لها ذمة الله وذمة رسوله، فقد أخفر ذمة الله، فلا يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً** »[رواه الترمذي: ١٤٠٣، وابن ماجه: ٢٦٨٧. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.].

٣ـ عن أبي بكرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**من قتل معاهداً في غير كنهه**[أي: في غير وقته الذي يجوز فيه قتله.] **حرّم الله عليه الجنة**»[رواه أبو داود: ٢٧٦٠، والنسائي: ٤٧٤٧، وفي السنن الكبرى: ٦٩٤٩، والدارمي: ٢٥٠٤، وأحمد ٥/ ٣٦، ٣٨، والبيهقي في السنن الكبرى: ٩/ ٢٣١.]. قال العلامة الشوكاني: «المعاهد: هو الرجل من أهل دار الحرب يدخل إلى دار الإسلام بأمان، فيحرم على المسلمين قتله بلا خلاف بين أهل الإسلام حتى يرجع إلى مأمنه »[نيل الأوطار ٧/ ١٥٥ـ١٥٦]، وقد أجمع العلماء قاطبة على تحريم الغدر، ووردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تنهى عن الغدر، وتتوعد فاعله بالخزي والعذاب الأليم. وإذا كان هذا الوعيد الشديد في قتل آحاد المعاهدين والذميين والمستأمنين، فكيف بنسف بيوتهم وعماراتهم، وهدمها على رؤوسهم، وقتل من فيها من النساء والصبيان؟ مع أن قتل هؤلاء من الكفار المحاربين حرام لا يجوز بإجماع العلماء إلا لضرورة [انظر: التمهيد لا بن

عبد البر ٢٤/ ٢٣٣ـ٢٣٤]، فكيف بنساء المعصومين من الذميين والمعاهدين والمستأمنين وأطفالهم؟ وهل هذا إلا محادة لله تعالى ولرسوله -ﷺ-، وغدر في العهود، ونقض للعقود، وارتكاب لجريمة من أكبر الجرائم، ومظلمة من أعظم المظالم؟ ! مع ما فيها من تشويه صورة الإسلام والمسلمين، والصد عن سبيل الله القويم، وتنفير الناس من الدخول في دينه الذي أنزله رحمة للعالمين.

حُرمة أموالهم

وأما حُرمة أموالهم وأعراضهم فقد ذكر ابن المنذر إجماع أهل العلم على أن الله عز وجل حرم أموال المسلمين والمعاهدين إلا بطيب نفس منهم، وأن المسلمين وأهل الذمة في هذا سواء. ويقول ابن قدامة: «وحكم أموال أهل الذمة حكم أموال المسلمين في حرمتها. قال علي بن أبي طالب: إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا، وأموالهم كأموالنا»، ويقول القرافي: «إن عقد الذمة يوجب لهم حقوقاً علينا، لأنهم في جوارنا وفي حمايتنا وذمتنا وذمة الله تعالى وذمة رسوله -ﷺ-، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة فقد ضيع ذمة الله تعالى وذمة رسوله وذمة دين الإسلام »[الفروق ٣/ ١٤ـ١٥.].

رابعاً: حقهم في حفظ حقوقهم المدنية والسياسية والاقتصادية والثقافية.

ويشمل ذلك حقهم في الأمن والحرية والعدل، وفي التعلم والتعليم، وفي التكسب وطلب الرزق، وفي العمل وشغل الوظائف الحكومية والأهلية، وفي إقامة المؤسسات والشركات، وفي مشاركة المسلمين والتعامل معهم بأنواع البيوع والمبادلات، وحقهم في التملك والتصرف، والسكنى والتنقل والسفر، والتزوج والتزويج، وفي حفظ خصوصياتهم وممتلكاتهم، وعدم التطلع على

عوراتهم أو التجسس عليهم بغير حق.

وقد نص الفقهاء على أن لأهل الذمة الحق في تولي وظائف الدولة كالمسلمين إلا ما غلب عليه الصبغة الدينية كالإمامة، والنظارة على أوقاف المسلمين، والقضاء بينهم، وقيادة الجيش، ونحو ذلك. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

حقوق الوطن

الحمد لله مُستحقِ الحمد بلا انقطاع، ومستوجبِ الشكر بأقصى ما يُستطاع، الوهابُ المنان، الرحيم الرحمن، المدعو بكل لسان، المرجو للعفو والإحسان، الذي لا خير إلا منه، ولا فضل إلا من لدنه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الجميل العوائد، الجزيل الفوائد، أكرم مسؤول، وأعظم مأمول، عالم الغيوب مفرّج الكروب، مجيب دعوة المضطر المكروب. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، الوافي عهده، الصادق وعده، ذو الأخلاق الطاهرة، المؤيّد بالمعجزات الظاهرة، والبراهين الباهرة. صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه وتابعيه وأحزابه، صلاة تشرق إشراق البدور.

و بعد:

لا زلنا مع سلسلة الحقوق في الإسلام، واليوم حديثنا عن حقٍّ عظيم من الحقوق في الإسلام. انه حق الوطن.

هل للوطن حقوق في الإسلام؟ نعم .

وللأوطان في دم كل حُرٍ يدٌ سلفت ودينٌ مستحق

لقد فُطر الإنسان على أمور عديدة، من هذه الأمور حبّ الوطن الذي عاش فيه وترعرع في أكنافه.

والوطنية: صفة، وهي: العاطفة التي تُعبِّر عن ولاء المرء لبلده، والمقصود هنا أن يكون ولاء المرء المسلم لبلده من أجل كلمة التوحيد الظاهرة، وشرائع الدين

المطبقة.

بمعنى: أن **الوطنية**؛ هي: قيام الفرد المسلم بحقوق وطنه المشروعة في الإسلام.

حب الوطن غريزة متأصّلة في النفوس، تجعل الإنسان يستريح إلى البقاء فيه، ويحنّ إليه إذا غاب عنه، ويدافع عنه إذا هُوجِم، ويغضب له إذا انتُقص.

إن **حب الوطن** والتعلق به والحنين إليه أمر فطري مغروس في النفوس البشرية، فهو مهد الطفولة، ومدرج الصبا، وسجل الذكريات، يعيش فيه الإنسان فيألف أرضه وسماءه، ويرتبط بسهوله وجباله وأشجاره وغدرانه، يألف حره وبرده وتقلباته، ويحس فيه بالسعادة الغامرة والأنس الجميل.

اسألوا من تغرّب وترك أهله سنين مدى المعاناة. فأغلى ما يملك المرء الدين والوطن، وما من إنسان إلا ويعتز بوطنه؛ لأنه مهد صباه ومدرج خطاه ومرتع طفولته وملجأ كهولته، ومنبع ذكرياته، وموطن آبائه وأجداده، ومأوى أبنائه وأحفاده.

حتى الحيوانات لا ترضى بغير وطنها بديل، ومن أجلها تضحي بكل غالي ونفيس. والطيور تعيش في عشها في سعادة ولا ترضى بغيره ولو كان من حرير. والسمك يقطع آلاف الأميال متنقلاً عبر البحار والمحيطات ثم يعود إلى وطنه، وهذه النملة الصغيرة تخرج من بيتها ووطنها فتقطع الفيافي والقفار وتصعد على الصخور وتمشي على الرمال تبحث عن رزقها ثم تعود إلى بيتها بل إن بعض المخلوقات إذا تم نقلها عن موطنها الأصلي فإنها تموت.

لكن **حُب الوطن** لا يتقدم على حب الدين والشريعة، افتحوا إذاعاتنا واسمعوا من الصباح حتى المساء الوطن، من أجل الوطن، حُماة الوطن، الدفاع عن الوطن طنطنة طوال اليوم ولا يقال حب الدين والدفاع عن الدين وحماية الدين.

ومع كل هذا فالوطن له في الإسلام حقوق.

الوطن وحب الوطن كم ترخص الأرواح، وتُبذَل المُهَجُ لأجله، فحبُّه ومحبَّته تجري في العُروق، وتخفق بها القلوب، كيف لا وقد قرَن المولى - سبحانه - حُبَّ الأرض بحبِّ النفس؟ قال - تعالى -: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦].

واستحقَّ الصحابة - رضي الله عنهم - المدحَ والثَّناء؛ لأنهم ضحوا بأوطانهم المحبوبة في سبيل الله - تعالى -: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨]

بل إنَّ التغريب عن الأوطان قد جُعِلَ في شريعة الرحمن، جُزءًا من العقوبة على بني الإنسان، إذا وقَع في الزنا من غير إحصان.

هذه المحبَّة والتعلُّق بالدِّيار، وجَدَها المصطفى المختار، يوم أنْ تآمَر عليه رُؤوس الكفر ليسجنوه أو يقتُلوه أو يُخرِجوه، فخرَج فارًّا مُهاجِرًا، فلمَّا وصَل أطرافَ مكة خارجًا منها، التفَتَ إلى أرضه ووطنه فجاشَتْ نفسه وقال: «**والله، إنَّك لأحبُّ البِقاع إليَّ، ولولا أنَّ قومي أخرجوني منكِ ما سكنتُ غيرَكِ**».

ثم لما هاجر إلى المدينة واستوطن بها أحبها وألفها كما أحبّ مكة، بل كان

يدعو أن يرزقه الله حبَّها كما في صحيح البخاري: «اللهم حبِّب إلينا المدينة كحبّنا مكة أو أشد»[البخاري- الصحيح (فتح الباري ٧/ ٢٦٢)]، ودعا عليه الصلاة والسلام بالبركة فيها وفي بركة رزقها كما دعا إبراهيم لمكة.

وكذلك كان رسول الله -ﷺ- إذا خرج من المدينة لغزوة أو نحوها تحركت نفسه إليها، فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: كان رسول الله -ﷺ- إذا قدم من سفر فأبصر درجات المدينة أوضع ناقته ـ أي: أسرع بها ـ وإذا كانت دابة حركها. [رواه البخاري]. قال أبو عبد الله: زاد الحارث بن عمير عن حميد: حركها من حبها.

قال ابن حجر في الفتح والعيني في عمدة القاري والمبارك فوري في تحفة الأحوذي: "فيه دلالة على فضل المدينة وعلى مشروعية حب الوطن والحنين إليه"[ج ٩ / ٢٨٣ .(تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي)].

وفي صحيح البخاري: لما أخبر ورقة بن نوفل رسول الله-ﷺ- أن قومه ـ وهم قريش ـ مخرجوه من مكة، قال رسول الله-ﷺ-: «أَوَمخرِجِيَّ هم؟ ! »قال: نعم، لم يأت رجل قطّ بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزَّرا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي.

قال السهيلي رحمه الله: "يؤخذ منه شدّة مفارقة الوطن على النفس؛ فإنّه سمع قول ورقة أنهم يؤذونه ويكذبونه فلم يظهر منه انزعاج لذلك، فلما ذكر له الإخراج تحرّكت نفسه لحبّ الوطن وإلفه، فقال: «أَوَمخرِجِيَّ هم؟ ! »".[نقله عنه ابن حجر العسقلاني في شرحه للبخاري ج ١٢ / ٣٥٩].

ثم بعد هجرته -ﷺ- بسنين عدَّة يأتي إليه أُصيل بن عبدالله الغفاري من

مكَّة، فيسأله النبي -ﷺ- عن أرض الوطن، فيقول: «كيف تركت مكة يا أصيل؟»، فقال: تركتُها حين ابيضَّت أباطِحُها، وأحجن ثُمامُها، وأغدَقَ إذخرُها، وأمشَرَ سلَمُها.

فاغرَوْرَقت عَيْناه -ﷺ- وتحرَّكت لَواعِج شوقه، فقال: «يا أصيل، دَعِ القلوب تقر».

وكان يُقال: بحُبِّ الأوطان عُمِرت البلدان، ويقول حكيم: يتروَّح العليل بنسيمِ أرضه كما تتروَّح الأرض الجدبة ببَلِّ المطَر، ومن الحِكَم السّيّارة: حبُّ الوطَن مِن الإيمان، نعمتان محجودتان: الأمنُ في الأوطان والصّحّة في الأبدان، غيرَ أنه لم يصحّ رفعهما إلى النبيّ -ﷺ-، ويقول إبراهيم بن أدهَم رحمه الله: «ما قاسَيتُ فيما تركتُ من الدّنيا أشدّ عليَّ من مفارقة الأوطان»[أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/ ٣٨٠)].

نعم هذا هو ديننا هذا هو شريعتنا.

إن الحديث عن الوطن والحنين إليه يذكّر المؤمن بالله تبارك وتعالى، بالوطن الأول ألا وهو الجنة. نعم، ذلك هو موطننا الأصلي الذي غفل عنه معظم الناس، ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يوسف: ١٠٣].

فالمؤمن الحق يستعد ويعد ويجمع ما لذ وطاب وغلا ثمنه لذلك الوطن قال ابن القيم رحمه الله في قصيدته الميمية:

فحيّ على جنات عدنٍ فإنها ... منازلك الأولى وفيها المخيَّم

ولكننا سبي العدوّ فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم؟

وقال أبو تمام:

نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحُب إلا للحبيب الأولِ

كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدا لأول منزلِ

وكان علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- يقول: «**إنّ الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل**»[البخاري- الفتح (١١/ ك الرقاق، ٤ باب في الأمل وطوله) (ص ٢٣٩)].

واعلم ـ أيها المؤمن ـ أن هذه الغربة سرعان ما تنقضي- وتصير إلى وطنك ومنزلك الأول، وإنما الغربة التي لا يرجى انقطاعها هي الغربة في دار الهوان، حينما يسحب المرء على وجهه إلى جهنم والعياذ بالله، فيكون بذلك قد فارق وطنه الذي كان قد هيّئ وأُعد له، وأُمر بالتجهيز إليه والقدوم عليه، فأبى إلا الاغتراب عنه ومفارقته له، فتلك غربة لا يرجى إيابها ولا يجبر مصابها.

من حقوق الوطن علينا حماية مكاسبه وصيانة خيراته ومقدراته.

من حقوق الوطن أن يكون كل واحد منا عيناً حارسة له من كل عدو ومتربص في الداخل أو الخارج.

إن علينا من منطلق الإيمان، ثم من منطلق حب الوطن، أن نَجْهد في النصح له وفي القيام بواجباتنا تجاهه، وليعلم كل واحد منا أنه حارس للمجتمع ومرابط على ثغر من ثغور الأمة، فلا يؤتينَّ الإسلام من قبله، وإنها لأمانة ورعية استرعانا الله إياها، وقد صح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته**»[البخاري- الفتح ١٣ (٧١٣٨) ومسلم (١٨٢٩) واللفظ له].

من حقوق الوطن علينا أن نغرس في قلوب أبنائنا حبه والدفاع عنه والتضحية من أجله.

من حق الوطن علينا الحفاظ على أمْنه وإيمانه، وسلامته وإسلامه، من كلِّ مخرِّب ومغرِّب، وبالأخصِّ في مثل هذه الظُّروف العَصِيبة.

من حق الوطن علينا المحافظة على تـديُّن المجتمـع وصَلاحه، ونشْر الخير بين أبنائه، ومقارعة الفساد، وتجفيف منابعه قدْر الإمكان.

حب الوطن يظهر في احترام أنظمته وقوانينه وفي التشبث بكل ما يؤدي إلى وحدته وقوته.

حب الوطن يظهر في إخلاص العامل في مصنعه، والموظف في إدارته، والمعلم في مدرسته.

حب الوطن يظهر في المحافظة على أمنه واستقراره، والدفاع عنه.

من حق الوطن علينا ترسيخ ونشر قيم الأخوة والمحبة والوحدة والألفة بين أبنائه لنعيش لحمة واحدة متعاونين متآلفين يعطف الغني على الفقير والكبير على الصغير والقوي على الضعيف وتُسَدُّ فيه الفاقة، يُواسَى فيه المكلوم، ويُناصَح المُخطِئ، ويسعى لقَضاء حاجات المحتاجين؛ حتى يكونَ المجتمع بعد بذلك كالبُنيان يَشُدُّ بعضه بعضًا.

أشدُّ الناس نفعًا لبلدهم لوطنهم هم أولئك الرجال الذين بذَلُوا أموالهم وأوقاتهم بل بدمائهم ليحيي هذا الشعب وليعيش أبنائه أحراراً أخياراً لا يتحكم في رقابهم بشرا ولا يستعبدهم طاغية رحم الله شهدائنا الأبرار في كل مكان ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله.

ومن حق الـوطن علينا أن يسعى كل مواطن مسئول وغير مسئول لتامين الآخرين على أموالهم وأنفسهم وان نقف صفاً واحدا ضد ظاهرة قطع الطرقات ونهب السيارات وإخافة الآمنين.

إننا جميعاً نرفض رفضا قاطعا فرض الأفكار والآراء والمذاهب بقوة السلاح وإثارة الفوضى وزعزعة الأمن فهذا القهر والاستبداد قد انتهى زمنه وجاء زمان الحرية والكرامة. يقول تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ نعم هذا في دين الله فكيف بفكرة ورأي ومذهب.

ومـن حقـوق الـوطن علينـا الإخلاص في العمل، والصدق في أداء أمانة الوظيفة، والانضباط بالقوانين والأنظمة التي فيها المصلحة والمنفعة العامَّة، مع السمع والطاعة بالمعروف لِمَن ولي أمر البلد، ما لم يُؤمَر العبد بمعصية، فإنْ أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة، ومَن لا يشكر الناس لا يشكر الله تعالى.

أجرَمُ الناس في حقّ وطنهم

أجرَمُ الناس في حقِّ وطنهم، وأخوَنُهم لبلدهم أولئك الذين يَأكُلون من نِعَمِ البلد وخيراته، ويَرفُلون في أمْنه وأمانه، ثم يبذلون وَلاءهم خارج أوطانهم لنزعات طائفية، أو لشهوات مادية يبيعون دينهم ووطنهم بعرض قليل تبا لهم وسُحقا وبُعدا فهؤلاء الواجب الحذرُ والتحذيرُ منهم ومن مخططاتهم والوقوف أمامهم بكل الوسائل الممكنة.

الأمن والأمان مَطلَبٌ تَصغُر دُونه كثيرٌ من المطالب، وتهون لأجله كثيرٌ من المتاعب، الأمن في الأوطان لا يُشتَرى بالأموال، ولا يُبتاع بالأثمان، ولا تفرضه

القوَّة، ولا يُدرِكه الدهاء؛ وإنما هو منَّة ومنحَة من الملك الديَّان؛ ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ۝٤﴾ [قريش: ٣ - ٤].

بالأمن والأمان تعمر المساجد وتصفو العبادة، ويُنشَر الخير وتُحقَن الدماء، وتُصان الأعراض وتُحفَظ الأموال، وتتقدَّم المجتمعات وتتطوَّر الصناعات.

الأمن في البلاد مع العافية والرِّزق هو الملك الحقيقي، والسعادة المنشودة؛ قال -ﷺ-: «مَن أصبح منكُم آمنًا في سِربِه، مُعافًى في بدنه، عنده قُوتُ يومه، فكأنما حِيزَتْ له الدنيا بِحَذافِيرها»[أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٢٥. وأخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٣٧.].

إذا خلَتِ البلاد من الأمن، فلا تسَلْ عن الهرج والمرج، إذا ضاعَ الأمن حلَّ الخوف وتَبِعَه الفقر، وهما قرينان لا ينفكَّان؛ قال - سبحانه - عن القرية التي كفَرتْ بأنعُم الله: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ۝١١٢﴾ [النحل: ١١٢].

فالأمن والاستقرار إذًا من أهمِّ مُقوِّمات العيش ومطالب الحياة، والواقع والتاريخ يُؤكِّد هذا كلَّه، فالبلاد الآمنة يُرحَل إليها، وتزدهر معيشتها، وتهنأ النُّفوس بالمكث فيها.

وفي المقابل حينما تخلو الدِّيار من الأمن والأمان، تُصبِح أرضًا موحشةً، وإنْ كان فيها ما فيها من النعيم والخيرات، بل إنَّ التشريد بين الأنام، واللجوء إلى الخيام، ليُصبِح أهنأ وأهون من هذا المقام.

فيا كلَّ محبٍّ لبلده وأهله، عقلَك عقلَك، نَربَأ بك أخي أنْ تكون أداةً تُحرِّكك أيادٍ تقبَعُ في أقصى الأرض، أيادٍ لا تحمل رسالةً علميَّة ولا دعويَّة؛ وإنما رسالة الفَوضَى والنكاية والتشفِّي، نَربَأ بك أخي المحب لبلده أنْ تكون شرارةَ إشعالِ الفتن على مجتمعك وأهلك وبيتك.

يا كلَّ محبٍّ لبلده، لا تزهدوا ولا تستَنقِصوا نصائح عُلَمائكم، استَمِعوا لتوجيهات مَن شابَتْ رُؤوسُهم، وحنكَّتْهم التجارب، وصقلَتْهم الأيَّام.

هذا وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.

حقوق المظلوم

الحمد لله الذي خلقنا من عدم، وكبّرنا من صغر، وقوّانا من ضَعف، وأسمعنا من صمم، وأغنانا من فقر، وعلّمنا من جهل، وأمّننا من خوف، وهدانا من ضلالة، أحمده سبحانه وأشكره وبالشكر تنال الزيادة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ناصر المظلومين والمستضعفين.

وأشهد أن نبينا وحبيبنا وسيدنا وقدوتنا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

و بعد:

حديثنا في هذه الدقائق عن حقوق المظلومين. وهل للمظلومين حقوق في الإسلام؟ نعم ما جاء الإسلام إلا لينصر المظلومين.

جاء الإسلام ليرد لهم حقوقهم التي سلبها الطغاة والمستكبرين.

جاء الإسلام لينقل العباد من عبادة وتعظيم العباد إلى عبادة وتعظيم رب العباد.

بل جعل الإسلام للمقتول ظلماً سلطاناً. قال تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾[الإسراء: ٣٣]

ابدأ حديثي معكم عن حقوق المظلومين بقول الله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ

فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾

[الشورى: ٤٠-٤٣].

لقد تضمنت هذه الآيات حقين للمظلومين: الحق الأول: الانتصار من الظالم، والثاني: حقه في العفو.

وقد عنون البخاري -رحمه الله- بكليهما في صحيحه، فقال: باب الانتصار من الظالم، لقوله جل ذكره: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ [النساء: ١٤٨] وقال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الشورى: ٣٩]، قال إبراهيم -رحمه الله-: كانوا يكرهون أن يستذلوا، فإذا قدروا عفوا. [تفسير البغوي: ٧/ ١٩٧].

أي: أن الله مدح المؤمنين بأن فيهم قوة للانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم، ليسوا بالعاجزين ولا الأذلين؛ بل يقدرون على الانتقام ممن بغى عليهم، ومع هذا إذا قدروا عفوا، كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم؛ فعفا عنهم مع قدرته على البطش بهم ومؤاخذتهم ومقابلتهم بمثل صنيعهم.

وكذلك عفا النبي -صلى الله عليه وسلم- عن غورث بن الحارث الذي أراد الفتك به لما اخترط سيفه عليه والنبي -صلى الله عليه وسلم- نائم، فاستيقظ عليه الصلاة والسلام، فوجد السيف مصلتاً فوق رأسه، فانتهر الرجل، فخاف وهاب وارتعش، فوقع السيف من يده، وأخذه النبي -صلى الله عليه وسلم- في يده، وقال له: «من يمنعك مني» قال: يا محمد

كن خير آخذ. فعفا عنه -ﷺ-[رواه البخاري (٤١٣٩) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما].

وكذلك عفا -ﷺ- عن زينب بن الحارث اليهودية التي أهدت له شاة مسمومة، يوم خيبر، وأكثرت السم في الذراع، فأخبره الذراع عليه الصلاة والسلام أنه مسموم، فدعاها فاعترفت، فقال -ﷺ-: « ما حملك على ذلك؟ قالت: أردت إن كنت نبياً لم يضرك، وإن لم تكن نبياً استرحنا منك، فأطلقها -ﷺ- وعفا عنها).

ولكن لما مات بشر بن البراء صاحبه من جراء أكله السم، قتلها به -ﷺ- قصاصاً، والآيات والأحاديث في عفو المظلوم عن الظالم كثيرةٌ .

وإذا أصر المظلوم على الانتقام فلا بأس بذلك وهو مباح، ومن عدل الله في البشرية أن أباح لهم القصاص، وأباح لهم أن ينتقموا بمقدار ما ظلموا، فبعد أن ذكر الله تعالى المرتبة الأولى التي هي العفو مع القدرة ذكر المرتبة الثانية وهي جواز الانتقام، فقال عز وجل: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ [الشورى: ٤١]

الدعاء على الظالم

ومن حقوق المظلوم الدعاء على الظالم فإنه جائز، وهو من باب القصاص والانتصار فلا بأس أن يدعو المظلوم على الظالم، فليتق الله الظالم وليضع نصب عينيه دعوة المظلوم؛ فإن النبي -ﷺ- أوصى معاذاً فقال: « اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » [رواه البخاري].

وأخبر في الأحاديث الأخرى أنها تُرفع على الغمام، ويقول الله: « لأنصرنك

ولو بعد حين»، ثم هذا رسول الله -ﷺ-، عندما دعا على أعدائه الذين آذَوه، وحاربوا هذه الشريعة، وصاروا أعداءً لهذه الملة، كان ذات يوم ساجداً عند الكعبة، وكان بقربه جماعة من كفار قريش فيقول بعضهم لبعض: أيكم يقوم إلى سلا جَزور بني فلان ن فيلقيه على ظهر محمد، فيقوم عُقْبة بن أبي مُعَيط ويأخذ السَّلى ويلقيه على ظهر النبي -ﷺ-، فيبقى النبي -ﷺ- ساجداً، حتى تأتي ابنته وتأخذ السَّلى من على ظهره، وهي تبكي، ثم تُقبل على المشركين تَسبُّهم رضي الله عنها وأرضاها فيقوم النبي -ﷺ- قرب الكعبة ويرفع يديه ويقول: «اللهم عليك الملأ من قريش، أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وعقبة بن أبي مُعَيط»، ويعد سبعة من صناديد المشركين، كما في صحيح مسلم.

يقول ابن مسعود -رضي الله عنه- فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى قَلِيب بدر فألقوا فيها بعدما انتفخت جثثهم، ولقد دعا رسول الله -ﷺ- على غيرهم واستجاب الله دعاءه صلوات ربي وسلامه عليه.

إن العبد المؤمن إذا توجه إلى الله بالدعاء، وكان مخلصاً صادقاً، فإن الله ـ جل وعلا ـ غالباً لا يرد هذا العبد، فكيف لو كان هذا العبد مظلوماً فإن الإجابة حينئذٍ لهذا العبد تكون أقرب، ودعوة المظلوم كما تعلمون، أنها مستجابة، ليس بينها وبين الله حجاب.

إياك من ظلم الكريم فإنه ... مُرُّ مذاقته كطعم العلقم
إن الكريم إذا رآك ظلمته ... ذكر الظلامة بعد نوم النوَّم
فجفا الفراش وبات يطلب ... ثأره أنِفَاً وإن أغضى ولم يتكلم

أيها الأخوة، سأذكر لكم قصص، ظُلم فيها أصحابها ثم توجه المظلومون إلى ربهم، فاستجاب الله دعوتهم، لعل في ذكر هذه القصص رادعاً لكل ظالم، لكل من يتعرض للناس فيؤذيهم في أرزاقهم، في إعراضهم في أموالهم.

ولْيكن له عبرة في هؤلاء الذين رفعوا أيديَهم إلى الله، فاستجاب الله دعاء هؤلاء المظلومين ورأى الناس قدرة الله سبحانه وتعالى تتحقق في هؤلاء. ومازال الله يستجيب للمظلومين.

القصة الأولى: قصة ذلك الرجل الذي ظلم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فدعا سعد عليه فأجاب الله دعاء سعد، وقد كان مستجاب الدعوة، وتفصيل القصة أن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- كان أميراً على أهل الكوفة فشكوه إلى عمر، وقالوا: إن هذا الأمير فيه كذا وكذا وكذا، حتى قالوا: إن هذا الأمير لا يحسن الصلاة، فدعاه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- الأمير العادل المنصف، فقال له يا سعد إن أهل الكوفة شكوك في كل شيء، حتى قالوا: إنك لا تحسن أن تصلي، فقال سعد: أما إني أصلي بهم كما رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- يصلي، أطيل في الأُولَيَينِ وأُخِفُّ في الأُخريين، فقال له عمر: ذلك الظن بك يا أبا إسحاق.

ثم أرسل عمر -رضي الله عنه- لجنة إلى الكوفة، للتأكد من الأمر، وتقصِّي الحقائق، إنها فيما يسمى اليوم لجنة.

كم نحن بحاجة إلى لجان تنصف المظلومين، لجنة تُعطي الحق لمستحقه بدون محاباة بدون مجاملة، لقد ذهبت هذه اللجنة إلى الكوفة وصارت تقف في أسواق الناس وفي مساجدهم وتسألهم، ماذا تقولون في أميركم؟ فيقولون: لا

نعلم إلا خيراً، حتى دخلوا على مسجد لبني عبس فسألوهم: ما تقولون في سعد بن أبي وقاص أميركم؟ قالوا: لا نعلم إلا خيراً، فقام رجل مراءٍ، فقال: أما أن سألتنا عن أميرنا فإن سعداً لا يقسم بالسوية ولا يسير بالسَّرية، ولا يعدل بالقضية، بمعنى أنه رجل فيه ظلم وجبن وخوف ولا يساهم في المعارك.

فقام سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-، وقال: «**اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً قام رياءً وسُمعة فأطلْ عمره، وأطلْ فقره وعرضْه للفتن**»، [والقصة في صحيح البخاري].

فاستجاب الله دعوة سعد، وقد كان مظلوماً من قِبَلِ ذلك الرجل، فطال عمره حتى سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وطال فقره، حتى إنه كان يمد يده يتكفف الناس، وتعرّض للفتن حتى إنه كان على رغم فقره وشيخوخته وكُبر سنه، كان يقف بالأسواق يتعرض للجواري يغمزهن، فإذا قيل له في ذلك، قال: شيخٌ كبير مفتون أصابته دعوة سعد.

القصة الثانية: قصة "سعيد بن زيد" رضي الله تبارك وتعالى عنه. كانت هناك امرأة يقال لها "أروى بنت أويس"، شكته إلى مروان بن عبد الحكم أمير المدينة، وقالت: إنه أخذ شيئاً من أرضها، فقال سعيد بن زيد: أنا آخذ شيئاً من أرضها، بعدما سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول في ذلك، فقال له الأمير مروان، وماذا سمعت من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ قال سمعته -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**من أخذ شبراً من الأرض ظلماً طُوِّقَه إلى سبع أرضين**». فقال مروان بن الحكم: لا أسألك بعد هذا بينة، يكفيني قولك هذا.

ثم قام سعيد بن زيد يدعو على هذه المرأة التي شوهت سمعة أصحاب النبي

-ﷺ- ونسبت إليهم ما هم منه أبرياء، من الظلم والحَيْف والطمع في الدنيا، فقال: اللهم إن كانت كاذبة فأَعْمِ بصرها، واجعل ميتتها في هذه الأرض. قال راوي الحديث عروة بن الزبير والحديث في الصحيحين، قال: فوالله لقد عمي بَصَرُها حتى رأيتها امرأة مسنةً تلتمسُ الجدران بيديها، وكانت في هذه الأرض بئر، وكانت تمشي في أحد الأيام فسقطت في البئر، وكان ذلك البئر قبرها، وأجاب الله دعاء سعيد بن زيد وكان مظلوماً رضي الله عنه[مسلم برقم ١٦١٠، ٢/ ١٢٣٠].

ونحن ندعو الله على من يسبون أصحاب رسول الله.

ندعو الله على من يتكلمون على نساء رسول الله اللهم إن لم يتوبوا فأهلكهم.

اللهم إن لم يتوبوا من سبهم فعجل بزوالهم.

القصة الثالثة: هذه القصة فيها عجب وعبرة، ذكرها بعض المؤرخين، وقد حصلت في بلاد الأندلس، ذكروا بأن حاكماً من حكام الأندلس يقال له الوليد بن جهور وكان أميراً على قرطبة أحد كبار المدن الأندلسية.

حاول بعض جيرانه أن يعتدي عليه، وهو يحيى بن ذي النون، حاول أن يعتدى عليه ويأخذ ملكه، فاستنجد أبو الوليد بن جهور بأحد حكام الأندلس، يقال له المُعْتَمِد بن عَبَّاد، وكان ملكاً قوياً شاعراً أديباً مشهوراً. فجاء "المعتمد بن عباد" وساعده وأنجده وقضى على عدوه، ولكن المعتمد بن عباد لما رأى قرطبة وما فيها من المياه، وما فيها من البساتين والخضرة والأموال والترف، طمع فيها وبدأ يخطط للسيطرة عليها، فأدرك ذلك أمير قرطبة ابن جهور، فَذَكَّرَ المعتمد بن عَبَّاد بالعهود والمواثيق التي بينهم وذكره بالله، لكن المعتمِد بن عباد كان مُصِرّاً

على احتلال قرطبة وفعلاً، تحقق للمعتمد بن عباد الاستيلاء على قرطبة بعد طول كيد وتدبير وتخطيط، فاستولى عليها، وأخذ أمراءها وطردهم منها، وصادر أموالهم وقتل منهم من قتل، وسجن منهم من سجن، وخرج أمراء بني جهور من قرطبة بلا مال ولا جاه ولا سلطان، أذلاء خائفين مذعورين.

وبعدما خرجوا منها، التفت الأمير إلى قرطبة، هذه المدينة التي طالما تمتع بحكمها، وعرف أنه ما أُخرج منها إلا بسبب دعوات المظلومين، وبسبب الدماء التي سالت ظلماً وعدواناً، وبسبب الأموال التي أُخذت بغير حق، وبسبب ظلمه للناس وحَيفه ومعاملته لهم، عرف ابن جهور هذا فالتفت إلى قرطبة، ورفع يديه إلى السماء، وقال: يا رب اللهم كما أجبْتَ الدعاءَ علينا فأجِبْ الدعاءَ لنا، فإننا اليوم مسلمون مظلومون، فدعا الله عز وجل على المعتمد بن عباد.

وخرج بنو جهور، وظل المعتمد بن عباد، يحكم قرطبة ردحاً من الزمن، يتمتع بما فيها من الترف.

لكن تلك الدعوات التي خرجت من المظلوم ابن جهور ما تزال محفوظة، فما هي إلاّ فترة من الزمن، وإذا بملك النصارى يهدد المعتمد بن عباد، وطلب منه مع دفع الجزية التخلي عن بعض القصور والدور فرفض، ووجد نفسه مضطراً أن يستعين بأحد حكام المرابطين، وهو "يوسُف بن تاشْفِين" فأرسل إليه يستنجد به، فجاء يوسف بن تاشفين ودخل قرطبة، وخاض معركة ضد النصارى، وانتصر على النصارى في موقعة الزّلّاقَة وطردهم.

وبعدما انتصر على النصارى، وجد يوسف بن تاشفين نفسه مضطراً إلى

السيطرة على قرطبة، وقبض على المعتمد بن عباد وأولاده، فقتل بعضهم على مرأى من أبيهم، وأودع المعتمد بن عباد السجن في مدينة في المغرب تسمى (أغْمات)، حتى جلس فيها عشرَ سنوات مسجوناً.

ثم انتهت هذه السنوات العشر بموته، وكان فترة سجنه مجرداً من كل شيء، والقيود في يديه ورجليه، وجئن بناته إليه يوم العيد وهنا حافيات منكسات الرؤوس يرى بناتِه اللاتي كُنَّ بالأمس يطأن في المسك والكافور، يطأن في الطين والوحل اليوم. وهن يغزلن للناس من أجل كسب العيش، ولا يملكْنَ شيئاً، فبكى بكاءً مراً، ثم قال يخاطب نفسه في إحدى المناسبات وقد فرح الناس واستبشروا بالعيد:

فيما مضى كنت بالأعياد مسروراً ... فساءك العيد في أغماتَ مأسورا
ترى بناتِك في الأطمار جائعةً ... يغزلْنَ للناس ما يملكْنَ قِطميرا
برزْنَ نحوك للتسليم خاشعَةً ... أبصارُهن حسيراتٍ مكاسيرا
يطأْنَ في الطينِ والأوحالِ حافية ... أقدا مهن كأنها لم تطأ مسكاً وكافورا
من بات بعدك في مُلكٍ يُسَرُّ به ... فإنما بات بالأحلام مغرورا

إن المظلوم إذا دعا يُصاب الظالم بالدعوة ولو كان المظلوم فاجراً، ولو كان فاجراً ففجوره على نفسه، ولكن الله جل وعلا لا يقر الظلم، ولهذا يقول العلماء: من عادة الله جل وعلا أن الله لا يترك ظالماً يتمادى في حياته وفي سعيه، حتى الدول، فالدول إذا صارت تظلم الشعوب وتظلم الناس فإن مدتها لن تطول، وسوف تزول، بخلاف الدول العادلة التي تعدل وإن كانت كافرة فإن مدتها قد

تطول وإن كانت كافرة، وذلك أن الظلم لا يقره الله جل وعلا في حالة من الحالات، فقد حرمه على نفسه وجعله بين عباده محرماً، ومن أعظم الإجرام أن يتطاول متطاول بقوته وسلطته على ضعيف ليس له ناصر ولا حيلة له إلا أن يرفع يديه إلى السماء ويقول: يا رب يا رب.

قال مالك بن دينار -رحمه الله-: «من أراد السلامة فلا يظلمن أحداً»، فقيل له في ذلك، فقال: بينما أنا امشي على ساحل البحر، إذ رأيت صيادا ومعه سبعة حيتان، فأخذت منه حوتاً و هو كاره بعد أن ضربته علي رأسه، فعض الحوت على إبهامي، واتفقت الأطباء على قطعه، ثم وقعت الأكلة في كفي وسائر عضدي، فخرجت أسيح في الأرض و أريد قطع يدي، فآويت إلى شجرة ونمت تحتها، فقيل لي في المنام: لأي شيء تقطع يدك، رد الحق إلى أهله، فانتبهت وجئت مسرعا إلى الصياد وقلت له: أخطأت ولا أعود، فقال لي: ما أعرفك. فقصصت عليه قصتي وتضرعت إليه ليسامحني، قمت قائماً على قدمي والدود يتناثر من عضدي، وسكن الوجع بإذن الله تعالى، فقلت: يا أخي، بأي شيء دعوت علي؟ فقال: لما ضربتني وأخذت السمكة مني، نظرت إلى السماء وبكيت بكاء شديداً، وقلت: يا رب أسألك أن تجعله عبرة لخلقك»[الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح:٦٧].

وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: «يا داود، كم تنادي أن لا أجمع بينك وبين خصمك يوم القيامة، وعزتي و جلالي لأوقفنك مع خصمك ولأوردنك مقاماً ترعد منه الأرض، وتنكس الملائكة أجنحتها، لا يجاوزني ظُلم ظالم».

وقيل: إن نملة دبّت على ذيل سليمان عليه السلام، فغضب عليها من ذلك، فأخذها وألقاها، فنادت النملة لفرط الألم، وقالت: «يا نبي الله، أظهرت قوتك وسطوتك على ضعفي، والله مطلع على ما فعلت بي، فكن على أهبة الجواب السؤال على ظلمي، فقد أوهنت عظمي»، فهبط الأمين جبريل عليه السلام، وقال: «**يا نبي الله، الحق يقرؤك السلام، ويقول لك: وعزتي و جلالي لئن لم تطلب العفو من النملة لأطلبنك بذنبها يوم القيامة**».

سبحان الله هذا في حق نملة فكيف ببشر.

وقيل: إن بعض الملوك بنا قصراً وخرج يدور حوله ينظر إلى بنيانه، وإذا ببابه عجوز لها كوخ، وكان الملك قد قصدها في بيعة، فأبت، فقال الملك: وأين هي؟ قالوا: لم تكن حاضرة في بيتها، فقال: إهدموه. فهدموه في أسرع وقت، فجاءت العجوز فوجدت بيتها خراباً، فرفعت رأسها إلى السماء، وقالت: اللهم إني كنت أينما كنت، إلهي هدموا بيتي واستضعفوني، ثم بكت بكاء شديداً، فبكت ملائكة السماء، فأمر الله تعالى أن يهدم القصر على من فيه. إن في ذلك لعبرة لمن يخشى.

وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: «**يا داوود، قل لبني إسرائيل: من ظلم امرأة أو صبية، أو من لا يعقل كحبة في الميزان، كويته بمقدارها في النار**»[الزهر الفائح:٦٨].

البرامكة وما أدراكم ما البرامكة إنها أُسرةٌ عباسية تولت الوزارة في عهد هارون الرشيد، فعاثت في الأرض فساداً، كان تُطلي القصور بالذهب وماء الفضة، زرعوا حدائق وبساتين، عسفوا وظلموا، ثم أغضب الله عليهم أقرب

الناس لهم – هارون فأخذهم فقتل شبابهم وأخذ شيوخهم فأودعهم السجون، منهم خالد الذي ما رأى الشمس سبع سنوات –ذكر القصة ابن كثير – صار شيخاً كبيراً، عجوزاً هزيلاً، وقد طالت أظافره –ما وجد مقراضاً يقلم أظافره– وقد سقطت حواجبه على عينيه، وقد شابت لحيته ورأسه، وأصبح في ثياب ممزقة وفي بأس، قال له ابنه وهو معه: لا إله إلا الله! بعد النعيم والوزارة أصبحنا إلى هذا المكان! لماذا؟ !

بعد الغنى فقر. . بعد العز ذل. بعد القصور سجن.

قال هذا الرجل وهو يبكي: «**يا بني لعلها دعوة مظلوم سرَت في ظلام الليل، غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها، وقال: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**».

دعوة المظلوم أسبق من الضوء.

قيل لـ علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–؛ كم بين العرش والتراب؟ ! أيجيب بالأميال، أو بالكيلو مترات، قال علي: وحسبك بـ أبي الحسن، قال: « **بين العرش والتراب دعوة مستجابة من مظلوم يرفعها الله على الغمام، ويقول: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين** ».

الإمام أحمد ظلمه ولاة السوء وأهل البدعة، وقالوا: القران مخلوق فأبى أن يقول ذلك فكيف يكون القران مخلوق وهو كلام الله. فحبسوه وجلدوه وظلموه. وتولى ظلمه أحمد بن أبي دؤاد و ابن الزيات.

فأحمد بن أبي دؤاد أصابه الفالج، أي الشلل وكان يبكي ويقول: أما نصفي هذا فلو قرض بالمقاريض ما شعرت به، وأما نصفي هذا فلو وقع عليه الذباب

ظننت أن القيامة قامت.

وأما ابن الزيات فأغضب الله عليه الخليفة فقطع يديه، وأدخله فرناً حاراً وسمر المسامير في أذنيه، فلا اله إلا الله.

وعلى من ظلم أن يعلم أنه سوف يحشر عرياناً يوم العرض الأكبر على الله.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤].

ثم على الظالم أن يتحلل من المظلوم، كما قال عليه الصلاة والسلام: « من كانت له مظلمة لأخيه -في عرضه أو شيءٍ غير العرض كالمال وغيره- فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم؛ إن كان له عملٌ صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » [رواه البخاري].

ومن حقوق المظلوم جواز أخذ ما له من الظالم إذا وجده، كما عنون عليه البخاري -رحمه الله-: باب قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه، : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل: ١٢٦] وقال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى: ٤٠] لكن يُشترط في القصاص واسترجاع الحق واسترداد ما أخذه الظالم أن يكون مماثلاً لما أخذه وألا يعتدي.

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ

﴿ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ [النساء: ١٤٨] قال: لا يحب الله أن يدعو أحدٌ على أحد إلا المظلوم على الظالم.

ولو قال: اللهم انصرني عليه، وخذ لي حقي منه، فهو أحسن من الدعاء عليه بأمورٍ لا يستفيد منها المظلوم، كما إذا دعا عليه بشلل أطرافه ونحو ذلك، إلا إذا كان عدواً للإسلام وظالماً للناس لو قعد أو شُلَّ لاستراح الناس منه، فهو يدعو عليه لمصلحة المسلمين.

أما لحقه الشخصي- فإن الأفضل أن يدعو عليه بمثل قوله: اللهم انصرني عليه، وخذ لي حقي منه، فهو أحسن من الدعاء عليه بأمورٍ لا يستفيد منها المظلوم.

المظلوم بين درجة العفو العليا وحقه في الانتقام

وأما عفو المظلوم فإنه مريحٌ لقلبه ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٣] أي: من صبر على الأذى وستر السيئة، فإنه يكون قد فعل أمراً مشكوراً، وفعلاً حميداً، له عليه ثوابٌ جزيل، وثناءٌ جميل من الله تعالى؛ كما في الكلمات الحكيمة: صِلْ من قطعك، وأعط من حرمك، واعفُ عمن ظلمك.

قال الفضيل بن عياض -رحمه الله-: «**إذا أتاك رجلٌ يشكو إليك رجلاً فقل: يا أخي! اعفُ عنه؛ فإن العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو، ولكن أنتصر كما أمرني الله عز وجل، فقل له: إن كنت تحسن أن تنتصر- فانتصر-؛ لأن بعض الناس لا يحسن الانتصار، بل يظلم ويتجاوز في الانتقام**»[رواه ابن أبي حاتم في ((تفسيره)) (١٠/ ٣٢٨٠)، وأبو نعيم في ((الحلية)) (٨/ ١١٢)].

موقف الناس من الظالم والمظلوم

ها قد عرفنا ما هو موقف المظلوم، وما هو موقف الظالم؛ فما هو موقف بقية الناس؟ قال -ﷺ-: « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجلٌ: يا رسول الله! أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ ! قال: تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره »[رواه البخاري] .

وعن البراء -رضي الله عنه- قال: « أمرنا النبي -ﷺ- بسبعٍ -ومنها- ونصر المظلوم ».

وقال -ﷺ-: « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» أي: لا يتخلى عنه ولا يتركه إلى الظالم، ولا يتركه إلى من يؤذيه؛ بل ينصره ويدفع عنه الظلم.

إذاً لا بد من الوقوف بجانب المظلوم، فيأثم من عرف بالمظلوم وقدر على نصرته ولم ينصره، لأن نصرة المظلوم واجب، وحرام على من رأى أخاه المسلم مظلوماً وهو قادرٌ على نصرته أن يتركه ويسلمه ولا يمنع عنه الظلم.

ويجب كذلك كف يد الظالم كما قال أبو بكر -رضي الله عنه- في الحديث الحسن الذي رواه الترمذي: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ [المائدة: ١٠٥] وإني سمعت رسول -ﷺ- يقول: « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقابٍ منه »[أخرجه: وأبو داود (٤/ ١٢٢، رقم ٤٣٣٨)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٣٨، رقم ١١١٥٧) والترمذي (٤/ ٤٦٧، رقم ٢١٦٨)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٢/ ١٣٢٧، رقم ٤٠٠٥)، والبيهقي (١٠/ ٩١، رقم ١٩٩٧٦)، والعدني، والحميدي عن أبي بكر رضي الله عنه، قال المناوي: بإسناد جيد)].

والأخذ على يديه إذا لم يفد معه القول، فإذا قدر وقوي على منعه ولو بالقوة منعه.

عن سهل بن حنيف -رضي الله عنه- مرفوعا :« من أُذِلَّ عنده مسلم فلم ينصره وهو يقدر أن ينصره أذله الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة » [رواه أحمد].

ولأبي داوود عن جابر وأبي طلحة -رضي الله عنهما- مرفوعا أن النبي -ﷺ-:« ما من امرئ مسلم يخذل امرأ مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ مسلم ينصر امرأ مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته ». [(٢٥١) حسن. رواه أبو داود الأدب ٤ / ٢٧١ رقم ٤٨٨٤ وأحمد ٤ / ٣٠ وقد حسنه الشيخ ناصر في صحيح الجامع ٢ / ٩٩٢ رقم ٥٦٩٠]. فخذلان المؤمن حرام شديد التحريم مثل أن يقدر على دفع عدو يريد البطش به فلا يدفعه

على الناس ألا يعينوا الظالم

وأما إعانة الظالم فهي من المصائب العظيمة، فمن الواجب على الناس أن يقولوا للظالم: يا ظالم! ويعرفوه بأنه ظالم ويمتنعوا عن إعانته، وقد أخبر النبي -ﷺ- أن من أعان الظلمة لا يرد عليه الحوض، فالذي يُعين الظلمة يحرم من ورود حوض النبي -ﷺ-، كما جاء ذلك في الحديث الصحيح، وينبغي على الناس كذلك ألا يقلدوا الظلمة في الظلم، ولا يقولوا: إن ظلم الناس ظلمنا، وإن أحسنوا أحسنا ويوطنوا أنفسهم إن أحسن الناس أن يحسنوا وإذا أساء الناس أن يتجنبوا إساءتهم.

وعلينا بدعاء الله تعالى كما كان النبي -ﷺ- يقول: « واجعل ثأرنا على من ظلمنا » [حديثٌ حسن رواه الترمذي]، وكان عليه الصلاة والسلام يقول: «اللهم إني أعوذ بك أن أظلم أو أُظلم » وهذا من دعائه عند خروجه من البيت.

التعصب مع الباطل

بعض الناس تأخذه العصبية فيعين صاحبه أو قريبه أو من هو من قبليته على الطرف الآخر، وانظروا إليهم في حوادث السيارات، وكيف يفعلون في وقوفهم بغض النظر عن الظالم والمظلوم، وقد قال عليه الصلاة والسلام: « من أعان قومه على ظلمٍ فهو كالبعير المتردي ينزع بذنبه »[رواه أبو داود وهو حديثٌ صحيح].

ولينظر المسلم في ميتة المظلوم، وبعض الناس يحتقرها، لكنها عظيمة عند الله، روى الإمام أحمد عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: « بينما امرأةٌ فيمن كان قبلكم تُرضع ابناً لها، إذ مر بها فارسٌ متكبرٌ عليه شارةٌ حسنة، فقالت المرأة: الله لا تمت ابني هذا حتى أراه مثل هذا الفارس على مثل هذا الفرس، قال: فترك الصبي الثدي، ثم قال: اللهم لا تجعلني مثل هذا الفارس، قال: ثم عاد إلى الثدي يرضع، ثم مروا بجيفة حبشية أو زنجية تجر فقالت: أعيذ ابني بالله أن يموت ميتة هذه الحبشية أو الزنجية، فترك الثدي فقال: الله أمتني ميتة هذه الحبشية أو الزنجية! فقالت أمه: يا بني سألت ربك أن يجعلك مثل هذا الفارس فقلت: اللهم لا تجعلني مثله، وسألت ربك ألا يميتك ميتة هذه الحبشية أو الزنجية، فسألت ربك أن يميتك ميتتها، فقال الصبي: إنك دعوت ربك أن يجعلني مثل رجلٍ من أهل النار، وإن الحبشية أو الزنجية كان أهلها يسبونها ويضربونها ويظلمونها فتقول: حسبي الله! حسبي الله! »[رواه الإمام أحمد، ورجاله ثقات، وأصل القصة في الصحيح].

أيها المظلوم صبراً لا تهن

أيها المظلوم صبراً لا تهن، إن عين الله لا تنام، ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فاصبر واحتسب واعلم أن الفرج قريب. وأصلح ما بينك وبين الله يصلح الله كل أمورك وينصرك على من ظلمك.

نسأل الله تعالى أن يعيذنا من الظلم، اللهم انصرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من بغى علينا، وخذ بثأرنا منه يا رب العالمين، اللهم إن اليهود قد ظلموا المسلمين، اللهم صب عليهم سوط عذابك، الله اجعل أموالهم وديارهم إرثاً للمسلمين.

اللهم عجّل بالانتقام منهم يا رب العالمين، اللهم أفشل خططهم، اللهم أفشل خططهم، اللهم كما أفشلت خطتهم فأفشلها مراراً وتكراراً يا رب العالمين.

ختاماً

آمل ممن ينتفع بهذه الحقوق ومن يقرؤها ومن يسمعها ومن يخطب أو يحاضر بها أن يذكرني في دعائه فإن دعوة الأخ لأخيه في ظهر الغيب مستجابة، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرات: ١٠] ، وفي الحديث النبوي الشريف «المسلم أخو المسلم. . ».

وأسال الله العظيم، في هذا الموقف العظيم، والساعة العظيمة، باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطي وإذا دعي به أجاب، أن ينفع بهذا الكتاب مؤلفه، وقارئه وسامعه، وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم، سائقاً إلى رضوانه، مستوجباً عفوه وغفرانه، وسبباً إلى رحمته وإحسانه، وداعياً إلى دار كرامته وامتنانه.

اللهم لا تعذب لساناً يُخبر عنك، ولا عيناً تنظر إلى علوم تدل عليك، ولا قدماً تمشي إلى خدمتك، ولا يداً تكتب في سبيلك، فبعزتك لا تدخلني النار.

تم بحمد الله الجزء الثاني من بستان الحقوق في الإسلام ، ونلتقي بإذن الله إذا كان في العمر بقية في الجزء الثالث.

اليمن – المهرة

شعبان١٤٤١هـ

Almadari_١@hotmail. com

وتس آب:/٠٠٩٦٧٧١١٤٢٣٢٣٩

٠٠٩٦٧٧٧٠٣٤٣٤٧٠